

الكتاب: اللغة وعلم اللغة

مقدمة المترجم:

يعد جون ليونز من أهم اللغويين المعاصرين في بريطانيا عرف بعدد من الكتب في مقدمتها: علم اللغة التركيبي 1963، وعلم اللغة النظري 1968، وآفاق جديدة في علم اللغة 1970، وتشومسكي 1970، وعلم الدلالة 1977، واللغة وعلم اللغة 1981.

ونقدم في هذه الطبعة "الجزء الأول" من كتاب "اللغة وعلم اللغة" وهو كتاب ألف لجمهور المثقفين إلى جانب المتخصصين في علم اللغة، وصدرت الطبعة الأولى منه عام 1981، وأعيد طبعه عام 1982، 1983، 1984، و1985، وربما كانت إعادة طبعه سنويا على النحو المشار إليه أمرا له دلالة، ويضم هذا الكتاب عشرة فصول هي على الترتيب: اللغة، وعلم اللغة، وأصوات اللغة، والنحو، والدلالة، والتغير اللغوي، وبعض المدارس والاتجاهات الحديثة، واللغة والعقل، واللغة والمجتمع، واللغة والثقافة، ويضم "الجزء الأول" الفصول الخمسة الأولى وهي تدور في إطار علم اللغة البحث الوصفي الذي يعتبره علماء اللغة لب تخصصهم العلمي بينما تدور الفصول الخمسة الأخرى في إطار علم اللغة التاريخي وعلم اللغة الموسع وقد نشر لكاتب هذه السطور ترجمة لفصلين منها في مجلة البيات التي تصدرها رابطة الأدباء في الكويت في العددين 250 يناير 1987، و251 فبراير 1987 نشر في العدد الأول الفصل السابع "بعض المدارس والاتجاهات الحديثة"، ونشر في العدد الثاني الفصل العاشر "اللغة والثقافة". ويتناول الفصل الأول "اللغة" سبع نقاط هي: ما اللغة؟ وبعض

(5/1)

تعريفات اللغة، والسلوك اللغوي والنظم اللغوية، واللغة والكلام، ووجهة نظر سيميولوجية وتصور التجانس، ولا توجد لغات بدائية.

ويتناول الفصل الثاني "علم اللغة" ست نقاط هي: فروع علم اللغة، وهل "علم اللغة" علم؟، والمصطلحات والرموز، وعلم اللغة وصفي وليس معياريا، وأولوية الوصف التزامني، والبنية والنظام.

ويتناول الفصل الثالث "أصوات اللغة" ست نقاط هي: الوسيلة الصوتية، والتمثيل الصوتي والهجائي، وعلم الأصوات النطقي، والوحدات الصوتية والصور الصوتية،

والملاحم المميزة والفونولوجيا التطريزية، والبنية الفونولوجية.

ويتناول الفصول الرابع "النحو" ست نقاط هي النحو والتصريف والصرف، والصواب النحوي والإنتاجية والاعتباطية، وأجزاء الكلام وأصناف الصيغ والفصائل النحوية، وبعض التصورات النحوية الإضافية، ومكونات البنية، والنحو التوليدي.

ويتناول الفصل الخامس "الدلالة" ست نقاط هي: اختلاف المعنى، والمعنى المعجمي وتعدد المعنى والتداف، والمعنى المعجمي: المعنى والدلالة الذاتية، والدلالة والنحو، ومعنى الجملة ومعنى القول، وعلم الدلالة الشكلي.

وفي النهاية أثبت قائمة بالمصطلحات الواردة في هذا الجزء باللغتين العربية والإنجليزية تلك التي ترجمها كاتب هذه السطور لأول مرة والتي يرجو لها القبول من قبل المتخصصين.

وقد آثرت في هذه الترجمة أن أكون دقيقاً وملتبزماً إلى أقصى حد

(6/1)

ممكن وقد اعتمدت في التعليقات المثبتة في هوامش الكتاب على العديد من المراجع

أخص منها " A First dictionary of linguistics and phonetics لدافيد كرسنال، والمعجم الفلسفي للدكتور مراد وهبة وقد ميزت التعليقات الخاصة بالمؤلف -وهي نادرة- بإضافة نسبتها إليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تنويه:

يود المترجم أن ينوه بالفضل الذي حظي به وحظيت معه هذه الترجمة من الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي، ويتقدم له بجزيل الشكر والعرفان، كما يتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذ الدكتور مراد وهبة على ما اقتطعه من وقته الثمين في مناقشة بعض المفاهيم والمصطلحات الفلسفية.

المترجم

مصطفى زكي حسن التوني

القاهرة: 1987

(7/1)

الفصل الأول: اللغة

أولا: ما اللغة؟

يعد علم اللغة الدراسة العلمية للغة، ومن الوهلة الأولى فإن هذا التعريف -وهو أحد التعريفات الموجودة في أكثر الكتب الأساسية وفيما يعالج هذا الموضوع معالجة عامة- تعريف واضح وضوحا كافيا، لكن ما الذي تعنيه بالضبط كلمتا لغة، وعلمية؟ وهل يمكن أن يعد وصفنا لعلم اللغة كما يمارس اليوم بالعلم وصفا صحيحا؟ ويمكن مقارنة السؤال "ما اللغة؟" بالسؤال "ما الحياة؟" وهناك من سيقول إن السؤال الأول قد يكون أقل عمقا من الثاني الذي تدور افتراضاته المسبقة حول العلوم البيولوجية وتوحيدها، وبطبيعة الحال فإن هذا السؤال ليس من هذا النوع الذي يحمله عالم الأحياء سلف في ذهنه دائما أثناء عمله اليومي، فإن لذلك أكثر من إطار فلسفي له، وعالم الأحياء -كغيره من العلماء- يتعمق عادة في تفصيل بعض المشكلات الدقيقة لينعم النظر في متضمنات هذه الأسئلة العامة، ومع ذلك فإن المعنى المسلم به سلفا الذي يتضمنه السؤال: "ما الحياة؟" -الافتراض المسبق الذي ذهب إلى أن كل الكائنات الحية تشترك في خاصية ما أو في مجموعة من الخصائص التي تميزها عن الكائنات غير الحية- يرسم حدود اهتمامات عالم الأحياء، ويبرر الاستقلال أو الاستقلال الجزئي لتخصصه، ومع أنه من الممكن أن يقال عن سؤال: ما الحياة؟ بهذا المعنى أنه يمد علم الأحياء بالمبرر القوي لوجوده، وهذا السؤال في حد ذاته لا يعدو كونه

(1/1)

تفسيرا خاصا يستغله عالم الأحياء، وكشف متضمناته الأكثر تفصيلا داخل عدة أطر نظرية مقبولة ينمي في الوقت الحاضر تأملات عالم الأحياء وبحثه من يوم لآخر، وهو ما ينطبق أيضا على اللغوي¹ في علاقته بالسؤال: ما اللغة؟

وأول ما يلاحظ من السؤال: "ما اللغة؟" أنه عند صياغته باللغة الإنجليزية "What is Language" تستخدم كلمة اللغة "Language" في المفرد وبدون أداة التعريف، وصياغة السؤال بهذا الشكل يختلف نحويا -إن لم يكن دلاليا- عن السؤال الذي يشبهه من حيث الظاهر "What is a Language؟" وتحتوي لغات أوروبية على كلمتين وليس كلمة واحدة لترجمة الكلمة الإنجليزية Language ففي

اللغة الفرنسية **Langue** و **Langage** وفي اللغة الإيطالية **Lingua** و **Linguaggie** وفي اللغة الأسبانية **Lengua** و **Lenguaje** وفي كل حالة يرتبط الاختلاف بين الكلمتين بالاختلاف الموجود في معني الكلمة الإنجليزية **"Language"** فعلى سبيل المثال تستخدم في اللغة الفرنسية كلمة **"Langage"** لتشير إلى اللغة بصفة عامة وتنطبق كلمة **Langue** على اللغات المحددة، ولا تسمح اللغة الإنجليزية للمتكلمين بها بأن يقولوا عن شخص ما: **"He Possesses a Language"** الإنجليزية، الصينية، المالوية، السواحلية... إلخ" فحسب، ولكن أيضا **"He Possesses Language"** ويجعل الفلاسفة، وعلماء النفس، وعلماء اللغة عموما من معرفة اللغة أوضح ما يميز الإنسان عن غيره من سائر الحيوان،

1 اللغوي **"Linguist"** مصطلح يشير إلى من يدرس أو يمارس البحث في اللغة وعالم اللغة **"Linguistician"** يعد المرجع لهذا الغرض إلا أن اللغوي المتخصص لا يستخدم مصطلح "عالم اللغة" للإشارة إلى نفسه، وثمة خلط بين ما يدل عليه هذا المصطلح وما يشير إلى من يتقن لغات عديدة.

Ws Possesses a Language = He Possesses Language 2
يمتلك اللغة.

(2/1)

وستتناول جوهر هذا الادعاء في هذا الفصل، وأحب أن أؤكد هنا على حقيقة واضحة لكنها هامة ذلك أن أحدا لا يستطيع معرفة لغة طبيعية أو استخدامها دون أن يكون قد عرف لغة طبيعية معينة أو استخدمها. وقد استخدمت منذ لحظة مصطلح لغة طبيعية وهو ما يضعنا أمام نقطة أخرى، فكلمة لغة لا تنطبق على الإنجليزية، والصينية، والمالوية، والسواحلية.. إلخ فحسب وهو ما يتفق الجميع على أنه من المناسب تسميتها باللغات لكنها تنطبق كذلك على مختلف نظم الاتصالات الأخرى المتنوعة سواء أكانت تلك النظم مجموعة رموز أم مجموعة أرقام وهي موضع جدال، فعلى سبيل المثال أسس الرياضيون والمناطق، وعلماء الكمبيوتر حديثا ولأغراض خاصة نظما رمزية وسواء أكان من الصواب تسميتها لغات أم لا فإنها صناعية أكثر منها طبيعية، ويكون الأمر كذلك حتى لو كانت مؤسسة على اللغات

الطبيعية الموجودة سلفا وصارت لغة بلا نزاع مثل الإسبرانتو التي اخترعت في نهاية القرن التاسع عشر بهدف الاتصال العالمي، وهناك نظم أخرى من الاتصالات الخاصة بالإنسان وبغيره ينطبق عليها وصف طبيعية أكثر من وصف صناعية لكنها لا تبدو لغات بالمعنى الضيق لهذا المصطلح حتى ولو استخدمت كلمة لغة للإشارة إليها بشكل عام، لاحظ في هذا الشأن العبارات الآتية: لغة الإشارة، ولغة الجسد، ولغة النحل، وربما يذهب معظم الناس إلى أن كلمة لغة تستخدم هنا استخداما مجازيا أو استعاريا، ومن الطريف أن كلمة **Langage** لا كلمة **Langue** تستخدم عادة عند ترجمة مثل هذه العبارات إلى اللغة الفرنسية، والكلمة الفرنسية "**Langage**" مثل الكلمة الإيطالية "**Linguaggio**" والكلمة الأسبانية "**Lenguaje**" أكثر عمومية من الكلمة الأخرى التي تتزاحم معها ليس لأنها

(3/1)

تستخدم للإشارة إلى اللغة عموما فحسب ولكن أيضا؛ لأنها تنطبق على نظم الاتصال سواء أكانت طبيعية أم صناعية، خاصة بالإنسان أو بغيره، وتستخدم لها الكلمة الإنجليزية **Language** فيما يبدو أنه معنى مجازي. ويهتم اللغوي -في المقام الأول- باللغات الطبيعية، والسؤال: ما اللغة؟ يحمل في طياته افتراضا مسبقا أن كل لغة من آلاف اللغات الطبيعية المميزة بوضوح المنطوقة في أنحاء العالم مثال نوعي لشيء ما أكثر عمومية، وما يريد اللغوي معرفته ما إذا كانت اللغات الطبيعية كلها تشترك فيما لا تشترك فيه معها نظم الاتصال الأخرى الخاصة بالإنسان أو بغيره ومن ثم يكون من الصواب أن نطلق عليها كلمة لغة وأن ننكر إطلاق هذا المصطلح على نظم الاتصال الأخرى باستثناء ما يتعلق بما تأسس على لغات طبيعية موجودة من قبل مثل الإسبرانتو وهو الأمر الذي سنتناوله في هذا الفصل.

(4/1)

ثانيا: بعض تعريفات اللغة

العثور على تعريفات اللغة ليس صعبا، فلنلق نظرة على بعضها، وكل تعبير من التعبيرات التالية التي تدور حول اللغة سواء أكان مقصودا به أن يكون تعريفا أم لا يثير

نقطة أو أكثر مما سيشغلنا فيما بعد، وهذه التعبيرات مأخوذة كلها من الأعمال الأساسية لمشاهير اللغويين، وإذا ما أخذت في مجموعها فسوف تقدم بعض الإشارات التمهيدية للخصائص التي يميل اللغويون -على الأقل- إلى الاعتقاد بضرورتها للغة.

1- تعريف ساير "Sapir"؛ "1921: 8":

"اللغة طريقة إنسانية بحتة غير غريزية لتواصل الأفكار والانفعالات والرغبات بواسطة الرموز المنتجة إنتاجا إراديا"، ويعاني هذا التعريف من

(4/1)

عيوب عديدة، فمهما شرحنا المصطلحات: فكرة وانفعالا، ورغبة إجمالا فمن الواضح أن هناك كثيرا مما تنقله اللغة لا يدخل في إطار أي منها، كما أن مصطلح "فكرة" بصفة خاصة غير دقيق بشكل متأصل، ومن الناحية الأخرى توجد نظم كثيرة من الرموز المنتجة إراديا لا نعدّها لغات إلا بالمعنى المجازي لكلمة لغة، فعلى سبيل المثال ما تشير إليه الآن بشكل شائع عبارة "لغة الجسد" -التي تستخدم الإيماءات، وحركات الجسم، وحركة العين... إلخ- قد تبدو ملائمة لتعريف ساير، وما إذا كانت اللغة إنسانية بحتة غير غريزية يفتح -والحق يقال- مجالا للشك، غير أن القضية كما سنرى هي ما إذا كان من المناسب أن نصف اللغات بالإنسانية البحتة وبانتفاء الغريزية منها، وهذه هي النقطة الرئيسية التي تؤخذ على تعريف ساير.

2- تعريف بلوخ وتراجر "Trager, Bloch":

ورد عن بلوخ وتراجر في كتابهما "Outline of Linguistic Analysis" التعريف التالي: "اللغة نظام اجتماعي من الرموز المنطوقة الاعتبارية تتعاون به مجموعة اجتماعية، ويلفت النظر في هذا التعريف أنه على العكس من تعريف ساير لا يعطي أي اهتمام للوظيفة الاتصالية إلا على نحو غير مباشر وعلى سبيل التضمن، وبدلا من ذلك يضع التأكيد كله على الوظيفة الاجتماعية وهو إذ يفعل ذلك -كما سنرى بعد- يأخذ وجهة نظر أكثر ضيقا للدور الذي تلعبه اللغة في المجتمع، ويختلف تعريف بلوخ وتراجر عن تعريف ساير من حيث إنه قدم خاصية العرفية، وحصر بشكل واضح اللغة في اللغة المنطوقة "الأمر الذي يجعل ثمة تناقضا في عبارة "اللغة المنطوقة"، ويستخدم مصطلح اعتبارية هنا استخداما خاصا إلى حد ما سنعود إليه مرة أخرى، وسنعود كذلك إلى

قضية العلاقة التي تربط بين اللغة والكلام، ويتطلب كل ذلك أن يقال في هذه النقطة إنه يقدر ما تلقى اللغات الطبيعية من اهتمام فإن

(5/1)

هناك علاقة وثيقة بين اللغة والكلام، ومنطقيا فإن الأخير "الكلام" يفترض سلفا الأول "اللغة" أي: إن المرء لا يستطيع الكلام دون استخدام اللغة "أي: بدون التكلم بلغة معينة"، لكن من الممكن أن يستخدم اللغة دون أن يتكلم، ومع ذلك فمن المسلم به أن اللغة مستقلة استقلالاً منطقياً عن الكلام، وهناك مبرر جيد لأن تقول إنه في كل اللغات الطبيعية - كما نعرفها - أولوية تاريخية - وربما بيولوجية - للكلام على الكتابة، وهو ما يأخذ به معظم اللغويين.

3- تعريف هاله "Hall":

ورد عن هاله في كتابه: "Essay on Language" التعريف الآتي: "اللغة نمط اجتماعي منظم يتواصل بها البشر ويتفاعل بها الواحد مع الآخر بواسطة الرموز الاعتبارية المسموعة - المنطوقة المعتاد استخدامها" وفيما بين النقاط التي نلاحظها هنا أولها على الإطلاق: حقيقة ورود كل من "التواصل"، و"التفاعل" في التعريف "ولفظة التفاعل أكثر شمولاً من التعاون الواردة في التعريف السابق"، والثاني: إن مصطلح "مسموعة - منطوقة" يمكن أن يكافئ مصطلح "منطوقة" ولا يختلف عنه إلا في إشارته إلى السامع والمتكلم على حد سواء "أي: إلى المرسل والمستقبل للرموز المنطوقة التي نتعرف عليها بوصفها أقوالاً لغوية"، ويتعامل هاله مع اللغة - مثل سابير - على أنها نظام إنساني إنساني بحت، ومصطلح نمط اجتماعي منظم يوضح صراحة وجهة النظر إلى تذهب إلى أن اللغة التي يستخدمها مجتمع بعينه جزء من ثقافته، ومرة أخرى اختصت خاصة الاعتبارية من ضمن مجموعة الخصائص بملاحظة موجزة. وأكثر العناصر الواردة في تعريف هاله أهمية - رغم ذلك - استخدامه مصطلح "معتاد استخدامها" وثمة أسباب تاريخية لهذا الأمر فلقد تأثر كل من

(6/1)

علم اللغة، وسيكولوجية اللغة بنظريات السلوكيين في المثير والاستجابة تأثرا قويا حوالي ثلاثين عاما لا سيما في أمريكا، واكتسب مصطلح "عادة" في الإطار النظري للسلوكية دلالة خاصة إلى حد ما، وقد استخدم هذا المصطلح للإشارة إلى جوانب سلوكية يمكن تمييزها بالاستجابات التي تقابل مثيرات معينة كما يمكن التنبؤ بها إحصائيا، وكثير مما لا نعتقد فيه عادة أنه "عادة" يقع في إطار مصطلح السلوكيين، وكثير من الكتب الأساسية في علم اللغة تعكس هذا الاستخدام التخصصي إلى حد ما مع ما تختاره وتلزم نفسها - على الأقل - بشكل أو بآخر من أشكال نظرية المثير والاستجابة الخاصة بالسلوكيين فيما يتصل بالاستخدام اللغوي واكتساب اللغة، ومن المقبول الآن بشكل عام أن هذه النظرية إن لم تكن قابلة للتطبيق تماما فإمكانية تطبيقها محدودة للغاية في علم اللغة وسيكولوجية اللغة على حد سواء.

ومن المفترض أن هاله يعنى باللغة "الرموز" الإشارات المنطوقة التي تنتقل بالفعل من المرسل إلى المستقبل في عملية الاتصال والتفاعل، وأصبح واضحا الآن أنه ليس هناك معنى لمصطلح "عادة" - بالمعنى التخصصي أو غير التخصصي - تكون أقوال اللغة فيه عادات أو مؤسسة من خلال العادات؟ وإذا كانت كلمة رمز لم تستخدم للدلالة على أقوال اللغة فحسب ولكنها استخدمت كذلك للدلالة على الكلمات والعبارات التي تكونها فإنه سيظل من الخطأ أن تتضمن أن المتكلم يستخدمها كلون من العادات في مناسبات خاصة بها، ومن أكثر الحقائق أهمية عن اللغة أنه لا توجد - بصفة عامة - علاقة بين الكلمات والسياقات التي تستخدم فيها للدرجة التي يمكن أن نتنبأ بذكر كلمات معينة - مثلما يمكن أن يتنبأ به عن السلوك المعتاد - من السياقات نفسها، فعلى سبيل المثال لا نطق عادة قولاً يتضمن كلمة طائر كلما وجدنا أنفسنا في موقف نرى فيه طائرا

(7/1)

مع أنه أكثر السياقات مدعاة لذكر هذه الكلمة وعليه فإن اللغة كما سنرى بعد استجابة حرة.

4- تعريف روبنز "Robins"

لم يقدم لنا روبنز "14.9: 1979a" تعريفا للغة مطابقا للمواصفات فقد كان على حق حين رأى أن مثل هذه التعريفات "تتجه نحو الابتذال وعدم الفائدة ما لم تفترض سلفا

بعض النظريات العامة في اللغة وفي التحليل اللغوي" لكنه صنع قائمة من الحقائق البارزة "الواجب أخذها في الاعتبار لدى أية نظرية جادة وهادفة" وناقشها، وقد ذكر في الطبقات المتتابعة لهذا الكتاب القيم أن اللغة نظام من الرموز: يتأسس معظمها على العرف البحث أو الاعتباري غير أنه أكد تأكيد خاصا على مرونة تلك الرموز وقابليتها للتغير والتكيف، وربما لم تكن هناك مخالفة منطقية بين الرأي الذي يذهب إلى أن اللغات نظم للعادة "مع تفسير العادة بالمعنى الخاص" والرأي الذي أوضحه روبنز، ونظام العادة -رغم كل ما يمكن إدراكه- يتغير عبر الزمن بما يتفق مع الاستجابة لتغير احتياجات مستخدميه، لكن مصطلح "عادة" ليس مصطلحا من المصطلحات التي نربطها عادة بالسلوك القابل للتعديل والتكيف، وسنكون في حاجة إلى التركيز على فكرة الممدودية غير المحدودة فيما بعد، وسنرى حينئذ أنه يجب أن نفصل بين ممدودية نظام ما وقدرته على التحويل وممدودية مخرجات هذا النظام وقدرتها على التحويل، ومن الأهمية كذلك أن ندرك أنه يقدر ما يلقي النظام من عناية فإن بعض أنواع الممدودية والتحويرية - نظريا- أكثر أهمية من غيرها، فعلى سبيل المثال حقيقة أن الكلمات الجديدة تدخل مجموعة مفردات لغة من اللغات في أي وقت من الأوقات أقل كثيرا في الأهمية من الناحية النظرية- من حقيقة أن الأبنية النحوية الجديدة يمكن أن تنشأ-وتنشأ- بمعنى الوقت، وأحد الموضوعات الرئيسية في علم اللغة ما إذا

(8/1)

كانت هناك أية حدود لهذا النوع الأخير من إمكانية التحويل، وإذا كان الأمر كذلك فما هي تلك الحدود.

5- تعريف تشومسكي "Chomsky":

والتعريف الأخير الذي نقتبسه هنا يثير ملاحظة مختلفة تماما: "من الآن سأعتبر اللغة مجموعة "محدودة أو غير محدودة" من الجمل، كل جملة محدودة من حيث الطول وتتركب من مجموعة محدودة من العناصر" وهذا التعريف مأخوذ من كتاب تشومسكي "Syntactic Structures" الذي أحدث لشهر الحركة التي عرفت باسم النحو التحويلي، ويقصد هذا التعريف -بخلاف التعريفات السابقة- تغطية جوانب كثيرة من اللغات الطبيعية، غير أن اللغات الطبيعية كلها- تبعا لتشومسكي- في صورتها المكتوبة والمنطوق لغات حسب تعريفه ما دام لكل لغة طبيعية عدد محدود من الأصوات "وعدد

محدود من الحروف الأبجدية على افتراض أنها ذات نظام ألفبائي للكتابة"، وطالما أمكن تمثيل الجمل فيها -والتي ربما كانت غير محدودة- بتتابعات محدودة من هذه الأصوات "أو الحروف"، ومهمة اللغوي أن يصف لغة طبيعية ما حتى يمكن التمييز بين العناصر المتتابعة المحدودة التي يمكن اعتبارها جملة والتي لا يمكن اعتبارها كذلك، وهي أيضا مهمة اللغوي النظري الذي يفسر سؤال: "ما اللغة؟" كما لو أن معناه: "ما اللغة الطبيعية؟" ليكتشف -إن استطاع- الخصائص البنيوية -إن وجدت- التي تتميز بها اللغة الطبيعية عن تلك التي تقابلها وتسمى لغة غير طبيعية. وما اعتقده تشومسكي وأكد عليه بشكل متزايد في عمله الأخير ليس حقيقة وجوده هذه الخصائص البنيوية فحسب، ولكن كونها تجريدية ومعقدة

(9/1)

كذلك، وأنها خاصة بدرجة عالية لأداء أغراضها حتى إنه قد لا يمكن بدء تعلمها بعد الفترة التي يواجه فيها الطفل الصغير مشكلة اكتساب لغته القومية ويجب أن تكون معروفة للطفل بدرجة ما بشكل سابق عن خبرته بأي لغة طبيعية ومستقل عنها، ومستخدمة منه في عملية اكتساب اللغة، ولهذا يتمسك تشومسكي بوجهة النظر هذه حتى إنه ليصف نفسه بأنه عقلائي أكثر منه تجريبي، وسنعود مرة أخرى إلى هذا القضية "انظر 7 - 4".

وتعريف تشومسكي اللغة المقتبس هنا يختلف كثيرا عن التعريفات الأخرى من حيث المحتوى والأسلوب، فهو لا يذكر شيئا عن الوظيفة الاتصالية الخاصة باللغات الطبيعية واللغات غير الطبيعية، ولم يذكر شيئا عن الطبيعة الرمزية لعناصرها أو لتتابعاتها، وغايته أن يركز الانتباه على الخصائص البنيوية للبحث للغات وعلى فكرة أن هذه الخصائص يمكن أن تبحث بطريقة واضحة وضوح الرياضيات، وإسهام تشومسكي الرئيسي في علم اللغة أنه أعطى تأكيدا خاصا على ما يطلق عليه تبعية البنية "dependence structure" العمليات التي تتركب من خلالها الجمل في اللغات الطبيعية، وأنه صاغ نظرية عامة في النحو تأسست على تحديد خاص لهذه السمة "انظر: 4 - 6".

والتعريف الخامس الذي اقتبسناه من قبل وناقشناه باختصار يعمل على إدخال بعض الخصائص التي جعلها بعض اللغويين سمات جوهرية للغات التي تعرفها، ويتبنى معظم اللغويين وجهة النظر التي تذهب إلى أن اللغات نظم من الرموز التي صممت لغرض

الاتصال، وهو ما سنراه في القسم المعنون بوجهة نظر سيمولوجية، وعلم الإشارة كما سنرى فرع علمي يختص ببحث السلوك الرمزي والاتصال، والقضية التي تعيننا في هذه النقطة ما إذا كانت

(10/1)

هناك خاصة بسيطة أو مجموعة من الخصائص التي تميز اللغات الطبيعية عن النظم الإشارية الأخرى، وبعض الخصائص التي ذكرناها هنا- الاعتبارية والمرونة، والقدرة على التحويل، والتحرر من تحكم الإثارة، وتبعية البنية، وستضاف إلى هذه الخصائص خصائص أخرى في سياقها المناسب¹ وسنتناول العلاقة بين اللغة والكلام في "1 - 4".

1 أضاف دافيد كريستال في "المعجم الأساسي لعلم اللغة وعلم الأصوات" خاصة أخرى للغة الإنسانية وهي إمكانية التعلم وتشير إلى أن أي لغة يمكن من حيث المبدأ أن يكتسبها أي طفل عادي متى أخذ فرصته لذلك:

(11/1)

ثالثاً: السلوك اللغوي والنظم اللغوية

قد حان الوقت -على كل حال- لرسم المميزات الضرورية للمعنى الواقع في إطار مصطلح لغة، وقد سبق لي أن أشرت إلى الفارق بين اللغة بصفة عامة "وهو ما يشير إليه المصطلح الفرنسي "Langage"" واللغة المعينة "وهو ما يشير إليه المصطلح الفرنسي "Langue""، وبالمثل نجد الصفة من هذا المصطلح لغوي¹ "Linguistie" غامضاً كذلك "حتى عندما يكون من الممكن تعلقه باللغة أكثر من علم اللغة" فعلى سبيل المثال عبارة "القدرة اللغوية" التي استخدمها تشومسكي، وتابعه آخرون للإشارة إلى اتقان شخص ما للغة

1 يمكن أن يستخدم هذا الوصف على النحو التالي:

1- الصفة من كلمة "لغة" "Language" كما في الفلسفة اللغوية

"Linguistic philosophy" والمهارة اللغوية "Linguistic"

"Linguistic minority" والأقلية اللغوية "Linguistic skill".

2- الصفة من "علم اللغة" "Linguistics" وذلك كما في التحليل اللغوي
"Linguistic analysis & Linguistic" والحدس اللغوي "Linguistic intuition"،
والأطلس اللغوي "Linguistic atlas"

(11/1)

ما تعني في الإنجليزية الدارجة -بالإضافة إلى الدلالة التي يقصدها تشومسكي وأتباعه-
القدرة أو السهولة التي يمتلكها شخص ما لاكتساب اللغة عموما وليس لاكتساب لغة
بعينها "وعندما تستخدم كلمة لغة استخداما وصفيا في الأسماء المركبة تخضع للنوع نفسه
من الغموض انظر: القدرة اللغوية: "Language competence" واكتساب
اللغة "Language acquisition" ومن المعتاد ألا يكون لهذا اللبس أثر إذ
يتحدد وفقا للسياق وسأفصل بين المعنيين كلما كان ذلك ضروريا.

وحتى تستخدم لغة واحدة بعينها دون لغة أخرى عليك أن تسلك طريقا دون آخر،
وكل من اللغة -عموما- واللغات المعنية يمكن أن ينظر إليها على أنها سلوك أو نشاط
بعض هذا السلوك أو النشاط -على الأقل- يمكن ملاحظته وتعرفه بوصفه سلوكا لغويا
ليس من قبل المراقبين المشاركين "أي: المتكلمين والمستمعين بقدر ما نحصر اهتمامنا في
اللغة المنطوقة" فحسب، ولكن أيضا من قبل المراقبين غير المشاركين حينئذ في ذلك
السلوك الاتصالي المشترك على وجه الخصوص، وفوق هذا فإن جوهر السلوك اللغوي
ينبغي أن يكون بصفة عامة إن لم يكن في كل مناسبة هو الاتصال، وقد يكون من
الممكن للمراقبين من الخارج أن يتعرفوا موضوع السلوك اللغوي حتى لو لم يكونوا على
معرفة باللغة المعنية المستخدمة ولم يكن في مقدورهم تفسير الأقوال التي تعد نتاج
السلوك موضع الملاحظة.

إذن يمكن أن ينظر إلى اللغة -وبشكل مبرر بما فيه الكفاية- من وجهة نظر سلوكية
"وليست بالضرورة هي وجهة نظر المدرسة السلوكية"، غير أن اللغة -عموما- واللغات
المعينة يمكن أن ينظر إليها من زاويتين أخريين على الأقل، ترتبط إحداها بالتحديد
الاصطلاحي الذي رسمه تشومسكي فيما بين

(12/1)

القدرة، والأداء، وترتبط الأخرى بـمميز يختلف إلى حد ما رسمه دي سوسير في اللغة الفرنسية مع مطلع هذا القرن بين اللغة "Langue" والكلام "parole" وعندما نقول: إن أحد الأفراد يتكلم الإنجليزية فإننا نعني أحد أمرين: إما أنه يشترك عادة أو عرضاً في هذا النوع المعين من السلوك أو أن لديه القدرة على الاشتراك في هذا النوع "سواء أكان يستخدمها أم لا"، ونشير إلى الأمر الأول بما يسمى الأداء ونشير إلى الأمر الثاني بما يسمى القدرة، ونستطيع أن نقول إن الأداء يفترض سلفاً القدرة بينما لا تفترض القدرة سلفاً الأداء، مع افتراض أن التمييز بين القدرة والأداء متفق عليه نسبياً، وتنسب نقطة أخرى لتشومسكي إذ مهما فسرنا بشكل إجمالي مصطلح "القدرة اللغوية" فمن الواجب أن نلاحظ أن السلوك اللغوي لأشخاص معينين في مناسبات معينة يحدده عوامل أخرى علاوة على القدرة اللغوية، وهناك الكثير ممن تناوله تشومسكي بالشرح المفصل لفكرة القدرة اللغوية تختلف حوله الآراء اختلافاً بعيداً، غير أن هذا لا يعنيننا في الوقت الحاضر "انظر 7 - 4"، ويكفي هنا أن نذكر -تبعاً لتشومسكي- أن اللغوي لا يصف عند وصفه لغة معينة الأداء "أي: السلوك" بل يصف القدرة الخاصة بالمتكلمين بها، ويقدر ما تكون هذه القدرة لغوية بحتة يتركز عليها آداؤهم ويصبح ممكناً من خلالها، فالقدرة اللغوية لشخص ما هي معرفته بلغة معينة، ومن هنا كان اهتمام علم اللغة بتمييز المحددات الخاصة بالقدرة اللغوية وتقديم تفسير نظري مقنع لها، وهو ما يصنف تبعاً لتشومسكي إلى فرع علم النفس المعرفي.

والتمييز بين اللغة "Langue" والكلام "Parole" -كما رسمه دي سوسير لأول مرة- يشمل عدداً من المميزات المستقلة بشكل مقنع، وأكثر هذه المميزات أهمية ما يميز بين ما هو موجود بالقوة وما هو موجود بالفعل من

(13/1)

جهة وبين ما هو اجتماعي وما هو فردي من جهة أخرى "انظر: 7 - 3"، وما أسماه دي سوسير لغة "Langue" هو أي لغة معينة تكون ملكية مشتركة لكل أفراد جماعة لغوية معينة "أي: لكل أولئك المسلم بأنهم يتكلمون اللغة نفسها"، والمصطلح الفرنسي "Langue" -وهو كما رأينا- مصطلح بسيط من تلك الكلمات المعتادة التي تحمل معنى اللغة يترك عادة بلا ترجمة في اللغة الإنجليزية عندما يستخدم استخداماً اصطلاحياً

حسبما عناه دي سوسير، وسأدخل مصطلح النظام اللغوي بديلا عنه وسوف نجعله مقابلا للسلوك اللغوي على الأقل من حيث المبدأ فيما يتصل بثنائية دي سوسير: اللغة والكلام، والنظام اللغوي ظاهرة اجتماعية أو نمط اجتماعي منظم وهي في حد ذاتها تجريدية بحتة ليس له وجود فيزيائي لكنه يتحقق في مناسبات معينة في السلوك اللغوي لأفراد الجماعة اللغوية وعليه فإن ما يسميه تشومسكي القدرة اللغوية لا ينطبق بسهولة كافية على النظام اللغوي بل ينطبق على معرفة المتكلم العادي للنظام اللغوي، غير أن دي سوسير أعطى تأكيدا خاصا للطابع الاجتماعي في النظام اللغوي، ولذلك اعتقد أن علم اللغة أكثر ارتباطا بعلم الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعي منه بعلم النفس المعرفي، وقد أخذ بوجهة النظر هذه كثير من اللغويين الآخرين، ومع ذلك يتمسك غيرهم بأن النظم اللغوية يمكن بل يجب أن تدرس دراسة مستقلة عن متعلقاتها الاجتماعية والسيكولوجية، وسنعود إلى هذه النقطة في الفصل الثاني ودعنا الآن نذكر ببساطة أنه عندما نقول إن اللغوي يهتم باللغة فإننا نعني ضمنا أنه يهتم أساسا ببنية النظم اللغوية.

(14/1)

رابعا: اللغة والكلام

من المبادئ الأساسية لعلم اللغة الحديث أن اللغة المنطوقة أساسية أكثر من اللغة المكتوبة، ورغم ذلك فإنه لا يعني أن اللغة تطابق الكلام فمن الواجب أن يقيم حدا فاصلا بين الإشارات اللغوية والأداة التي تتحقق من خلالها تلك الإشارات، لذلك فإنه من الممكن أن نقرأ بصوت مرتفع ما هو مكتوب ومن الممكن كذلك أن نكتب ما نقوله ويستطيع المتكلمون المثقفون من أبناء اللغة أن يجربوا -بصفة عامة- عما إذا كانت عملية تحويل الإشارات اللغوية من وسيلة إلى أخرى قد تمت بطريقة سليمة أم لا، ويقدر حرية اللغة في اتخاذ الوسيلة التي تتحقق من خلالها إشارتها اللغوية سنذهب إلى أن اللغة لها خاصية إمكانية تغيير الوسيلة، وهذه الخاصية ذات أهمية قصوى ولا تتطلب من المرء سوى اهتمام ضئيل في مجال مناقشتنا لطبيعة اللغة، وهي خاصية تعتمد -كما سنرى- على خصائص أخرى وتسهم معها في مرونة النظم اللغوية وقدرتها على التكيف. إذن كيف تعد اللغة المنطوقة أساسية أكثر من اللغة المكتوبة؟ ولماذا يميل كثير من اللغويين إلى اعتبار أهم الخصائص الواضحة للغات الطبيعية كونها نظما إشارية منطوقة؟

أول هذه الأسباب أن اللغويين رأوا أن من واجبه تصحيح التحيز الموجود في النحو التقليدي والتعليم التقليدي للغة، فحتى وقت قريب كانت معظم عناية النحويين تكاد تقتصر على لغة الأدب، ويحصل الكلام العامي الدارج على قليل من الاهتمام، وقد كانوا جميعا -عادة- يتعاملون مع معايير الاستخدام الأدبي على أنها معايير الصواب للغة ذاتها، وكانوا يدينون الاستخدام

(15/1)

الدارج فهو بقدر ما يختلف عن الاستخدام الأدبي غير صحيح نحويا أو وضعيا أو حتى غير منطقي، وقد حدث تقدم كبير في القرن التاسع عشر في إطار بحث التطور التاريخي للغات، فقد أدرك العلماء بشكل أكثر وضوحا من ذي قبل أن التغيرات في لغة النصوص المكتوبة في مراحل مختلفة -تغيرات مثل التي تمت عبر القرون لتحول اللغة اللاتينية إلى اللغات الفرنسية أو الإيطالية أو الإسبانية- يمكن على سبيل المثال أن تتضح من خلالها التغيرات التي حدثت في اللغة المنطوقة الناطقة للغة النصوص المكتوبة، واستمرارية اللغة الواحدة عبر الزمن وفي المكان الواحد غامض إلى حد بعيد في النصوص المكتوبة في الزمن الماضي والتي جاءت عبر الاتجاه المحافظ لتقاليد النسخ في ثقافات عديدة كما جاءت عبر الاستخدام المستمر في فترات زمنية طويلة في الوثائق الدينية والقانونية وفي الأدب بأسلوب الكتابة العتيق إلى حد بعيد، وكل اللغات الأدبية العظمى في العالم أخذت -في النهاية- من اللغة المنطوقة لجماعات معينة، وأكثر من ذلك فإنه من قبيل المصادفة التاريخية أن يكون استخدام منطقة أو طبقة اجتماعية أساسا لتطور اللغة الأدبية المشتركة في مجتمعات بعينها، ونتيجة لذلك ينظر الآن للهجات المناطق الأخرى أو الطبقات الاجتماعية الأخرى على أنها كما تكون عادة أقل مرتبة أو دون مستوى اللغة المشتركة أو على أنها أشكال مختلفة للغة، وهو ما يشكل دعامة للانحياز التقليدي في تفضيل اللغة المشتركة في شكلها المكتوب لدرجة تجعل من العسير على اللغوي أن يقنع غير المتخصصين بحقيقة أن اللهجات غير المشتركة -بصفة عامة- ليست أقل نظاما أو أطرا من اللغات الأدبية المشتركة، وأن لتلك اللهجات معايير الصواب الخاصة بها الكامنة في استخدام متكلميها الأصليين، وأول المهام التي تواجه دارسي علم اللغة، وأكثرها صعوبة أن يكتسبوا القدرة على أخذ

(16/1)

اللغة المنطوقة في الاعتبار في عباراتها الخاصة بها دون الاعتقاد في أن نطق كلمة أو عبارة يحددها أو يجب أن يحددها هجاؤها.

والرغبة في إعادة التوازن من حيث تعاطف البحث الحاييد مع الكلام واللغة المنطوقة لا تحقق -بطبيعة الحال- تبني مبدأ أن اللغة المنطوقة أكثر أساسية -وليس ببساطة لا تقل أساسية- عن اللغة المكتوبة، لكن ماذا تعني كلمة أساسية هنا؟ الأولوية التاريخية للكلام على الكتابة لا تفسح مجالا للشك، ولا نعرف أن هناك مجتمعا موجودا أو كان موجودا يوما ما لم تكن لديه القدرة على الكلام، وعلى الرغم من أن اللغات كما نراها اليوم في معظم أنحاء العالم إما مكتوبة أو منطوقة فإن الأغلبية العظمى من المجتمعات كانت إلى وقت قريب أمية تماما أو تسود فيها الأمية، ومع ذلك فالأولوية التاريخية أقل أهمية من الأنواع الأخرى للأولويات التي يتضمنها مصطلح أساسية في هذا السياق وهي الأولوية البنيوية، والأولوية الوظيفية، والأولوية البيولوجية التي يمكن إثباتها.

ويمكن أن تشرح الأولوية البنيوية للغات المنطوقة كما يلي: إننا إذا أهملنا -لحظة- أية اختلافات في الأسلوب يمكن أن توجد بين اللغتين المتناظرتين المكتوبة والمنطوقة، وافترضنا أن كل جملة منطوقة مقبولة يمكن أن تتحول إلى جملة مكتوبة مقبولة، وبالعكس لما كان لدينا سبب يدعونا إلى التفكير في أيهما قد أخذ من الآخر إلا أن يكون الأمر حقيقة تاريخية، وتعتمد بنية الجمل المكتوبة على مميزات شكلية يمكن تحديدها، وتعتمد بنية الجمل المنطوقة على مميزات صوتية يمكن تحديدها، وفي الحالة المثلى نظريا الخاصة بالتناظر المباشر الذي يربط بين الجمل المنطوقة والجمل المكتوبة فإن كل جملة مكتوبة ستكون متماثلة في الشكل "أي: لها البنية الداخلية نفسها" مع الجملة المنطوقة المناظرة لها، فعلى سبيل المثال إذا كانت الجمل المكتوبة تستخدم نظام الكتابة

(17/1)

الألفبائي فإن حروفا معينة ستقف في حالة تناظر مع أصوات معينة، وستقف مجموعات معينة من الحروف باعتبارها كلمات أو عبارات في حالة تناظر مباشر مع مجموعات معينة من الأصوات، ولا تحوز كل مجموعة من الحروف القبول كما لا تحوز كذلك كل مجموعة من الأصوات القبول، لكن هناك اختلافا هاما بين الحروف والأصوات في هذا الشأن، فالإمكانات التي تستخدمها الأصوات في لغة معينة ليرتبط صوت بآخر تعتمد اعتمادا

جزئيا على خصائص الوسيلة نفسها "تراكيب معينة من الأصوات لا يمكن نطقها أو من العسير نطقها"، وتعتمد جزئيا على تقييدات أكثر خصوصية تتعلق بتلك اللغة وحدها، وإمكانات الحروف في ربط حرف بآخر لا يمكن التنبؤ بها بشكل كامل من خلال أشكالها، ومع ذلك يمكن التنبؤ إلى حد ما بها في كل اللغات التي تستخدم نظام الكتابة الألفبائي من خلال ارتباط أشكال معينة بأصوات معينة ومن خلال إمكانية ارتباط صوت بآخر في الكلام، لذلك فإنه -فيما يتصل بهذا الموضوع- تكون اللغة المنطوقة أكثر أساسية من الناحية البنيوية من اللغة المكتوبة حتى لو كان ثمة تشاكل -على الأقل في النموذج النظري- على مستوى تلك الوحدات الأوسع كالكلمات والعبارات، ويجب أن يلاحظ أن هذه النقطة لا تتعلق باللغات التي تستخدم نظاما للكتابة لا ترتبط فيه أشكال معينة بأصوات معينة ولكنها ترتبط بالكلمات، فهي لا تتعلق على سبيل المثال باللغة الصينية الكلاسيكية المكتوبة بخصائصها التقليدية كما لا تتعلق باللغة المصرية القديمة المكتوبة بالهيروغليفية، ويرجع ذلك -بشكل عام- إلى عدم وجود أولوية بنيوية للغة المنطوقة على اللغة المكتوبة، أما في اللغة الصينية فإن اللغة المكتوبة الواحدة تناظر اللهجات المنطوقة التي تتميز الواحدة عن الأخرى تميزا كبيرا، ولا يمكن لأبناء هذه اللهجات أن يفهم بعضهم بعضا إلى حد كبير.

(18/1)

والأولوية الوظيفية أكثر سهولة في شرحها وفهمها فحتى يومنا هذا وفي أكثر المجتمعات البيروقراطية والصناعية الحديثة تستخدم اللغة المنطوقة في نطاق من الأغراض أكثر اتساعا مما تستخدم فيه اللغة المكتوبة، ولا تستخدم الكتابة بديلا وظيفيا للحديث إلا في المناسبات التي يستحيل فيها الاتصال المنطوق المسموع أو ينعدم تأثيره أو الاعتماد عليه، وأمكن بفعل اختراع الهاتف والمسجل أن تستخدم اللغة المنطوقة في الحالات التي كان يتوجب فيها استخدام اللغة المكتوبة في الماضي، إذ كانت تستخدم للاتصال الذي يعتمد على البعد، وفي حفظ الوثائق القانونية والدينية والتجارية التي اخترعت الكتابة أصلا لها، وحقيقة أن النصوص المكتوبة استخدمت لمثل هذه الأغراض الهامة عبر التاريخ وكانت أوثق وأكثر دواما من الأقوال المنطوقة "أو أنها كانت كذلك قبل تطور الوسائل الحديثة لتسجيل الصوت" أسهمت في اتخاذ اللغة المكتوبة شكلا رسميا ومكانة أعظم في كثير من الثقافات.

ونأتى الآن إلى مسألة أكثر إثارة للجدل وهي الأولوية البيولوجية فهناك الكثير مما يدعو إلى الاعتقاد بأن الكائنات الإنسانية مبرمجة مقدما على نحو وراثي ليس لاكتساب اللغة فحسب ولكن أيضا لإنتاج الأصوات اللغوية، وإدراكها وهو ما يعد جزءا من العملية ذاتها، ومن الواضح أن ما يشير إليه اللغوي -بشكل عام- بأعضاء النطق: الرئتان، والوتران الصوتيان، والأسنان، واللسان إلخ كل هذه الأعضاء تؤدي وظائف بيولوجية أكثر أساسية من وظيفة إنتاج الإشارات المنطوقة فمما لا جدال فيه أن الرئتين تستخدمان في التنفس، وأن الأسنان تستخدم في طحن الطعام ... وهلم جرا، ويبدأ كل الأطفال، وعمرهم شهور قليلة في البابأة "ما لم يعانون من عدم القدرة الطبيعية أو من بعض العوائق العقلية" والبابأة التي تشتمل على

(19/1)

إنتاج سلسلة من الأصوات أوسع مما قد تجده في كلام أولئك الذين يتصل بهم الأطفال لا يمكن تفسيرها بتقليد الطفل للأصوات التي يسمعها من حوله كالبعاء، وأكثر من ذلك فمن الممكن أن نبرهن بالتجربة أن الأطفال في مقدورهم وهم في الأسابيع الأولى من حياتهم أن يميزوا بين أصوات اللغة والأصوات الأخرى، وأنهم على استعداد لأن يعطوا انتباههم لها، أما الكائنات العليا التي تقترب من الإنسان فرغم أن لها أجهزة فسيولوجية تشبه ما للإنسان فإنها لا تبدو على نفس الاستعداد لإنتاج الأصوات الإنسانية أو تمييز خصائصها وربما كان ذلك السبب الرئيسي وراء فشل تعليم الشمبانزي اللغة المنطوقة بينما تحقق قدر كبير من النجاح في تعليمها لغات أو نظم شبيهة باللغات إشاراتها تنتجها اليد وتفسرها العين "ومعروف الآن أن جماعات الشمبانزي تتواصل فيما بينها في بيئاتها الطبيعية من خلال الإشارات الإيمائية والإشارات المنطوقة وتبدو الإشارات الإيمائية أكثر تميزا وثراء من النداءات المنطوقة انظر: "1 - 7" وأخيرا فإن هناك حقيقة مؤداها أنه بعد فترة الطفولة يكون نصف مخ الإنسان مختلفين من الناحية الوظيفية فيسيطر أحد نصفي المخ الإنساني على القيام بعمليات معينة، والجانب الأيسر من المخ عند أغلب الناس هو الذي يقوم بمعالجة الإشارات اللغوية وهو أفضل من النصف الأيمن من حيث معالجة الأصوات اللغوية لا الأنواع الأخرى من الأصوات.

وشاهد من هذا النوع على الرغم من أنه غير قاطع إلا أنه مثير للتفكير بدرجة عالية

فتبعاً لأحد الافتراضات المقنعة تطورت اللغة الإنسانية - في بعض المراحل الخاصة بتطور الجنس البشري- من نظام اتصالي إيمائي أكثر منه نطقي، وثمة أسباب عديدة وراء احتمال حدوث ذلك وبغض النظر

(20/1)

عن صحة هذا الافتراض فإن الشاهد الذي ورد مختصراً في الفقرة السابقة يشير إلى أنه فيما يتصل بالإنسان في حالته الراهنة من التطور النشوي تعد الأصوات وبالأخص سلسلة الأصوات المسموعة التي يمكن أن تنتجها أعضاء النطق الإنسانية الوسيلة الطبيعية أو الأساسية من الناحية البيولوجية التي تتحقق بها اللغة، وإذا كان الأمر كذلك فهناك مبرر للغويين ليس لاستخدامهم مصطلح أعضاء النطق فحسب، ولكن أيضاً لافتراضهم علاقة ليست عارضة بين اللغات والكلام.

ورغم ذلك تظل حقيقية وجود اختلاف بين الأولوية البيولوجية والمنطقية وكما أكدنا من قبل فإن اللغة درجة عالية من قابلية التحول في الوسيلة، وفي المجرى المعتاد للأحداث يكتسب الأطفال إتقان اللغة المنطوقة اكتساباً طبيعياً "أي: بفضل الموهبة الطبيعية البيولوجية وبدون تدريب خاص" أما القراءة والكتابة فكلتاهما مهارة خاصة يكتسبها الأطفال من خلال برامج تعليمية تعتمد على المعرفة السابقة باللغة المنطوقة، ورغم ذلك فإن الكبار وليس الأطفال وحدهم في استطاعتهم أن يكتسبوا القراءة والكتابة دون صعوبة مفرطة، ومن الممكن إلى حد بعيد -رغم أنه ليس معتاداً- أن يتعلم المرء اللغة المكتوبة دون معرفة مسبقة باللغة المنطوقة المرتبطة بها، ومن الممكن كذلك أن يتعلم المرء نظاماً اتصالياً من الإشارات الإيمائية التي لا تعتمد على اللغة المنطوقة كما لا تعتمد على اللغة المكتوبة، وذلك مثل بعض النظم التي يستخدمها الصم والبكم، وإذا كان من الممكن أن نكتشف مجتمعاً يستخدم نظاماً اتصالياً كتابياً أو إيمائياً له كل الخصائص المميزة للغة لكنه لم يتحقق أبداً من خلال الوسيلة المنطوقة فإننا بالتأكيد سنشير إلى هذا النظام الاتصالي على أنه لغة، لذلك يجب ألا يؤكد المرء كثيراً على الأولوية البيولوجية للكلام.

(21/1)

وعلاوة على ذلك فإنه عندما نصل إلى قضية وصف لغات بعينها فإن هناك مبررا جيدا
لتعامل اللغوي مع اللغتين المتناظرتين المكتوبة والمنطوقة على أنهما متماثلتان في الشكل
بدرجة أو بأخرى، فالتطابق التام لا يكون إلا في النموذج النظري - كما قلنا من قبل -
فلم يخترع بعد نظام للكتابة يمدنا بما يمثل كل الخصائص المميزة للكلام "بخلاف نظم
الكتابة الصوتية التي صاغها علماء الأصوات لهذا الغرض وحده" ويتبع ذلك أن هناك
- بشكل عام - طرقا عديدة مختلفة لنطق الجملة الواحدة المكتوبة، وتختلف هذه الطرق
من حيث النبر، والتنغيم ... إلخ، وتؤدي علامات الترقيم واستخدام الحروف المكتوبة
بالخط المائل والحروف الاستهلاكية الكبيرة التي تبدأ بها الجملة كثيرا مما يقوم به النبر
والتنغيم في اللغة المنطوقة من أغراض غير أن الأولى لا تستطيع أن تمثل الأخيرة تمثيلا
كافيا، ويجب أن تأخذ حقيقة أنه يوجد دائما اختلاف بنيوي، ووظيفي بين اللغتين
المنطوقة والمكتوبة التي تناظر الواحدة منهما الأخرى تقديرا مناسبا كذلك، ويتنوع مدى
الاختلاف - لأسباب تاريخية وثقافية - من لغة إلى أخرى، ففي اللغة العربية واللغة
التأملية - على سبيل المثال - نرى الاختلاف من حيث المعجم والقواعد النحوية كبيرا
الغاية، وهو أقل وضوحا في اللغة الإنجليزية غير أنه حتى في اللغة الإنجليزية توجد كلمات
وعبارات وتراكيب نحوية نشعر أنها عامية للغاية بالنسبة للغة المكتوبة "مثل: " Load
of old cobbe " أو بالعكس أدبية للغاية بالنسبة للغة المنطوقة " مثل:

any arrangements made heretofore "

"sorwithstandigo

ويكشف المصطلحان: عامي وأدبي أمورا، فهناك فاصل واضح - من حيث المبدأ - بين
العامي والمنطوق من ناحية، وبين الأدبي والمكتوب من ناحية أخرى، وهذا الفاصل من
الصعوبة المحافظة عليه عند التطبيق، وبخصوص بعض اللغات لا يثير الفاصل المميز بين
وسيلة وأخرى "الكتابة في مقابل النطق"، ولا الاختلافات الخاصة بالأسلوب "العامي في
مقابل الأدبي" اهتماما كبيرا، وكذلك الأمر في الفاصل المميز بين الاختلافات في
الوسيلة، والاختلافات في اللهجة "المشتركة في مقابل غير مشتركة... إلخ"، والافتراض
النظري للتماثل في الشكل بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة جزء لا يتجزأ مما سيشار
إليه فيما بعد بتصور التجانس.

خامسا: وجهة نظر سيميولوجية

وصفت السيميولوجية وصفا متنوعا على أنها علم الإشارات أو أنها السلوك الرمزي أو أنها النظم الاتصالية، وثمة مناقشات كثيرة في إطار السيميولوجية تتعلق بالاختلاف بين الإشارات والرموز والعلامات، وبمجال مصطلح الاتصال¹، ولأغراضنا الراهنة سنعتبر السيميولوجيا تتعلق بنظم الاتصال، وسوف نفسر مصطلح "اتصال" تفسيرا مجملا إلى حد ما بحيث لا يتضمن بالضرورة اتجاهها نحو تقديم معلومات، ولا يكون ذلك إذا فسرنا المصطلح بالطريقة التي يمكن للمرء أن يتكلم عن الاتصال الحيواني دون أن يبدأ ببعض القضايا الفلسفية المثيرة للجدل.

وثمة تصورات معينة تتصل بالبحث في كل النظم الاتصالية الإنسانية وغير الإنسانية، الطبيعية والصناعية، فالإشارة تمر من المرسل إلى المستقبل "أو مجموعة

1 الاتصال Communication فكرة أساسية في دراسة السلوك تعمل إطارا مرجعيا للدراسات اللغوية والصوتية ويشير الاتصال إلى انتقال رسالة بين المرسل والمستقبل باستخدام نظام إشاري، وفي السياق اللغوي يكون المرسل والمستقبل هما المتكلم والمستمع ويكون النظام الإشاري اللغة.

(23/1)

من المستقبلين" وتأخذ الإشارة شكلا معينا وتحمل معنى معينا "أو رسالة"، والعلاقة بين شكل الإشارة ومعناها يؤسسها ما يعرف بشكل شائع في السيميولوجيا بالشفرة "بالمعنى العام إلى حد ما للمصطلح" فالرسالة يرمز لشفرتها المرسل ويحل شفرتها المستقبل. وتعد اللغات الطبيعية -من وجهة النظر هذه- شفرات، ويمكن مقارنتها بالشفرات الأخرى من جميع النواحي: من ناحية قناة الاتصال التي تمر من خلالها الإشارات، ومن ناحية شكل الإشارات أو بنيتها، ومن ناحية نوع الرسائل التي يمكن أن يرمز لشفرتها أو مجالها وهلم جرا، وتقع المشكلة في تحديد خصائص الشفرات أو النظم الإشارية التي تعمل من خلالها والتي لها أهميتها فيما تهدف إليه عملية المقارنة، وتلك التي لا أهمية لها أو التي هي أقل أهمية، ويجعل هذه المشكلة أكثر تعقيدا أن الكثير من هذه الخصائص التي يمكن أن يختارها المرء باعتبارها خصائص حاسمة يمكن تدرجها، ولهذا فإنه ربما كان مهما للغاية أن نقارن الشفرات من خلال درجة وجود الخاصية المشتركة وليس ببساطة

من خلال وجودها أو عدمه والمقارنات السخيفة إلى حد بعيد التي تعقد بين اللغات ونظم الاتصال التي تستخدمها أجناس معينة من الطيور والحيوانات تقوم -على أساس اختيار خصائص معينة- باستبعاد الخصائص الأخرى وتفشل في أن تولي اهتماما بإمكانية تدرج الخصائص.

وبقدر ما تلقى قناة الاتصال من اهتمام تكون الحاجة إلى الكلام ضئيلة سوى أن اللغة -بخلاف الشفريات التي تستخدمها كثير من الحيوانات إن لم تكن جميعها- تتميز بدرجة عالية إلى حد بعيد بوجود خاصية قابلية التحول في الوسيلة فيها، وقد تناولنا هذه النقطة في القسم السابق، ومفهوم الوسيلة ومفهوم القناة -بالطبع- مرتبطان ارتباطا وثيقا من حيث إن

(24/1)

خصائص الوسيلة مأخوذة من خصائص القناة الطبيعية للتوصيل، ومع هذا فإنه من الأهمية أن نميز بين المفهومين فيما يتصل باللغة، فكلمتا اللغتين المنطوقة والمكتوبة يمكن أن تنتقل عبر قنوات اتصال متنوعة، وعندما نستخدم مصطلح "وسيلة" أكثر من "قناة" فإننا لا نعني بالمرور الفعلي للإشارات في مناسبات معينة، ولكننا نعني بالاختلافات الوظيفية والبنوية المصوغة في صورة نظام والتي تميز بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، وذلك على الرغم من أن المفارقة قد تبدو من الوهلة الأولى في أن اللغة الإنجليزية المكتوبة يمكن أن تنتقل عبر القناة المسموعة المنطوقة "أي: بواسطة الكلام"، واللغة الإنجليزية المنطوقة يمكن أن تنتقل عن طريق الكتابة "على الرغم من أن ذلك غير مرض إلى حد بعيد في الكتابة الهجائية المعتادة".

وربما كانت أكثر خصائص اللغة لفتا للأنظار عند مقارنتها بالشفريات أو بنظم الاتصال مرونتها، وتعدد استعمالاتها، فنحن نستخدم اللغة للتعبير عن انفعالاتنا، ومشاعرنا، أو لكي نلتزم تعاون رفاقنا، أو لكي نصوغ وعودنا ووعيدنا، أو لكي نصدر أوامرنا، أو نوجه أسئلتنا أو لنصوغ أحكامنا، ويمكننا أن نشير إلى الماضي، وإلى الحاضر، وإلى المستقبل وإلى الأشياء البعيدة عن سياق القول وحتى إلى تلك الأشياء التي لا حاجة لوجودها ولس من الممكن إيجادها، وليس هناك نظام اتصال خاص بالإنسان أو بغير الإنسان يبدو أن له شيئا ما يشبه هذه الدرجة من المرونة وقابلية التغير، وفيما بين الخصائص الأكثر وضوحا والتي تسهم في مرونة اللغة وتعدد استعمالاتها "أي: في كل

نظام لغوي وفي أي نظام لغوي " هناك أربع خصائص تذكر بشكل متكرر للتذكر وهي:
الاعتباطية، والازدواجية، والتمايز، والإنتاجية.

(25/1)

1- الاعتباطية يستخدم هذا المصطلح هنا بمعنى خاص إلى حد ما ليعني شيئا ما مثل "تعذر التفسير من خلال بعض المبادئ الأكثر عمومية" وأكثر الأمثلة وضوحا على الاعتباطية في اللغة - والمثال الذي يذكر بشكل أكثر تكرارا- يتصل بالعلاقة التي تربط بين المعنى والشكل، بين الإشارة والرسالة، وهناك أمثلة متفرقة في كل اللغات لما يعرف تقليديا بظاهرة التسمية بالمحاكاة الصوتية: لاحظ العلاقة غير الاعتباطية بين الشكل والمعنى في الكلمات الآتية المسماة بالمحاكاة الصوتية مثل "cuckoo" "peewit" "crash" 2" في اللغة الإنجليزية، غير أن الأغلبية العظمى من الكلمات في كل اللغات غير مسماة بالمحاكاة الصوتية فالعلاقة بين ألفاظها ومعانيها اعتباطية فلفظ كلمة ما لا يمكن أن ينبأ عن معناها كما أن معنى كلمة ما لا يمكن أن ينبأ عن لفظها.
ومن الواضح أن العرفية - بهذا المعنى - تزيد من مرونة نظام الاتصال وتعدد استعمالاته فالتوسع المعجم ليس مقيدا بضرورة التوافق بين الشكل والمعنى من خلال بعض المبادئ الأكثر عمومية، ومن الناحية الأخرى فحقيقة أن حلقة الوصل بين الشكل والمعنى على مستوى الوحدات المعجمية للنظم اللغوية - بشكل عام- اعتباطية لها أثرها في العبء الكبير الذي يقع على الذاكرة في عملية اكتساب اللغة، وارتباط صيغة معينة بمعنى معين يجب أن نعرفه في كل وحدة معجمية بشكل مستقل، إذن الاعتباطية التي من هذا

1 أو العشوائية أو العرفية "arbitrariness" وتفقد بموجبها الصيغ اللغوية أي تناظر فيزيائي مع الموجودات التي تشير إليها في العالم فعلى سبيل المثال ليس هناك شيء في كلمة كرسى تعكس هيئة ذلك الشيء المسمى بها فالعلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة عشوائية باستثناء كلمات قليلة تفصح ألفاظها عن معانيها.
2 المقابل الدلالي لهذه الكلمات الوقوفة، والبويت، ويحطم على الترتيب.

(26/1)

النوع من وجهة النظر السيميولوجية لها فوائدها وأضرارها فهي تجعل النظام اللغوي أكثر مرونة وتكيفاً، لكنها تجعل تعلمه أكثر صعوبة وإرهاقاً كذلك، وتوجد نقطة إضافية فالاعتباطية في أي نظام سيميولوجي تجعل تفسير الإشارات أكثر صعوبة بالنسبة لأي فرد يتصدى لتفسير هذه الإشارات ولا يعرف النظام، ولهذا أيضاً فوائده وأضراره بالنسبة لمستخدمي النظام العاديين، ومن المفترض أن يتفوق الجانب المفيد على الجانب الضار، أما معظم النظم الاتصالية الخاصة بالحيوان ففيها رابطة لا اعتباطية بين شكل الإشارة ومعناها.

ولا تنحصر الاعتباطية بقدر ما تلقى اللغة من اهتمام في العلاقة بين الشكل والمعنى، فهي تتسع كذلك -بدرجة كبيرة إلى حد ما- لما يتعلق بكثير من البنية النحوية الخاصة بلغات معينة بقدر ما تختلف نحوياً الواحدة عن الأخرى، ولم لم يكن الأمر كذلك لكان تعلم اللغات الأجنبية أكثر سهولة.

والأكثر إثارة فرضية تشومسكي التي تذهب إلى أن مقداراً كبيراً مما هو مشترك في البنية النحوية للغات الإنسانية جميعها -بما في ذلك العملية التي هي من نوع خاص إلى حد بعيد والخاصة بتبعية البنية- اعتباطية كذلك بمعنى أنه لا يمكن تفسيرها أو التنبؤ بها من خلال وظائف اللغة، أو الأحوال البيئية التي تكتسب فيها اللغة وتستخدم فيها، أو طبيعة العملية الإدراكية الإنسانية عموماً، أو أي عامل من هذا النوع، ووجهة نظر تشومسكي أن الكائنات الإنسانية موهوبة وراثياً بمعرفة المبادئ العامة للاعتباطية المزعومة التي تحدد الأبنية النحوية في جميع اللغات، وكل ما نحتاج أن نقوله هنا عن هذه النظرية أن اللغويين لا يتفقون جميعاً على أن مثل هذه المبادئ العامة -كما يمكن تأسيسها- اعتباطية بالمعنى المقصود، وكثير من

(27/1)

البحوث الحديثة في علم اللغة النظري تكثر جهودها في محاولة بيان أنها ليست كذلك، وسنعود إلى هذه النقطة في الفصل الثامن.

2- الازدواجية 1 ونعني بها أن اللغة مستويين بنيويين فوحدات المستوى الأساسي تتكون من عناصر المستوى الثانوي ولكلا المستويين أسسه التنظيمية الخاصة، وستلاحظ أنني أدخلت مميزاً اصطلاحياً بين "عنصر" و"وحدة" وهذا ليس مميزاً اصطلاحياً مشتركاً في علم اللغة ومع ذلك فهو ذو ملائمة تفسيرية معينة وسيلتزم به في

هذا الكتاب.

ونستطيع الآن أن نعتبر أن عناصر اللغة المنطوقة هي الأصوات "أو بشكل أوضح كما سيتضح في الفصل الثالث الفونيمات"، ولا تحمل الأصوات في حد ذاتها معنى، ووظيفتها الوحيدة أن يتجمع الواحد منها مع الآخر لتكوين وحدات لها -بصفة عامة- معنى محدد، ويرجع ذلك إلى أن عناصر المستوى الأدنى وهي الأصغر لا معنى لها بينما عناصر المستوى الأعلى وهي الأكبر لها معنى مميز -بصفة عامة إن لم يكن بشكل ثابت- يمكن التعرف عليه، ومن ثم وصفت العناصر بأنها ثانوية ووصفت الوحدات بأنها أساسية، ونظم الاتصال كلها لها مثل هذه الوحدات الأساسية لكن هذه الوحدات ليست بالضرورة مؤلفة من عناصر، ولا يكون للنظام خاصة الازدواجية إلا إذا كانت فيه الوحدات والعناصر كلاهما، ومعظم نظم الاتصال الخاصة بالحيوان لا تنتهج

1 خاصة الازدواجية "duality" وتبدو اللغة بموجها ينتظمها على المستوى البنيوي مستويان مجردان: أولهما المستوى الأعلى حيث نحلل اللغة إلى مجموعات من الوحدات ذات المعنى وهي الوحدات الصرفية أو المورفيمات أو الكلمات وثانيهما المستوى الأدنى حيث تبدو اللغة سلسلة من القطع الصوتية "segments" لا معنى لها لكنها تتجمع لتكون وحدات ذات معنى.

(28/1)

هذا النهج -بشكل واضح- وتلك التي تنتهج هذا النهج لا تتركب وحداتها الواحدة مع الأخرى بالطريقة التي تتركب بها الكلمات الواحدة مع الأخرى في كل اللغات الإنسانية لتكون العبارات والجمل.

وفائدة الازدواجية أنه يمكن أن نركب عددا ضخما من الوحدات المختلفة من عدد صغير من العناصر، فعدة آلاف من الكلمات -على سبيل المثال- تتركب من ثلاثين أو أربعين صوتا، ولو أن هذه الوحدات الأساسية أتيح لها التركيب المنظم بطرق متنوعة فإن عدد الإشارات المتميزة التي يمكن أن تنقل -وبالتبعية عدد الرسائل المختلفة- سيتزايد بدرجة هائلة، وكما سنرى فيما بعد ليس هناك حد لعدد الإشارات اللغوية المتميزة التي يمكن أن تتركب في لغات معينة.

3- التمايز 1 ويقابل الاختلاف المتصل أو المتواصل، والتمايز في حالة اللغة خاصة

للعناصر الثانوية، ولكي نوضح ذلك فإن الكلمتين: "bit"

1 خاصة التمايز "discreteness" ويمكن بموجب هذه الخاصة تحليل عناصر الإشارة اللغوية كما لو كانت ذات حدود يمكن تمييزها دون أي تدرج أو تواصل بينها، والنظام الذي يفتقد التمايز، يقال إنه نظام متواصل أو مفتقد التمايز ويستخدم المصطلح بصفة خاصة في علم الأصوات والفونولوجيا ليشير إلى الأصوات التي لها حدود حاسمة نسبياً، كما تحددها الوسائل السمعية والنطقية والفيزيائية، فرغم أن الكلام تيار متواصل من الأصوات إلا أن متكلمي لغة ما يستطيعون تقسيم هذه الكتلة المتجانسة إلى عدد محدد من الوحدات المنفصلة التي تناظر عادة الوحدات الصوتية "الفونيمات" في اللغة، وحدود هذه الوحدات قد تناظر السمات السمعية والنطقية التي يمكن تمييزها غير أنها غالباً قد لا تكون كذلك وتعرف الوحدات المجزأة أو المقسمة في حدها الأدنى في علم الأصوات بالفونات "Phones".

(29/1)

و"bet" مختلفتان في الصيغة في كلتا اللغتين المنطوقة والمكتوبة، ومن الممكن فعلاً أن يصدر صوت حركة بطريقة وسط بين الحركتين اللتين تذكران عادة في نطق هاتين الكلمتين، لكننا إذا استبدلنا هذا الصوت المتوسط بالحركة التي في bit أو bet في السياق نفسه فلن تكون النتيجة أننا سننطق كلمة ثالثة تتميز عن الكلمتين السابقتين أو تشاركهما خصائصهما ولكننا سننطق بشيء ما لا يعد كلمة عن الإطلاق أو يعد صورة نطقية خاطئة لإحدى الكلمتين، فما يميز صيغة معينة في اللغة -بصفة عامة- ليس الترجيح أو الموازنة وإنما العناصر جميعها سلباً أو إيجاباً. وبناء عليه فإن التمايز لا يعتمد اعتماداً منطقياً على الاعتبارية، فهي تتفاعل معها لتزيد من مرونة النظم اللغوية وتعدداً استعمالاً فعلياً سبيل المثال من الممكن من حيث المبدأ أن تكون كلمتان مختلفتان الحد الأدنى للاختلاف غير أنهما متميزتان في الصيغة متشابهتين في المعنى إلى حد بعيد وهو ما لا يحدث بوجه عام، فالكلمتان "bet" "bit" لا يزيد الشبه بينهما في المعنى عن أي زوج تختاره بشكل عشوائي من كلمات اللغة الإنجليزية، وحقيقة أن الكلمات التي تختلف الحد الأدنى من الاختلاف في الشكل تختلف عادة في المعنى إلى حد بعيد أكثر من اختلافها الحد الأدنى لها أثرها في

تعصيد التمايز في الاختلاف الشكلي بينهما ففي معظم السياقات يكون ذكر إحداها أكثر احتمالا إلى حد بعيد من ذكر غيرها، وهو ما يقلل احتمالات عدم الفهم في الأحوال الرديئة من الإرسال الإشاري، وفي نظم الاتصال الخاصة بالحيوان يرتبط عادة اللاتمايز "أي: التنوع المستمر" باللاعتمادية.

4- الإنتاجية لنظام اتصالي ما خاصة تجعل تركيب الإشارات الجديدة وتفسيرها ممكنا، ونعني بالإشارات الجديدة تلك الإشارات التي لم تواجهها من

(30/1)

قبل، والإشارات لا توجد في بعض القوائم -مهما كانت ضخامة هذه القوائم- بحيث يجد مستخدم اللغة منفذا إليها، ومعظم نظم الاتصال الخاصة بالحيوان تبدو محدودة للغاية من حيث عدد إشاراتها التي يمكن أن تُرسل وأن تستقبل من قبل مستخدميه، ومن الناحية الأخرى تمكن جميع النظم اللغوية مستخدميها من تركيب أقوال كثيرة بغير حدود -لم يسبق سماعها أو قراءتها من قبل- وفهمها.

وقد لاقت خاصة الإنتاجية توكيدا في المؤلفات اللغوية الحديثة لا سيما تلك التي تُعزى لتشومسكي مع إشارة خاصة إلى قضية تفسير اكتساب الأطفال للغة وحقيقة أن الأطفال يكون في مقدورهم -في مرحلة مبكرة إلى حد بعيد- إنتاج الأقوال التي لم يسمعوها من قبل دليل على أن اللغة لا تكتسب عن طريق المحاكاة والذاكرة وحدهما.

ويجب أن نؤكد عند مناقشة الإنتاجية أنه ليس هناك مثل القدرة على تركيب أقوال جديدة في أهميتها الحاسمة، عند تقييم النظم اللغوية فعلى سبيل المثال القول بأن نظام الاتصال الذي تستخدمه مملكة النحل للاستدلال على مصدر رحيق الزهرو له خاصة الإنتاجية يكون مضللا إلى حد بعيد إذا كنا نعني بذلك أن النظام -من هذه الناحية- يشبه اللغات الإنسانية، فالنحل ينتج إشارات متنوعة كثيرة بلا حدود "تختلف من حيثذبذبة أجسامها، ومن حيث درجة الزاوية التي تتخذها في مواجهة الشمس"، غير أنه يوجد اختلاف مستمر في الإشارات ورابطة لا اعتبارية بين الإشارة والرسالة، ولا يمكن أن يستخدم النحل هذا النظام ليحمل معلومات عن أي شيء سوى اتجاه مصدر الرحيق والمسافة التي تفصل بينهما.

ومما يلفت النظر حول الإنتاجية في اللغات الطبيعية أنها بقدر ما هي واضحة

(31/1)

في أبنيتها النحوية فهي غاية التعقيد والتنوع من حيث المبادئ التي تضمنها وتشكلها، غير أن هذا التنوع والتعقيد - كما ألح تشومسكي بما لم يفعله غيره - ليس على عواهنه أي: إنه محكوم بقانون، وفي إطار الحدود التي رسمتها قوانين النحو التي ربما كانت عالمية إلى حد ما ونوعية خاصة بلغات معينة إلى حد ما أيضا يكون للمتكلمين الأصليين الحرية في تركيب أقوال كثيرة بلا حدود بطريقة خلاقة - وهي الطريقة التي يراها تشومسكي طريقة إنسانية مميزة - وترتبط فكرة الخلق وفقا لقوانين حاكمة ارتباطا وثيقا بالإنتاجية وهي التي كانت لها أهمية عظيمة في تطور التوليدية.

والخصائص الأربعة العامة التي سبق ذكرها ومناقشتها باختصار وهي: الاعتبارية، والازدواجية، والتمايز، والإنتاجية تترايط جميعها من طرق عديدة، وهذه الخصائص ليس موجودة فحسب - بقدر ما نعلم - في اللغات كلها ولكنها موجودة فيها بدرجة عالية إلى حد بعيد، وإذا ما وجدنا هذه الخصائص في أي نظام اتصالي خلاف اللغة موضع البحث فلن تبدو موجودة بنفس درجة وجودها أو متداخلة بنفس الطريقة كما هي في اللغة.

وعلى كل حال يستحق أيضا أن نوضح أن تلك الخصائص الأربعة التي تستقل بشكل تام في القناة والأداة كليهما أقل تميزا في الجانب غير المنطوق من الإشارات اللغوية، وأن الأقوال ليست مجرد تتابعات من الكلمات فهناك ظاهرتان صوتيتان متميزتان إلى حد ما تعلقان بالكلمات المتتابة "أي: الأجزاء المنطوقة" في أي قول متكلم به وهما: موسيقى الكلام والمصاحبات اللغوية، وتشمل السمات الموسيقية في الكلام أشياء مثل النبر، والتنغيم¹،

¹ التنغيم: مصطلح يستخدم في دراسة الفونولوجيا التطريزية أو الفونولوجيا فوق القطعية ويشير إلى الاستخدام المميز للأنماط الخاصة بدرجة الصوت "pitch" أو اللحن "melody" ويقوم التنغيم بوظائف عديدة في اللغة وأهم وظيفة له أنه يقوم مقام الإشارة "Signal" في البنية النحوية حيث يقوم مقام علامات الترقيم في الكتابة، ويكشف كذلك عن المواقف الشخصية للمتكلم مثل السخرية والغضب.. إلخ.

وتشتمل المصاحبات اللغوية على ظواهر مثل سرعة الأداء وارتفاع الصوت.. إلخ، ويرتبط كذلك بالقول المتكلم به ظواهر غير منطوقة متنوعة "حركات العين، وإيماءات الرأس، وتعبيرات الوجه، واللفتات، وحركات الجسم ... إلخ" وتسهم بشكل إضافي في تحديد بنية القول أو معناه ويمكن أيضا أن توصف بالمصاحبات اللغوية، ولا يتعامل اللغوي -في العادة- إلا مع ظواهر موسيقى الكلام ضمن السمات المنطوقة كما يحددها النظام اللغوي في حد ذاته، وعلى كل حال فإن الظواهر الخاصة بموسيقى الكلام، والمصاحبات اللغوية كليهما تعد جزءا متمما للسلوك اللغوي المعتاد عبر الوسيلة المنطوقة، ويقدر ما تفتقد الأنواع المختلفة من الاتصال الحيواني الخصائص العامة الأربعة: الاعتبارية، والازدواجية، والتمايز، والإنتاجية -أو على الأقل لا تظهر فيها بالدرجة التي تظهر بها في الجزء المنطوق من اللغة- فإن السمات الخاصة بموسيقى الكلام والمصاحبات اللغوية في السلوك اللغوي تشبه إلى حد بعيد السمات الخاصة بالأنواع المختلفة من الاتصال الحيواني.

إذن هل ينفرد الإنسان باللغة؟ الإجابة على هذا السؤال يشبه الإجابة على السؤال: "هل الإنسان متفرد بين الحيوانات؟" فهي تعتمد إلى حد بعيد على الخصائص التي يقرر المرء أن يركز عليها وأن يجعلها حاسمة في تعريف اللغة، ومن الجائز على حد سواء أن نركز على الاختلافات الواضحة من حيث النوع ومن حيث الدرجة بين اللغة واللغة أو على التماثلات الأقل وضوحا، وقد يميل اللغويين وعالم النفس، والفيلسوف إلى التأكيد على أوجه الاختلاف بينما يركز السيميولوجي، وعالم الأحياء، وعالم الأجناس على أوجه الشبه.

(33/1)

سادسا: تصور التجانس

إلى الآن كنا نتعامل مع ما سأشير إليه بتصور التجانس: وهو الاعتقاد أو الافتراض الذي يذهب إلى أن جميع أفراد الجماعة اللغوية الواحدة يتكلمون لغة واحدة على نحو دقيق، ومن الممكن بطبيعة الحال أن نعرف مصطلح جماعة لغوية بالطريقة التي تسلك في التعريف فهي تلك التي لا يوجد اختلافات منظومة في النطق أو النحو أو المعجم في كلام أفرادها، لكن إذا ما فسرنا هذا المصطلح بالجروح إلى أية مجموعة من الناس يقال عنها عادة أنها تتكلم بلغة واحدة، وذلك مثل اللغة الإنجليزية أو اللغة الفرنسية أو اللغة

الروسية فسيكون إذن بمثابة كشف تجريبي عما إذا كان كل أفراد جماعة لغوية معينة يتكلمون بالطريقة نفسها من جميع النواحي أم لا. ويوجد في كل الجماعات اللغوية الصغرى في أنحاء العالم اختلافات واضحة إلى حد ما في اللهجة 1 واللهجة 2، وفيما يتصل بمصطلحي اللهجة واللهجة فإن

1 المؤثرات السمعية المتراكمة لسمات طريقة نطق الفرد التي تميزه من الناحيتين الإقليمية والاجتماعية وتؤكد المؤلفات في علم اللغة على أن هذا المصطلح لا يشير إلى طريقة النطق ومن ثم يتميز عن مصطلح، "اللهجة" "dialect" التي تشير إلى القواعد والمفردات أيضا.

2 تنوع مميز من الناحية الاجتماعية أو الإقليمية في لغة ما ويظهر هذا التنوع من خلال مجموعة معينة من الكلمات والأبنية النحوية وترتبط اللهجات المنطوقة عادة بنطق مميز أو لكنة مميزة، وتبدو أي لغة ذات لهجات متنوعة خاصة إذا ما كان يتكلم بها عدد كبير من الناس وكانت هناك حدود جغرافية تفصل بين جماعات منهم أو كانت هناك تقسيمات في النظام الاجتماعي الطبقي، وقد تهيمن لهجة من اللهجات باعتبارها شكلا قياسيا أو رسميا لهذه اللغة.

(34/1)

المصطلح الأول أكثر تحديدا من المصطلح الثاني فهو لا يشير إلا إلى الطريقة التي تنطق بها اللغة ولا يحمل أي تضمين -بأي شكل من الأشكال- يتعلق بالمفردات أو النحو، فعلى سبيل المثال من الممكن ومن غير الشائع على الإطلاق تمييز الأجنبي مباشرة بواسطة لهجته ولو كان يتكلم اللغة -بقدر العناية بالنحو والمعجم- بحيث لا يمكن تمييزه عن متكلمي اللغة الأصليين، وهو ممكن لمتكلمين أصليين يستخدمان لهجة واحدة، بالنظر إلى جوانبها الأخرى غير أنهما يتكلمانها بلكنة مختلفة اختلافا واضحا، وهو أمر شائع بصفة خاصة إذا كانت اللهجة موضع البحث قد اكتسبت -لأسباب تاريخية- مكانة اللغة المشتركة على المستوى الإقليمي أو القومي، فعلى سبيل المثال معظم المتعلمين من سكان إنجلترا الأصليين مولدا يتكلمون لهجة إنجليزية تقترب بشكل وثيق إلى حد ما من نوع معين من اللغة الإنجليزية المشتركة لكنهم يتكلمونها بلكنة تكشف عن أصولهم الجغرافية أو الاجتماعية، ويوجد مميز مرسوم -على الأقل في

الاستخدام الدارج- بين اللكنة واللهجة ورغم ذلك يدرج كثير من اللغويين الاختلافات الخاصة باللكنة ضمن الاختلافات الخاصة باللهجة، وليس لهذه النقطة الاصطلاحية البحتة -في حد ذاتها- أية نتائج، لكن من الأهمية أن ندرك أن ما يعد من الجوانب الأخرى لهجة واحدة يمكن أن تنطق بطرق مختلفة اختلافا واضحا، ولا يقل أهمية أن ندرك أنه حيث لا يوجد قبول واشتراك في اللغة على المستوى الإقليمي أو القومي مؤسس لمدة طويلة فإن الاختلافات في اللهجة التي تتجاوز النطق إلى النحو والمفردات تتجه إلى أن تكون أكثر وضوحا عما هي عليه لدى معظم الجماعة اللغوية التي تتكلم الإنجليزية هذه الأيام.

ورغم أن اللغوي يستخدم مصطلح لهجة ويربط هذا المصطلح -مثل غير المتخصص- بمصطلح اللغة بقوله إن اللغة من اللغات قد تتركب من لهجات عديدة مختلفة فهو لا يقبل التضمينات التي ترتبط بشكل شائع بمصطلح لهجة

(35/1)

في الاستخدام الدارج، والأهم أنه لا يقبل أن تكون لهجة منطقة معينة أو طبقة اجتماعية معينة صورة منحة أو متدهورة من اللهجة المشتركة فهو يعرف أن اللهجة المشتركة -من وجهة النظر التاريخية- التي قد يفضل غير المتخصص أن تنطبق على مصطلح "اللغة" أكثر من مصطلح "لهجة" لا تختلف -من حيث الأصل لا من حيث تطورها التالي- من حيث النوع عن اللهجات غير المشتركة، ويعرف أيضا أن اللهجات ما دامت تستخدم في مجال أوسع إلى حد ما من الوظائف في الحياة اليومية للمقاطعة أو الطبقة الاجتماعية التي تعمل فيها فهي لا تقل تنظيما عن اللغة المشتركة على المستوى الإقليمي أو القومي، وهذه النقاط قد أثرتها من قبل وسوف نعود إليها لتطويرها، ولضرب الأمثلة عليها، ولإدخال توصيفات محددة عليها عند الاقتضاء في الفصول الأخيرة من هذا الكتاب، واللغة المشتركة على المستوى الإقليمي أو القومي -من وجهة نظر ثقافية واجتماعية معاصرة- تعد بحق مختلفة إلى حد بعيد في الخصائص عن اللهجات غير المشتركة المرتبطة بها ارتباطا تاريخيا.

ومن المعتاد كثيرا في الاستخدام اليومي للمصطلحين: لهجة ولغة أن يقوم التمييز بينهما إلى حد بعيد على اعتبارات ثقافية أو سياسية، فعلى سبيل المثال الماندارينية "Mandarin" والكانتونية "Cantonese" تسمى لهجات صينية

"Chinese" لكنهما متميزتان الواحدة عن الأخرى أكثر من تميز اللغة الدانماركية "Danish" عن اللغة النرويجية "Norwegian"، وحتى أكثر من تميز اللغات الهولندية "Dutch" والفلمنكية "Flemish" والأفريكانز "Afrikaans" الواحدة عن الأخرى التي توصف وصفا متكررا بأنها لغات مختلفة، وقد يكون هناك تفكير في أن معيار الفهم المتبادل يكفي لرسم خط سياسي وثقافي محايد للفصل بين اللغات، وهو في الحقيقة المعيار الرئيسي الذي يطبقه اللغوي المتمرس عند إقامته حدود جماعة لغوية ما، لكن

(36/1)

هناك مشكلات، فكثيرا ما يكون الاختلاف اللهجي اختلافا تدريجيا ومتواصلا إلى حد ما عبر مساحة شاسعة من الأرض فلا يتمكن المتكلمون الذين ينتمون إلى منطقتين منفصلتين إلى حد بعيد من أن يفهم أحدهما الآخر، لكن ربما لم يكن هناك نقطة بين لهجتين متجاورتين ينهار عندها الفهم المتبادل حينئذ يوجد ما هو أكثر من ذلك مشكلة أكثر إزعاجا إذ إن الفهم ليس متماثلا دائما كما أن ليست حالة من كل شيء أو لا شيء، ومن الممكن بل من الشائع فعلا إلى حد بعيد أن يكون X فاهما معظم ما يقوله Y غير أن Y يفهم قليلا مما يقوله X أو لا يفهم شيئا مما يقوله وذلك عندما يتكلمان معا ويستخدم كل منهما لهجته الخاصة، وهكذا فإن رسم حدود حاسمة بين اللغات المتميزة وبين اللهجات المختلفة الخاصة بلغة واحدة صعب عادة إلى حد بعيد لأسباب متنوعة.

وفي الحقيقة فإنه من المعتاد كثيرا ألا يوجد مميز حاسم يمكن وضعه بين لهجة منطقة ولهجة منطقة أخرى تكون مجاورة لها غالبا، ومع ذلك نحدد النطاق المكاني للهجة بشكل تقريبي بواسطة المعيار الاجتماعي بالإضافة إلى المعيار الجغرافي، وإذا ما بحثنا القضية فسوف نجد دائما قدرا معينا من التنوع المنظوم في كلام أولئك الذين نعددهم ناطقين بلهجة واحدة، والملاذ الأخير أن نقبل أن لكل فرد لهجته الفردية¹ أي: لهجته الشخصية كما يصوغها اللغويون وكل لهجة شخصية تختلف عن اللهجات الشخصية الأخرى بشكل مؤكد في المفردات والنطق وربما بدرجة طفيفة في النحو أيضا، وأكثر من ذلك فإن اللهجة الشخصية للفرد لا تثبت مرة واحدة وللجميع عند نهاية ما نعتبره مرحلة اكتساب اللغة أي: إنها عرضة للتغيير والاتساع على مر حياته.

وإضافة إلى ما يمكن تفصيله بخصوص مجال "اللغة، اللهجة، اللهجة

1 اللهجة الفردية "idiolect" مصطلح يستخدم في علم اللغة للإشارة إلى النظام اللغوي لدى متكلم فرد.

(37/1)

الفردية" هناك بعد آخر للتنوع المنظوم في أقوال أفراد جماعة لغوية ما وهو البعد الخاص بالأسلوب، والاختلافات الأسلوبية كانت تشير من قبل إلى ما يتعلق بالميز بين الأدبي والعامي، ويستمد هذا الفاصل من المميز بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة ويتطابق معه على الإطلاق، لكن هناك مما يتصل بالاختلافات الأسلوبية ما هو أكثر من ذلك، فكلما تكلمنا بلغتنا الأم أو كتبنا بها ننهج أسلوبا دون آخر تبعا للسياق وتبعا للعلاقات التي تربط بيننا وبين الشخص الذي نتحدث معه أو نكتب إليه وتبعا لطبيعة ما يتحتم علينا إيصاله والغرض منه، وتبعا لعوامل أخرى عديدة، وسواء أكانت الخيارات الأسلوبية التي نمارسها واعية أم غير واعية فإنها ليست أقل تنظيما أو تحديدا، وممارسة الاختيارات الأسلوبية المناسبة جزء هام من استخدامنا الصحيح والفعال للغة، ومن هنا كان في التعدد الأسلوبي لكل متكلم أصلي للغة ما حكمة عملية، وما دام الأمر كذلك فمن الممكن -من حيث المبدأ- أن نعد كل لهجة فردية نظاما لغويا منفصلا كما أن من الممكن -وهو ما لا يقل وجاهة- أن نعد كل أسلوب مميز نظاما لغويا مميزا.

(38/1)

سابعا: لا توجد لغات بدائية

ما زال شائعا إلى حد ما أن تسمع غير المتخصصين يتكلمون عن لغات بدائية وهم يرددون حتى الأسطورة التي يحيط الشك بها من أن هناك بعض الشعوب تتكون لغتهم من مزاجية مائة كلمة مأخوذة من الإيماءات، والحقيقة أن كل لغة درست حتى الآن - مهما كان المجتمع الذي يستخدمها يبدو لنا بدائيا أو غير متحضر في جوانب أخرى- برهنت عند البحث أنها نظام اتصالي معقد ومتطور بدرجة عالية، وبطبيعة الحال فإن

الفكرة الإجمالية الخاصة بالتطور الثقافي من البربرية إلى المدنية في حد ذاتها موضع شك كبير غير أنه لا يناط باللغوي مسألة الحكم على صحتها، وما يمكن أن يقوله إنه لم يكشف بعد عن ارتباط بين المراحل المختلفة للتطور الثقافي التي مرت بها المجتمعات وبين نمط اللغة المنطوقة في تلك المراحل الخاصة بالتطور الثقافي، فعلى سبيل المثال ليس هناك شيء مثل نمط لغوي للعصر الحجري، وليس هناك -بقدر ما تلقى البنية النحوية العامة من اهتمام- نمط لغوي يحمل خصائص المجتمعات الجامعة للغذاء أو المجتمعات الرعوية من ناحية أو المجتمعات الصناعية الحديثة من الناحية الأخرى.

وكان من القرن التاسع قدر كبير من التفكير في تطور اللغات من التعقيد البيوي إلى البساطة ومن البساطة إلى التعقيد، ومعظم اللغويين في هذه الأيام يحجمون عن التفكير في التطور النشوي للغات بهذا الشكل العام، ويدركون أنه إذا كان هناك أي اتجاه في تطور اللغة منذ نشأتها عند الإنسان من مرحلة ما قبل تاريخ الإنسان إلى وقتنا الحاضر فإنه ليس هناك شاهد يمكن أن يكشف عن أي اتجاه من خلال دراسة اللغات المتكلم بها في الوقت الحاضر أو المتكلم بها في الماضي ونعرف عنها شيئا ما، وكثير من التصورات المبكرة للعلماء عن تطور اللغات تنحاز لصالح ما يمكن أن نطلق عليه اسم اللغات التصريفية مثل اللاتينية والإغريقية.

ويجب أن يقال شيء ما في هذه النقطة عن نشأة اللغة، وهي مشكلة شغلت عقل الإنسان وخياله منذ عهود سحيقة، وقد ناقشها بشكل شامل مناقشة علمانية مميزة عن الدين أو ما وراء الطبيعة فلاسفة الإغريق، ونوقشت في فترات متنوعة منذ ذلك الحين لا سيما في القرن الثامن عشر من وجهة نظر مماثلة إجمالاً، وقد لعبت المناقشات الأولى دوراً هاماً في تطور النحو التقليدي، وقد ساعدت المناقشات التي دارت في أواخر القرن الثامن عشر والتي تعزى للفيلسوف الفرنسي كونديللاك "condillac" والفيلسوف الألماني هردر "Herder" على تمهيد الطريق نحو فهم أفضل للاعتماد المتبادل بين اللغة

(39/1)

والفكر والثقافة، ومنذ القرن التاسع عشر اتجه معظم اللغويين -باستثناء قلة قليلة إلى حد بعيد- إلى تنحية قضية نشأة اللغة بأكملها باعتبارها قضية خارج مجال البحث العلمي دائماً، والسبب في ذلك كما رأينا أن اللغويين أدركوا عبر القرن التاسع عشر أنه

مهما رجعوا إلى الوراء في تاريخ اللغات المعنية من خلال النصوص التي وصلت إلينا فإنه من المستحيل أن نعثر فيها على أية علامة من علامات التطور النشوي من وضع أكثر بدائية إلى وضع أكثر تقدما.

غير أن هناك شواهد أخرى بعضها جديد، ومرة أخرى أصبحت نشأة اللغة موضع مناقشة العلماء، وربما كان من السابق لأوانه أن نتحدث عن حلول، ومع ذلك فما يمكن أن نقوله إنه يبدو الآن أكثر إقناعا مما كان عليه منذ سنوات قليلة أن اللغة كانت في الأصل نظاما اتصاليا إيمائيا أكثر منه نظاما اتصاليا منطوقا، وبعض هذه الشواهد النجاح الذي لاقاه علماء النفس في تعليمهم الشمبانزي لغة معقدة إلى حد بعيد فهما واستخداما، وهي بهذا الخصوص نظم إيمائية شبيهة باللغة، ويبدو الآن أن فشل الشمبانزي في اكتساب الكلام في تجارب مماثلة في الماضي يفسره جزئيا على الأقل اختلافات بسيطة نسبيا لكنها هامة في جهاز النطق عند الإنسان وجهاز النطق عند الشمبانزي، واتضح أيضا من خلال دراسة الحفريات أن جهاز النطق عند الإنسان النياندرتالي¹ يشبه إلى حد كبير النطق عند الشمبانزي وغيرها من الحيوانات الراقية أكثر مما يشبه جهاز النطق عندنا، ولدى الشمبانزي وغيرها من الحيوانات الراقية مجال محدود من النداءات المنطوقة غير أن

1 نسبة إلى وادي النياندرتال قرب دوسيلدورف بألمانيا حيث وجدت بقايا هيكل عظمي لإنسان قديم.

(40/1)

الاتصال فيما بينها يتم في بيئاتها الطبيعية بصورة شاملة إلى حد بعيد عن طريق الإيماءات، وما يفترضه هذا الشاهد وغيره أن اللغة قد تكون تطورت في البداية كنظام إيمائي في وقت ما عندما كان أسلاف الإنسان يقفون على أقدامهم ومن ثم كانوا أحرار اليدين وقد زاد حجم المخ واكتسب الإمكانات الخاصة بمعالجة الوظائف المعقدة في نصف المخ المهيمن، وفي بعض النقاط ولأسباب بيولوجية مقبولة تحول النظام الإيمائي إلى نظام نطقي واكتسب نتيجة لذلك خاصية الازدواجية التي تسمح كما رأينا من قبل بزيادة كبيرة إلى حد بعيد في المفردات، ويترتب على ذلك ألا تكون جميع الخصائص المميزة للغات كما عرفناها موجودة فيها منذ البداية، وأن تكون اللغة قد تطورت في

الحقيقة من اللا لغة.

ومع ذلك تظل الحقيقة فليس فقط أن كل اللغات المعروفة توجد فيها القناة المسموعة المنطوقة التي تستخدم بشكل أساسي وطبيعي للتوصيل بل إنها جميعا كذلك ذات تعقيد متساو تقريبا بقدر ما تلقى أبنيتها النحوية من اهتمام.

والاستثناء الوحيد الواجب من ذلك التعميم الأخير يتعلق باللغات المهجينة وهي لغات خاصة تستخدم في التجارة أو في أغراض شبيهة بين أولئك الذين ليس لهم لغة مشتركة أخرى، وتتميز اللغة المهجينة بأنها ذات قواعد بسيطة ومفردات محدودة للغاية إذا ما قورنت باللغة أو اللغات التي تقوم عليها، غير أنها تستخدم في أغراض محدودة للغاية، وعندما تستخدم ما تعد في الأصل لغة هجينة كلغة أم لجماعة لغوية - وهو ما يحدث عادة - فلا تزود نفسها بمفردات أكثر اتساعا فحسب بل تطور التعقيد النحوي الخاص بها كذلك ومن هذه الناحية أكثر مما يكون من ناحية نشأتها يميز اللغويين اللغات المهجينة

(41/1)

عما يعرف باللغات المولدة¹ وهي لغات يمكن تشابهه إلى حد بعيد مع اللغات المهجينة لكنها ليست أقرب إلى اللغات البدائية - أي: من حيث البنية الناقصة - من أي لغة من آلاف اللغات الطبيعية التي لم تنشأ - كما تعرف - مثلما نشأت اللغات المهجينة "انظر: 9 - 3".

وهناك بطبيعة الحال اختلافات واضحة في المفردات الخاصة باللغات المختلفة، وهو ما قد يجعل من الضروري تعلم لغة أخرى أو على الأقل مفردات خاصة لتدرس موضوعا معينا ولنتكلم عنه بطريقة مرضية، وبهذا المعنى قد تكون لغة مهيأة بشكل أفضل من لغة أخرى لأغراض معينة، ومع ذلك فإنه لا يعني أنها أغنى أو أفقر - بشكل جوهري - من الأخرى، فاللغات الحية كلها يمكن أن نفترض أنها نظم اتصالية طبيعية وفعالة، ووفقا لتغير الحاجات الاتصالية لاجتماع ما تتغير لغته وفاء لتلك الاحتياجات الجديدة، فالمفردات تتسع إما عن طريق الكلمات المقترضة من اللغات الأخرى أو عن طريق خلقها من صيغ أخرى، وحقيقة إن لغات كثيرة تنطق بها ما تعرف أحيانا بالبلدان النامية ينقصها كلمات خاصة بالتصورات والمنتجات المادية للعلم الحديث والتكنولوجيا لا تتضمن أن اللغات موضع البحث أكثر بدائية من اللغات التي فيها مثل هذه الكلمات فلا يعني ذلك سوى أن تلك اللغات المعينة لم تستخدم حتى الآن لمثل ذلك الذي

يشمله تطور العلم والتكنولوجيا.

1 اللغة المولدة "creole Language" مصطلح يستخدم في علم الاجتماع اللغوي ليشير إلى اللغة الهجينة التي تصبح لغة أم "mother – tongus" لجماعة لغوية كما نرى في جامايكا "Jamaica"، وهايتي "Haiti"، والدومينيكا "Dominica" وأجزاء مستعمرة سابقة عديدة أخرى من العالم، وعملية توليد اللغات توسع الإطار الأسلوبي والبنوي للغات الهجينة وتجعلها لغة مولدة يمكن مضاهاتها الأخرى من حيث التعقيد الشكلي والوظيفي.

(42/1)

ويجب أن نؤكد في النهاية أن مبدأ "عدم وجود لغات بدائية" كفرضية عمل ليس سوى نتيجة تجريبية للبحث اللغوي، ويجب أن نسمح بإمكانية اختلاف اللغات في التعقيد اللغوي، ولم يكتشف اللغويون حتى الآن هذه الاختلافات، وليس من العلمية أن ننكر وجود هذه الإمكانية أو بعبارة أخرى أن ننكر أن اللغة اللاتينية أكثر نبلا أو أفضل تعبيرا من لغة الهوتنتوتون 1 "Hottentot" أو من إحدى اللغات الأسترالية الخاصة بالسكان الأصليين.

1 لغة شعب جنوب أفريقي.

(43/1)

الفصل الثاني: علم اللغة

أولا: فروع علم اللغة

يمكن – كما رأينا – أن تدرس كل من اللغة عموما، واللغات المعنية من وجهات نظر مختلفة، ومن ثم يمكن أن ينقسم مجال علم اللغة ككل إلى مجالات فرعية تبعا لوجهة النظر المتبناة، وتبعا للتوكيد الخاص الذي يولي لمجموعة من الظواهر أو الافتراضات أكثر من غيرها 1.

والحميز الأول يرسم بين علم اللغة العام، وعلم اللغة الوصفي، وهو في حد ذاته واضح

المعالم إلى حد كاف، وينظر ما يميز بين دراسة اللغة بشكل عام ووصف لغات معينة، والسؤال: "ما اللغة" الوارد في الفصل السابق والذي ذهبنا إلى أنه السؤال الرئيسي المحدد للفرع بأكمله يعد بشكل مناسب إلى حد بعيد السؤال الرئيسي لعلم اللغة العام، ولا يرتبط علم اللغة العام، وعلم

1 فعلم اللغة العام يعنى بتأسيس مبادئ عامة لدراسة كل اللغات وبتحديه خصائص اللغة الإنسانية أما علم اللغة الوصفي فيعنى بتأسيس الحقائق الخاصة بنظام لغوي معين، وعلم اللغة التقابلي يعنى بالتركيز على الاختلافات الموجودة بين اللغات وبصفة خاصة في سياق تعليم اللغة، ويعنى علم اللغة المقارن بتحديد الخصائص المشتركة بين مختلف اللغات أو بين الأسر اللغوية ويشير مصطلح علم اللغة البنيوي إلى التحليل اللغوي الذي يسعى إلى تأسيس نظاما واضحة للعلاقات بين الوحدات اللغوية في البنية السطحية ويعنى علم اللغة التصنيفي بتصنيف الأبنية والوحدات.

(44/1)

اللغة الوصفي أحدهما بالآخر على الإطلاق، وكلاهما يعتمد بشكل صريح أو ضمني على الآخر، فعلم اللغة العام يقدم التصورات والتصنيفات التي تحلل اللغات المعنية على أساسها، وعلم اللغة الوصفي يقدم بدوره المعلومات التي تؤكد الفرضيات والنظريات المطروحة أمام علم اللغة العام أو تفندها، فعلى سبيل المثال يمكن أن يصوغ اللغوي العام الفرضية التي تذهب إلى أن كل اللغات فيها أسماء وأفعال، واللغوي الوصفي يمكن أن يفند هذه الفرضية بدليل تجريبي على وجود لغة واحدة على الأقل لا يمكن عند وصفها تأسيس فارق مميز بين الأفعال والأسماء لكنه كي يفند هذه الفرضية أو يؤكد لها يجب عليه أن يتعامل مع بعض التصورات الخاصة بالاسم والفعل التي يمد بها اللغوي العام.

وتوجد بطبيعة الحال كل أنواع الأسباب وراء الرغبة في وصف لغة معينة، وكثير من أولئك الذين يعملون في علم اللغة الوصفي لا يعملون فيه بسبب اهتمامهم بتقديم معلومات لعلم اللغة العام أو باختبار النظريات والفرضيات المتضاربة ولكن بسبب رغبتهم في إخراج مرجع نحوي أو معجم لأغراض عملية غير أن هذا لا يؤثر في الاعتماد المتبادل للفرعين المتكاملين: علم اللغة العام، وعلم اللغة الوصفي.

ولقد عني اللغويون كثيرا خلال القرن التاسع عشر ببحث تفاصيل التطور اللغوي للغات معينة، وبصياغة فرضيات عامة عن التغير اللغوي، والفرع العلمي الذي يتناول هذه القضايا يعرف الآن -وبشكل مألوف إلى حد بعيد- بعلم اللغة التاريخي¹، ومن الواضح أنه في علم اللغة التاريخي كما في

1 علم اللغة التاريخي "historical Linguistics" فرع من فروع علم اللغة

يدرس تطور اللغة واللغات عبر الزمن ويعرف كذلك بـ "diachronec

Linguistics" وتتطابق مادة دراسته مع مادة دراسة الفيلولوجيا المقارنة أي:

التسجيلات والنقوش الممتدة من أقدم ما وصل إلينا من اللغة غير أن المناهج والأهداف تختلف فيهما فعلم اللغة التاريخي يستخدم مناهج المدارس المختلفة في علم اللغة الوصفي "وتشمل علم الاجتماع اللغوي، وعلم النفس اللغوي فيما يتعلق بصفة خاصة بأسباب التغير اللغوي" ومن ثم يواجه المرء بمجالات فرعية مثل النحو التاريخي، والفونولوجيا التاريخية والمورفولوجيا التاريخية ويهدف إلى ربط نتائج البحث بالنظرية اللغوية العامة.

(45/1)

علم اللغة التزامني يمكن للمرء أن يصب اهتمامه على اللغة عموما أو على اللغات المعنية، ومن المناسب أن نذكر هنا مصطلحين فنيين إضافيين: تاريخي "diachronic" وتزامني "aynchronic"، وقد استخدمهما لأول مرة فريدناند دي سوسير "صاحب المميز الذي أشرنا إليه في الفصل السابق بين الكلام واللغة"، والوصف التاريخي للغة من اللغات يتتبع التطور التاريخي لهذه اللغة ويسجل التغيرات التي تحدث فيها بين نقطتين زمنيتين متتاليتين أي: إن المصطلح "diachronic" يكافئ المصطلح "historical"، والمصطلح "synchronic" يكافئ المصطلح "non – historical" والوصف التزامني للغة ما يقدم بيانا عن اللغة كما تكون في نقطة زمنية معينة.

والثنائية الثالثة هي التي تربط بين علم اللغة النظري وعلم اللغة التطبيقي¹، وباختصار يدرس علم اللغة النظري اللغة واللغات بقصد بناء نظرية لبنيتها ووظائفها بغض النظر عن أية تطبيقات عملية قد تكون للبحث في اللغة واللغات، بينما لعلم اللغة التطبيقي

-حسب ما يعني به- تطبيق تصورات علم

1 علم اللغة التطبيقي "applied Linguistics" فرع من علم اللغة يعني أساسا بتطبيق النظريات والمناهج والاستنتاجات اللغوية في تفسير المشكلات اللغوية التي تنشأ في قطاعات أخرى من الأنشطة وأكثر فروعها تطورا هو تعليم اللغات الأجنبية وتدريسها ولا يعد تعلم اللغات الأجنبية وتدريسها المجال الوحيد الذي يشتمل عليه علم اللغة التطبيقي فهناك تعليم اللغة الأم وتنمية مفرداتها في الأساليب والترجمة وتخطيط السياسة اللغوية القومية.

(46/1)

اللغة ونتائجه على مهام عملية متنوعة تشمل تعليم اللغة، والمميز بين النظري والتطبيقي مستقل من حيث المبدأ عن المميزين الآخرين اللذين ذكرناهما حتى الآن، ويوجد -عند التطبيق- اختلاف ضئيل بين مصطلحي "علم اللغة النظري" و"علم اللغة العام" يسلم به معظم أولئك الذين يستخدمون مصطلح "علم اللغة النظري" فهدف علم اللغة النظري صياغة نظرية مرضية لبنية اللغة عموما، وبقدر ما يلقي علم اللغة التطبيقي من اهتمام يكون من الواضح أنه يعتمد على كلا الفرعين الدراسيين اللغويين العام والوصفي.

والثنائية الرابعة والأخيرة تتعلق بوجهة نظر أضيق، ووجهة نظر أشمل في مجال الدراسة اللغوية، وليس هناك مميزات اصطلاحي مقبول بصفة عامة، وسوف نستخدم المصطلحين 1 "علم اللغة البحث" "microlinguistics" و"علم اللغة الموسع" 2 "macrolinguistics" على أن تقول إن المرء يتبنى في علم اللغة البحث وجهة النظر الأضيق وفي علم اللغة الموسع يتبنى وجهة النظر

1 وردت ترجمة هذين المصطلحين في "معجم مصطلحات علم اللغة الحديث" وطبع نخبة من اللغويين العرب - كالاتي marolinguistics = دراسة أنواع اللغة الإنسانية، micrelinguistics = علم اللغة البنيوي وأرى أن هذه الترجمة أوفق؛ لأن ترجمه المصطلح الأول في المعجم المذكور غير مناسب -على الأقل- في هذا السياق، أما المصطلح الثاني فإن ترجمته تلتبس مع ترجمة المصطلح: "strunctral

Linguistics "وقد ترجمه المعجم المذكور بعلم اللغة البنيوي أيضا، ويعضد الترجمة الواردة في القص ما ذكره جون ليونز في فقرة تالية من أن بعض المؤلفين يدرجون ما يسمى هنا بعلم اللغة الموسع ضمن علم اللغة التطبيقي.

2 علم اللغة الموسع "s"؛ **macrolinguistic** مصطلح استخدمه بعض اللغويين وبصفة خاصة في العقد السادس من القرن العشرين لتحديد التصور الأشمل للتفسير اللغوي.

(47/1)

الأشمل²، ويعنى علم اللغة البحث في حالته الأكثر ضيقا ببنية النظم اللغوية فحسب بما لا يتعلق بالطريقة التي تكتسب بها اللغة، أو يحتفظ بها في المخ، أو تستخدم في وظائفها المتنوعة، ومما لا يتعلق بالاعتماد المتبادل بين اللغة والثقافة، ومما لا يتعلق بالميكانيكية الفسيولوجية والسيكولوجية التي يشتمل عليها السلوك اللغوي باختصار بما لا يتعلق بأي شيء خلاف النظام اللغوي لذاته وفي حد ذاته "كما عبر سوسير أو بالأحرى محررو كتابه" ويعنى علم اللغة الموسع في حالته الأكثر شمولاً بكل شيء يتعلق بأي شكل من الأشكال -على الإطلاق- باللغة أو اللغات.

ولما كانت كثير من فروع المعرفة -خلاف علم اللغة- تعنى باللغة فلن تكون مستغربة تلك المناطق المتداخلة بين فروع المعرفة العديدة التي تقع في إطار علم اللغة الموسع والتي تأخذ أسماء مميزة مثل: علم الاجتماع اللغوي، وعلم النفس اللغوي، وعلم الأجناس اللغوي، وعلم الأسلوب ... إلخ.

وما ينبغي أن نؤكد عليه أن المميز بين علم اللغة البحث، وعلم اللغة الموسع مستقل عن المميز بين علم اللغة النظري وعلم اللغة التطبيقي، وهناك -من حيث المبدأ- جانب نظري في كل فرع من فروع علم اللغة الموسع، ويحدث كذلك في مجالات علم اللغة التطبيقي مثل تعليم اللغة أن يكون من

1 أدت الاهتمامات المتداخلة لعلم اللغة والفروع العلمية الأخرى إلى نشأة فروع جديدة مثل علم اللغة الأنثولوجي "**anthropological linguistics**" وعلم اللغة البيولوجي "**biolinguistics**" وعلم اللغة الآلي "**computational linguistics**" وعلم اللغة الإثنولوجي "**ethnolinguistics**" وعلم اللغة

الرياضي "mathematica Linguistics" وعلم اللغة العصبي
"neurolinguistics" وعلم اللغة النفسي "psycholinguistics" وعلم
اللغة الاجتماعي "sociolinguistics".

(48/1)

الضروري الأخذ بوجهة النظر الأشمل أكثر من وجهة النظر الضيق الخاصة ببنية اللغات
ووظائفها، وهو ما يفسر إدماج بعض المؤلفين ما يسمى هنا بعلم اللغة الموسع في إطار
علم اللغة التطبيقي.
وسوف نلقي نظرة على بعض مجالات علم اللغة الموسع في الفصول الأخيرة وقد يعتقد
أن علم اللغة -من جهة الأهمية المعترف بها للغة في كثير من فروع المعرفة- ينبغي أن
يأخذ الرؤية الممكنة الأكثر شمولاً الخاصة بمادة بحثها، وهنا مفهوم يكون ذلك فيه
صحيحاً، والمشكلة أنه لا يوجد الآن، وربما لم يوجد من قبل إطار نظري مرض يمكن أن
نرى من خلاله اللغة -في وقت واحد- بوجهة النظر النفسية، والاجتماعية، والثقافية،
والجمالية، والعصبية "ولا نذكر وجهات نظر أخرى عديدة وثيقة الصلة على حد سواء"
وأكثر اللغويين يذهبون هذه الأيام إلى أن علم اللغة البحث النظري التزامني يشكل لب
تخصصهم العلمي ويعطيه مهما كان الوحدة والتماسك، ونصف هذا الكتاب تقريباً
سيكرث لهذا اللب الرئيسي، وبقيته سيهتم بعلم اللغة التاريخي ومجالات منتقاة من
علم اللغة الموسع.

(49/1)

ثانياً: هل "علم اللغة" علم؟
يعرف علم اللغة¹ عادة بأنه العلم الذي يختص بمجال اللغة أو أنه الدراسة العلمية
للغة، ويجب ألا يمر دون دون تعليق الواقع الفعلي الخاص بوجود قسم في هذا الكتاب،
وفي الدراسات التمهيدية الأخرى لعلم اللغة، يخصص بشكل واضح لمناقشة الوضع
العلمي لعلم اللغة، ورغم كل شيء فإن فروع المعرفة

1 وقد استخدم في الآونة الأخيرة مصطلح "العلوم اللغوية" Linguistic

"sciences" يشمل كلا من علم اللغة "Linguistics" وعلم الأصوات "phonetics" بيد أن مصطلح "علم اللغة" لا يزال مفصلاً.

(49/1)

ذات المكانة العلمية غير المتنازع عليها لا تشعر بالحاجة إلى تحقيق دعواها بكونها علوماً، لماذا يعنى علم اللغة بالدفاع عن أحقية هذا اللقب؟ ولماذا وهو بصدد الدفاع عن مصداقية علميته يعطي انطباعاً عن إصرار زائد إلى حد بعيد؟ للقارئ الحق كل الحق في أن يكون شاكاً ومرتاباً.

والنقطة الأولى التي يجب الإشارة إليها أن كلمة "science"؛¹ في اللغة الإنجليزية أضيق بكثير -من حيث ما تشير إليه- من كثير من الكلمات المترجمة المكافئة لها والمقبولة تقليدياً في اللغات الأخرى مثل "wissenschaft" الألمانية، و "nauka" الروسية، وحتى "sciencs" الفرنسية، ويعاني علم اللغة أكثر مما تعانيه معظم فروع المعرفة من المتضمنات الخاصة إلى حد بعيد للكلمتين الإنجليزيتين "science" و "scientific" اللتين تشيران أولاً وقبل كل شيء إلى العلوم الطبيعية ومناهج البحث المميزة لها، ويظل هذا صحيحاً على الرغم من أن عبارات مثل: "العلوم الاجتماعية"، و"العلوم السلوكية"، وحتى "العلوم الإنسانية" شائعة بشكل متزايد، فهل يجب علينا إذن أن نفسر كلمة "science" الواردة في عنوان هذا القسم لتعني ببساطة: "فرع أكاديمي من فروع المعرفة مؤسس على نحو لائق"؟

ويوجد المزيد مما يتصل بهذه المسألة خلاف هذا التفسير المقترح، ومعظم اللغويين الذين يؤيدون تعريف تخصصهم بالدراسة العلمية للغة يفعلون ذلك؛ لأنهم يحملون في أذهانهم ما يميز الطريقة العلمية والطريقة غير العلمية في معالجة الأمور، وربما كانوا على خلاف حول بعض متضمنات مصطلح "علمي" كغيرهم من فلاسفة العلم ومؤرخيه، إلا أنهم متفقون -بصفة عامة- حول

1 علم.

(50/1)

الاختلافات الأساسية بين الدراسة العلمية للغة والدراسة غير العلمية لها، ولنبدأ إذن بنقاط الاتفاق هذه.

أولى هذه النقاط وأهمها أن علم اللغة تجريبي أكثر منه حدسي أو تأملي فهو يتعامل مع المعلومات الواضحة التي يمكن التثبت منها والتي حصلنا عليها عن طريق الملاحظة أو التجربة، والإنصاف بالتجريبية - بهذا المعنى - يعد السمة المميزة إلى حد بعيد للعلم في نظر معظم الناس، ويرتبط بخاصة كونه مؤسسا بطريقة تجريبية كونه موضوعيا، واللغة شيء ما نميل إلى أخذه كقضية مسلم بها، وشيء ما نألفه منذ الطفولة بطريقة عملية بعيدة عن التفكير وهذه الألفة العملية تميل إلى أن تحل محل الفحص الموضوعي، وتوجد كل أنواع التحيزات الاجتماعية، والثقافية، والقومية المرتبطة بوجهة نظر غير المتخصص في اللغة وفي اللغات المعينة، فعلى سبيل المثال قد يعتقد أن نبرة أو لهجة للغة ما معينة أنقى بشكل متأصل من غيرها أو مرة أخرى ربما كانت أكثر بدائية من غيرها، وتتطلب الموضوعية - على الأقل إلى حد بعيد - أن تقابل معتقدات كهذه بالتحدي، وإما أن نحدد مصطلحات كنقي وبدائي بشكل واضح أو تستبعد.

وكثير من الأفكار التي تدور حول اللغة والتي يخضعها اللغوي للمناقشة إذا لم يتخل عنها تماما قد تبدو قضية معنى شائع بكل ما في الكلمة من معنى، غير أنها كما علق بلومفيلد على طريقة المفاهيم الشائعة في التعامل مع القضايا اللغوية "تشبه الأمور الكثيرة الأخرى التي تبدو على غير حقيقتها كمفهوم شائع، وهي في الحقيقة معقدة بدرجة عالية، ومأخوذة من أمد غير بعيد من تأملات فلاسفة العصور القديمة والوسطى"، وليس لدى اللغويين جميعهم ما لدى بلومفيلد من نظرة عدم الرضا لهذه التأملات الفلسفية عن اللغة، لكن

(51/1)

ما يقصده - بصفة عامة - صحيح، فالمصطلحات التي يستخدمها غير المتخصص في الحديث عن اللغة، والمواقف التي يتخذها إزاءها لها تاريخها، وستبدو عادة تلك المصطلحات والمواقف - بوضوح - قل تسليما بها أو أقل قابلية للتطبيق أو الاستعمال إذا ما عرف شيئا عن أصولها التاريخية. ولن نبحت تاريخ علم اللغة في هذا الكتاب، ومع ذلك فإن بعض التعليقات العامة مرتبة، ومن عادة الدراسات التمهيدية لعلم اللغة أن ترسم مميذا حادا بين النحو

التقليدي وعلم اللغة الحديث وازعة للمواقف العلمية لعلم اللغة الحديث في مواجهة المواقف غير العلمية للنحو التقليدي، ويوجد مبرر جيد لرسم هذا المميز، وإظهار أن الكثير من التصورات الخاطئة الشائعة عن اللغة والمتداولة في مجتمعنا يمكن تفسيرها تاريخياً من خلال الافتراضات الثقافية والفلسفية التي تحدد تطور النحو التقليدي، وسندكر بعض هذه التصورات الخاطئة وسنتناولها بالمناقشة في القسم التالي، ومع ذلك ينبغي أن نؤكد على أن علم اللغة - كغيره من فروع المعرفة - لم يشهده في الماضي تحدي القواعد والأصول التقليدية فحسب بل تطویرها وإعادة تشكيلها أيضاً، وتعمل أكثر الأعمال الحديثة في علم اللغة وهي بصدد وصفها المتقدم العظيم الذي حدث في البحث العلمي في اللغة في المائة سنة الماضية التأكيد على استمرارية النظرية اللغوية الغربية من مهدها إلى وقتنا الحاضر، وتنطوي على مفارقة تاريخية إلى حد ما أيضاً في فشلها في معالجة النحو التقليدي من خلال الأهداف التي حددها بنفسه، ويجب ألا ننسى أن المصطلحين: علم، وعلمي "أو إرهاباًهما" قد فسرا تفسيراً مختلفاً في مراحل مختلفة.

ويجب أن نوضح أن ما يشار إليه بصفة عامة بواسطة مصطلح "النحو التقليدي" - أي: النظرية اللغوية الغربية التي ترجع إلى عصر النهضة، وفي العصور الوسطى إلى الرومان وتعود قبل ذلك إلى المدرسة الإغريقية -

(52/1)

أكثر ثراء وتنوعاً مما هو معروف بشكل شائع، وأكثر من ذلك فمن المعناة كثيراً أن يدرس تلك الصورة المشوهة غير المفهومة للنحو التقليدي أجيال من الطلاب الكارهين لها، وفي السنوات القليلة الماضية بدأ اللغويون في تبني وجهة نظر أكثر توازناً بشأن إسهام النحو التقليدي - وسنواصل استخدام هذا المصطلح - في تطوير تخصصهم العلمي، ولا تزال كثير من البحوث تجري حول المصادر الأساسية المتبقية من الفترات الأولى إلا أن العديد من الكتب التي تؤرخ لعلم اللغة المتاحة في الوقت الحاضر تقدم بياناً مرضياً حول نشأة النحو التقليدي وتطوره أكثر مما كان متاحاً لجيل بلومفيلد والجيل التالي له.

دعنا الآن نعود إلى الحالة الراهنة لعلم اللغة، إنه - بلا ريب - أكثر موضوعية وتجريبية في مواقفه وافتراضاته المعلنة في كل الأحوال من النحو التقليدي، وسنلقي نظرة أكثر

تفصيلا على بعض هذه المواقف والافتراضات في القسم التالي، لكن هل هو -عند التطبيق- تجريبي وموضوعي كما يدعي هناك -بالتأكيد- مجال للشك، ويوجد أيضا مجال للاختلاف في أكثر مستويات المناقشة تعقيدا فيما يتعلق بطبيعة الموضوعية العلمية وإمكانية تطبيق ما يشار إليه -عموما- بالمنهج العلمي في دراسة اللغة. وفي واقع الأمر لن يقبل العلماء وفلاسفة العلم بوجود منهج تحقيق مفرد يمكن تطبيقه في كل فروع العلم لفترة طويلة وعلى نطاق واسع، ومصطلح "المنهج العلمي" بالذات أصبح عتيقا وباليا منذ القرن التاسع عشر، ويعتقد أحيانا أن التحقيق العلمي يجب أن يقوم على أساس التعميمات الاستقرائية المؤسسة على الملاحظة الحرة نظريا، وهو في الحقيقة ما يتمسك كثير من الناس بأن مصطلح "المنهج العلمي" يتضمنه، لكن القليل من العلماء هم الذين يعملون

(53/1)

وفق هذه الطريقة دائما حتى في العلوم الطبيعية، وعلى كل حال فإن الموضوعية العلمية معناها لا يتضمن بالتأكيد أن العالم يجب أن يمتنع عن التنظير وعن صياغة الفرضيات العامة حتى يجمع القدر الكافي من المعلومات، فالمعلومات العلمية التي تظهر عادة تستمد من التجربة ولا تخضع لها، وتتضمن الملاحظة اهتماما مختارا، فليس هناك شيء مثل نظرية محايدة، وملاحظة غير مقيدة بفرضية، ومجموعة معلومات، ويمكننا أن نستخدم عبارة حديثة متداولة وهي إن الملاحظة بالضرورة ومنذ البداية نظرية محملة وهذه العبارة يرجع أصلها إلى بوبر.

والعبارة مثيرة للفكر والجدل، وقد نشأت رد فعل لوجهة النظر التجريبية القوية في العلم التي طرحها أصحاب المذهب الوضعي المنطقيون في الفترة السابقة على الحرب العالمية الثانية، وطلاب علم اللغة يجب أن يعرفوا شيئا ما عن المذهب التجريبي¹، والمذهب الوضعي²، وبدون هذه المعلومات - رغم أنه لا حاجة إلى التعمق أو التفاصيل - من غير المتوقع أن يفهموا بعض المقالات النظرية والمنهجية التي تصنف مدارس علم اللغة في الوقت الحاضر، وما يلي يعد الحد الأدنى الضروري من المعلومات الخلفية نقدمها - بقدر الإمكان - بغير

1 المذهب التجريبي "empiricism" ينكر وجود مبادئ أولية خاصة بالعقل ويقرر

أن التجربة مصدر المعرفة.

2 المذهب الوضعي "positivism" مذهب أوجست كونت الذي يقرر أن الفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر الواقعة المحسوسة وما بينهما من علاقات أو قوانين وأن المثل الأعلى لليقين يتمثل في العلوم التجريبية وأنه يجب من ثمة العدول عن كل بحث في العلل والغايات وبدل كونت على نسبية معارفنا بعرض تاريخ العقل فيقول: إن العقل مر بحالات ثلاث: حالة لاهوتية، وحالة ميتافيزيقية، وحالة واقعية.

(54/1)

تحيز وبغير التزام بأي جانب في مجالات المناقشة المعروفة، والمناقشات التي يجب إضافتها وثيقة الصلة ليس بعلم اللغة فحسب ولكن بالعلم ككل، ولكن لها ارتباط خاص باللغوي بصدد تلك التطورات الحديثة في علم اللغة وفلسفة اللغة المرتبطة بأعمال تشومسكي وأفكاره التي لها أثرها الجدير بالاعتبار إلى حد بعيد على المناقشة الأعم الخاصة بالمذهب التجريبي والمذهب الوضعي التي أثارها الفلاسفة وعلماء النفس والعلماء الاجتماعيين الآخرين "انظر 7 - 4".

والمذهب التجريبي يتضمن ما هو أكثر بكثير من تبني الطرق التجريبية في التحقيق والإثبات، ولذلك يوجد مميز حاسم يرسم بين التجريبي "empiricist" والاتصاف بالتجريبية "empirical"، ومصطلح "المذهب التجريبي" يشير إلى وجهة النظر التي تذهب إلى أن كل المعلومات تأتي عن طريق التجربة - والكلمة الإغريقية "empeiria" تعني تقريبا "التجربة" وعلى الأخص الآتية من الملاحظة والمعلومات الحسية، ويقابل مصطلح "المذهب العقلي" في جدال فلسفي استمر طويلا، وهي من الكلمة اللاتينية "ratio" وتعني في هذا السياق العقل "mind/ intellect" و"resson" ويؤكد أتباع المذهب العقلي على الدور الذي يلعبه العقل في اكتساب المعرفة ويتمسكون - بصفة خاصة - بوجود تصورات أو قضايا أولية 1 "تعني كلمة أولية في التفسير التقليدي لها "المعرفة التي لا تعتمد على غيرها" يفسر العقل في ضوءها المعلومات المستمدة من التجربة، وسوف نعود إلى بعض الجوانب الأخرى الأكثر خصوصية من الجدل الدائر بين المذهب التجريبي والمذهب العقلي 2 عند مناقشتنا للتوليدية "انظر 7 - 4".

1 أي: تلك التصورات والقضايا التي تصلح لأن تكون مقدمات لما بعدها وليست مستنتجة من تصورات أخرى قبلها.

2 يذهب العقليون إلى أن العقل هو الأصل الذي يصدر عنه كل علم =

(55/1)

ولسنا في حاجة -فيما نحن بصدد- لرسم مميز بين المذهب التجريبي والمذهب الوضعي فالأول له تاريخ أطول وهو أرحب مجالا باعتباره موقفا فلسفيا، لكنهما صهران طبيعيان مرتبطان ارتباطا وثيقا بكل ما يعنينا هنا، ويعتمد المذهب الوضعي على المميز بين ما يسمى بالمعلومة الوضعية للتجربة والتأمل الواقع وراء نطاق الخبرة بأنواعها المختلفة، ويتجه المذهب الوضعي إلى أن يكون علمانيا مجافيا لما وراء الطبيعة من حيث النظرة، ويستبعد أي احتكام للكينونات اللافيزيائية، وقد كان هدف المناطق من أتباع المذهب الوضعي في دائرة فينا إنتاج نظام مفرد للعلم الموحد تتمثل فيه الكتلة الكلية للمعرفة الوضعية وهي في نهاية المطاف مثل مجموعة من القضايا المصوغة صياغة دقيقة. وقد تخلى في الوقت الحاضر مبدأ التحقيق والإثبات "على الرغم من أنه يلعب دوره في صياغة نظرية الحقيقة المشروطة للمعنى" انظر 5 - 1 " ويجوز مبدأ الردية "reductionism" قبولاً أقل بكثير -بصفة عامة- من قبل العلماء والفلاسفة عما كان الأمر عليه عندما كتب بلومفيلد كتابه الأساسي المشهور في علم اللغة عام 1933، وذكر بلومفيلد في هذه النقطة لأنه ولا عجب ألزم نفسه بشدة بالمذهبي التجريبي والوضعي، وهو ما يتضح بشكل حقيقي بينما يذهب التجريديون إلى أن التجربة مصدر العلم ويشبهون العقل قبل التجربة بصفحة بيضاء وقد يسمى هذا المذهب بمذهب الحسين وثمة مذهب ثالث هو مذهب النقيدين الذين يحاولون التوفيق بين الدعوى المتعارضة التي يدعيها أصحاب المذهبين الآخرين ويمكن القول بأن الفارق بين المذهب العقلي والمذهب التجريبي أن أتباع المذهب الثاني يرفضون أفكار أتباع المذهب الأول رفضاً تاماً، بينما لا ينكر أتباع المذهب الأول إلا أن يكون هناك علم ضروري صادق مصدره التجربة وحدها فالعقل له القدرة على ابتداع المعاني والتصورات وللتأليف بينها بفطرته ويطبع العلم الإنساني برمته بطابع الصدق والحمق.

(56/1)

إلى حد بعيد في الفصل الثاني من كتابه، وقد ارتبط -في الواقع- ارتباطا وثيقة بحركة وحدة المعرفة، وأقرت كلية مبدأ الردية الأمر الذي جعله أكثر من أي شخص آخر بالنسبة لعلم اللغة -وبصفة خاصة في أمريكا- مثالا للعلمية الحقيقية، ومن ثم يوجد ميراث للمذهبيين التجريبي والوضعي في علم اللغة يمكن بيانه تاريخيا.

ولم يعد مبدأ الردية المذهب الوضعي بصفة أعم مثيرا لمعظم العلماء كما كان الأمر يوما ما، ومما هو مقبول اليوم على نطاق واسع أنه ليس هناك ما يعد منهجا علميا واحداً يمكن تطبيقه في كل المجالات، وأنه لا يسمح بوجود مداخل متنوعة باعتبارها مسألة ضرورة قصيرة الأمد في فروع المعرفة المختلفة فحسب ولكن قد يكون ذلك مبررا لمدة طويلة أيضا بسبب الاختلافات الخاصة بموضوعات البحث التي لا يمكن اختزالها، وقد عبر بعض فلاسفة العلم عن شكوكهم حول منهاج أتباع المذهب الوضعي بصدد تفسير العمليات العقلية بواسطة المناهج والتصورات المميزة للعلوم الطبيعية وذلك منذ القرن السابع عشر أيام ديكارت وهوبز، وكثير من علم النفس وعلم الاجتماع في القرن العشرين ومثله الكثير مما يدخل في علم اللغة في القرن العشرين يتصف بالوضعية، غير أن -فروع المعرفة الثلاثة كلها وبصورة أكثر وضوحا علم اللغة- دخلت فيها الوضعية حديثا تحت وطأة اعتبارها عقيمة وغير قادرة على أداء مهامها.

قصارى القول إنه لم يعد هناك إجابة مرضية عما إذا كان فرع من فروع المعرفة يتصف بالعلمية أم لا يتصف بها حتى لو كانت الإجابة ممكنة عن طريق الرجوع إلى ما يعرف بالمنهج العلمي، وكل علم مؤسس بشكل جيد يستخدم أنبيته النظرية المميزة ومناهجه الخاصة به في الحصول على المعلومات وتفسيرها، وما أشرنا إليه في الفصل السابق كتصور -النظام اللغوي- يمكن أن يوصف

(57/1)

بطريقة أكثر علمية كبناء نظري، والقضايا التي يمكن أن تثار حول حقيقة هذه الأبنية تشبه إلى حد كبير تلك التي يمكن أن تثار حول الأبنية الموجودة في الطبيعة والكمياء الحيوية، ومع ذلك فمن الأفضل أن نتعرف على كل بناء نظري معروض من حيث ما يفني به فيما يتعلق بالمعلومات.

وكل ما قلناه عن المذهب التجريبي والمذهب الوضعي وعن المكانة الراهنة لما يعرف بالمنهج العلمي يميل إلى أن يكون حقيقيا وغير متنازع عليه، ولنتحول الآن إلى نقاط

الاختلاف.

النقطة الأولى تتعلق بما تتضمنه فكرة بوبر الخاصة بالملاحظة التي تتصف بالنظرية المحملة، والخلاف حول استخدام مصطلح نظرية، وما يذكره بوبر مهجماً له المميز الحاد الذي رسمه المناطق أتباع المذهب الوضعي بين الملاحظة التي يلزم أن تكون محايدة نظرياً وبنية النظرية التي يلزم أن تكون حالة من التعميم الاستقرائي، ولقد كان -بلا شك- على حق في تحديه حدة هذا المميز وعلى الأخص وجهة النظر التي تذهب إلى أن الملاحظة ومجموعة المعلومات يمكن -ويجب- أن تخطو خطوات إلى الأمام بصدد صياغة الفرضيات، وثمة قضية شائعة فاخيار المعلومات تحدده بعض الفرضيات التي يرغب العالم في اختيارها وليست القضية كيفية الوصول إليها، وحقيقية إن مفهوم أتباع المذهب الوضعي في عدم اختيارية الملاحظة ومجموعة المعلومات غير صحيح لا يعني عدم وجود فاصل -على الإطلاق- بين تصورات النظرية، وتصورات ما قبل النظرية، ومن التعامل السيئ لمصطلح نظرية أن ندرج تحتها كل الأفكار المكونة سلفاً، والتوقعات التي يدنو بها المرء مما يمكن ملاحظته ويصنع اختياره، وسنتناول المميز بين تصورات النظرية وتصورات ما قبل النظرية في مواضع عديدة في الفصول الأخيرة، وسنفترض أن الملاحظة -رغم

(58/1)

أنها مختارة بالضرورة -يمكن أن تكون موضع ضوابط منهجية مرضية في علم اللغة كما هو الحال في العلوم التجريبية الأخرى.

ونقطة الخلاف الثانية وهي ذات أهمية خاصة في علم اللغة في الوقت الحاضر تتعلق بدور الحدس والمشكلات المنهجية التي تثار في هذا الشأن، ويحمل مصطلح "حدس" في طياته ارتباطات يومية إضافية غير ملائمة، وكل ذلم مضمر عندما يشار إلى حدس المتكلم الأصلي عن لغته وهي أحكامه اللغوية غير المكتسبة بالثقافة حول قبول الأقوال أو عدم قبولها، وحول الأقوال التي تنكافأ أو التي لا تنكافأ وهلم جرا، وجاءت فترة اعتقد فيها بعض اللغويين -من حيث المبدأ- إمكانية التخلص من ضرورة سؤال المتكلمين الأصليين أن يصدرُوا مثل هذا الأحكام التخلص من ضرورة سؤال المتكلمين الأصليين أن يصدرُوا مثل هذه الأحكام الحدسية عن لغتهم ببساطة عن طريق جمع مجموعة كاملة ضخمة -بشكل كاف- من المعلومات المذكورة بطريقة محايدة وإخضاعها

للتحليل الشامل المنظوم، ولا يأخذ بهذا الرأي في أيامنا هذه سوى قلة من اللغويين، وأصبح من الواضح أن كثيرا من الأقوال المذكورة بطريقة طبيعية تكون -لأسباب غير متصلة باللغة- غير مقبولة كما أنه لا توجد مجموعة كاملة من المواد مهما كانت ضخامتها تشمل أمثلة من كل نوع من الأموال المقبولة، غير أن تعامل اللغوي مع الشاهد الحدسي يظل موضع خلاف ولهذا الخلاف شقان.

الأول يتعلق بقضية ما إذا كان الحدس الذي يشير إليه اللغوي يعد جانبا من القدرة اللغوية للمتكلم الأصلي أم لا، ولو أن الأمر كذلك فتبعاً لتعريف تشومسكي للقدرة وحسب صياغته لأهداف علم اللغة يصبح الحدس نفسه جانبا ينبغي على ما وصف أي لغة معينة أن يقدم بشكل مباشر بيانا عنه، وقد لا يرغب معظم اللغويين في القول بأن وصف لغة ما ينبغي أن يعالج حدس

(59/1)

المتكلم الأصلي باعتباره معلومات وسنعود إلى هذه القضية عند مناقشتنا للتوليدية.

والجانب الثاني من الخلاف يتعلق بكون أحكام المتكلم الأصلي كتقارير أو أخبار عن السلوك اللغوي الخاص به وبغيره جديرة بأن يعول عليها، والرأي العام المجمع عليه بين اللغويين يبدو أنه يذهب إلى أن مثل هذه الأحكام -في جوانب معينة على الأقل- غير جديرة بالاعتماد عليها إلى حد بعيد، فالمتكلمون الأصليون لا يختلفون فيما بينهم على نحو متكرر حول ما يمكن قبوله عندما لا يكون هناك سبب آخر يدعو للاعتقاد بأنهم يتكلمون لهجات مختلفة فحسب ولكن أحكامهم يبدو أنها تتغير من حين لآخر، وأكثر من ذلك فإنه كثيرا ما يحدث أن يستبعد متكلم أصلي بعض الأقوال التي يضعها أمامه اللغوي الوصفي على أنها غير مقبولة، ثم إذا به يسمع أو يسمع نفسه يصدر ذلك القول نفسه في بعض سياقات الاستخدام الطبيعية، وبقدر ما يلقي استبطان اللغوي لغته من اهتمام فإنها على الأقل غير جديرة بالاعتماد عليها مثل حدس غير المتخصص، وإن كان ذلك يرجع عادة لأسباب أخرى، وقد يكون اللغوي أقل اهتماما من غير المتخصص بالمستويات المشتركة التقليدية للاستخدام الصحيح "فعلى سبيل المثال يقبل بسهولة تامة أنه من الطبيعي أن يقول *Its me* أكثر من *It is I*" غير أن أحكامه أكثر عرضة لأن يشوهها إدراكه لم فيها من تضمينات لهذا الموضوع النظري أو ذاك، واستبطان اللغوي سلوكه اللغوي الخاص به وبغيره يمكن أن يعد -بصور جيدة-

نظرية محملة إذا لم تعد الملاحظة المباشرة للحوار التلقائي كذلك.
وهناك في الحقيقة مشكلات منهجية هامة إلى حد بعيد تتعلق بمجموعة

(60/1)

المعلومات الجديدة بأن يعول عليها في الإطار الكلي لموضوعات علم اللغة النظري إلا أنها ليست أكثر خطراً من تلك المشكلات المنهجية التي تواجه أولئك الذين يعملون في علم النفس أو علم الاجتماع أو العلوم الاجتماعية بصفة عامة، واللغوي في جوانب معينة في وضع أفضل مما فيه معظم العلماء الاجتماعيين حيث يتضح له إلى حد ما مدى ما يمكن ملاحظته في السلوك اللغوي ومدى ما لا يمكن ملاحظته، وأكثر من ذلك توجد مجالات جديدة بالاعتبار إلى حد بعيد في وصف أي لغة لا يكون -بالنسبة له- عول حدس المتكلم الأصلي وحتى استبطان اللغوي قضية خطيرة لذلك يجب ألا يبالغ المرء في المشكلات المنهجية التي تظهر في مجال البحث اللغوي.

وقد أشرنا في الفقرة السابقة إلى علم النفس، وعلم الاجتماع، والعلوم الاجتماعية الأخرى وكثير من اللغويين وربما الأغلبية منهم يصنفون تخصصهم المعرفي ضمن العلوم الاجتماعية، غير أن علم اللغة لا يمكن تصنيفه بسهولة ضمن أي قسم من أقسام البحث الأكاديمي التي تعد أساساً للفرقة بين العلم والفنون أو المميز الثلاثي للعلوم الطبيعية، والعلوم الاجتماعية، والعلوم أو الدراسات الثقافية، والاستخدام المتزايد لعبارات مثل: "علوم الحياة"، "والعلوم السلوكية"، "والعلوم الإنسانية"، و"علوم الأرض" تشير إلى أن كثيراً من فروع المعرفة تشعر بالحاجة إلى إعادة التصنيف الاستراتيجي أو التكتيكي الذي يراعي قليلاً المميزات التقليدية.

وعلى كل حال فإن وجود علم اللغة - كتخصص جامعي - أو عدم وجوده في كلية دون أخرى يعد مسألة إدارية، وعلم اللغة كما أكدنا من قبل له روابطه الطبيعية بإطار أوسع من فروع المعرفة الأكاديمية، والقول بأن "علم اللغة" علم لا ينفي أنه -بفضل موضوعات بحثه- يرتبط ارتباطاً

(61/1)

وثيقا بفروع معرفية إنسانية شهيرة مثل الفلسفة والنقد الأدبي.

وفي الفصول التالية سنذكر عددا من الأسس التي يسلم بها اللغويون في وقتنا الحاضر - بصفة عامة- وسنتناولها بالمناقشة، والجانب الأعظم منها يمكن أن يبدو مأخوذا من المثال العلمي للموضوعية، ومنذ أن أكد علم اللغة موضوعيته وصارت له استقلاليتها التي ادعاهها كثيرا في هذا الشأن عن النحو التقليدي أصبحت هذه الأسر تقف في مواجهة مع الأسس التي تحدد المواقف والافتراضات المميزة للنحو التقليدي.

(62/1)

ثالثا: المصطلحات والرموز

لكل فرع علمي مفرداته التقنية الخاصة، ولا يستثنى علم اللغة في ذلك ومعظم المصطلحات الفنية التي يستخدمها اللغويون نشأت خلال عملهم، ويفهمها بسهولة أولئك الذين يدخلون هذا التخصص متعاطفين وغير متحاملين.

ويحدث الاعتراض أحيانا عندما تكون المصطلحات اللغوية لعلم اللغة وكذلك اللغة التي يستخدمها معقدة بلا ضرورة، لماذا يميل اللغوي هكذا إلى خلق مصطلحات جديدة؟ ولماذا لا يقنع بأن يتحدث عن الأصوات، والكلمات وأقسام الكلام بدلا من اختراع مصطلحات فنية جديدة كالوحدة الصوتية "الفونيم"1، والوحدة الصرفية "المورفيم"2 والوحدة النحوية2؟

1 انظر الفصل الخاص بالأصوات.

2 الوحدة الصرفية "المورفيم" "morpheme" أصغر وحدة متميزة في النحو، وبؤرة اهتمام علم الصرف والدافع الأساسي لوجود هذا المصطلح وما يشير إليه أن يكون بديلا عن الكلمة بعد أن ثبت صعوبة التعامل =

(62/1)

والإجابة على ذلك أن معظم المصطلحات المتداولة التي تستخدم فيما يتعلق باللغة - وكثير منها نشأ عرضا كمصطلحات فنية للنحو التقليدي- غير دقيقة وملبسة، وهذا لا يعني أن اللغوي - ككل المتخصصين- قد لا يكون مذنبا في أوقات الحذقة

الاصطلاحية في غير موضعها، وعلى كل حال ومن حيث المبدأ فإن المفردات التخصصية في علم اللغة إذا سيطر عليها الاستخدام المناسب المنظم فإنها ستعمل على التوضيح أكثر من التعمية، إنها تزيل قدرا كبيرا من اللبس والفهم الخاطئ المحتمل. وما يتعلق بالمصطلحات العلمية يتعلق بالرموز، فنحن نستخدم اللغة للتحدث عن كل من اللغة عموما واللغات المعينة، ونحن إذ نفعل ذلك نحتاج إلى أن يكون في إمكاننا تحديد الجزء أو القسم أو السمة التي تختص باللغة المعنية

= معها كما أنها قد تكون معقدة للغاية والبنية كما تعد الوحدة الصرفية "المورفيم" أصغر الوحدات ذات الوظيفة في تصنيف الكلمات وتصنيف الوحدات الصرفية "المورفيمات" عموما إلى صيغ حرة وهي المورفيمات التي يمكن أن تذكر ككلمات منفصلة، صيغ مقيدة وهي المورفيمات التي لا يمكن أن تذكر ككلمات منفصلة وتذكر أساسا ك لواحق وسوابق لذلك؟؟؟؟ كلة **unselfish** تتكون من ثلاثة مورفيمات **un/ self/ ish** الأول والثالث فيها صيغتان مقيدتان والثاني صيغة حرة، وتعد الكلمة التي تتكون من مورفيم مفرد حر كلمة ذات مورفيم واحد وتقابل الكلمة ذات المورفيمات المتعددة. ويمكن أن نميز أيضا بين المورفيمات المعجمية والمورفيمات النحوية، فالمورفيمات المعجمية هي التي تستخدم في بناء كلمات جديدة في لغة ما كما يحدث في الكلمات المركبة **compound words** مثل **black bird** واللواحق والسوابق أما المورفيمات النحوية فهي التي تستخدم للتعبير عن العلامة بين الكلمة وسياقها مثل الجمع أو الزمن الماضي، والمورفيمات النحوية التي تعد كلمات منفصلة يطلق عليها اسم الكلمات الوظيفية أو الأدوات. وقد كان تطبيق المفاهيم المورفيمية على نطاق واسع بصفة خاصة في الأربعينات، والخمسينات من هذا القرن في الدراسات اللغوية لما بد بلومفيلدية.

(63/1)

التي تشير إليها تحديدا دقيقا، واستخدام الاصطلاحات الرمزية الخاصة يجعل ذلك أكثر سهولة، فعلى سبيل المثال قد تكون في حاجة إلى التمييز بين معنى كلمة ما وصيغتها، أو بين كليهما والكلمة نفسها، ولا توجد -من سوء الحظ- مجموعة من الاصطلاحات الرمزية مقبولة بشكل عام يمكن لهذه المميزات ولغيرها أن ترسم بواسطتها، وفي عملنا

هذا سنصنع استخداما مميزا لعلامات التنصيص المفردة، وعلامات التنصيص المزدوجة،
والحروف المائلة فعلى سبيل المثال سنميز بين كلمة "aable" المكتوبة بالحروف
القائمة، والمكتوبة بالحروف المائلة، على أن تشير الأولى للمعنى وأن تشير الثانية للصفة
"أو إحدى الصيغ الخاصة بها" وكي نستخدم هذين الرمزتين يجب أن نحافظ على مميز -
كما سنرى بعد- بين معنيين على الأقل لكلمة "كلمة" يشير المعنى الأول إلى ما نتوقع
إدراجه في قائمة معجم اللغة ويشير المعنى الثاني إلى ما يكتب بين مسافات كسلسلة من
الحروف في نص مكتوب.

وهناك رموز أخرى أدخلت مؤخرا تمكننا من تمييز الصيغ المنطوقة من الصيغ المكتوبة،
والصيغ المنطوقة بنوع "الصوتي" عن الصيغ المنطوقة بنوع "الفونولوجي" وهلم جرا،
والقضية العامة التي أثرناها هنا أن تلك الاصطلاحات الرمزية المتنوعة -إن لم تكن
جوهرية بصورة مطلقة- فهي على الأقل نافعة إلى حد بعيد لغرض الإشارة إلى
المعلومات اللغوية وهي تجعل ما نتكلم عنه واضحا، ولها فائدة إضافية فهي تجبر اللغوي
على التفكير بعناية فيميزات خاصة قد تمر دون ملاحظة في ظروف أخرى، وكثيرا ما
يثبت صعوبة كونها ثابتة على الإطلاق عند تطبيق بعض الاصطلاحات الرمزية المعينة،
وتؤدي هذه الصعوبة حينئذ إلى إعادة تحديد المميز النظري الذي صيغ الاصطلاح
الرمزي لأول مرة، وهي إحدى الطرق التي يحدث بها التقدم في أي فرع من فروع
المعرفة.

(64/1)

رابعا: اللغة وصفي وليس معياريا

...

رابعا: علم اللغة وصفي وليس معياريا 1:

يستخدم مصطلح "وصفي" "descriptive" هنا بمعنى مختلف عن المعنى الذي
يقابل فيه "عام" من ناحية أو "تاريخي" من ناحية أخرى، والتقابل الذي يتعلق بهذا
المكان هو ذلك الذي يربط بين كيف تكون الأشياء، وكيف يجب أن تكون الأشياء
والمصطلح البديل المعياري "prescriptive" بالمعنى الذي يقابل فيه المصطلح
"وصفي" "descriptive" هو "normative" والقول بأن علم اللغة وصفي
"أي: غير معياري" يعني أن اللغوي يحاول كشف القوانين التي تسير الجماعة اللغوية -في

أدائها اللغوي الفعلي - وفقا لها وتسجيلها ولا يسعى إلى فرض قوانين ومستويات صواب أخرى "أي: دخيلة" عليهم.

ومن الممكن أن يلتبس استخدام كلمة "قانون" -وقد فرغت للتو من التفرقة بين الوصفية والمعيارية- بين هذين المعنيين المختلفين إلى حد بعيد، ويتحدث اللغويون - سواء أكان ذلك صواباً أم خطأ- بهذه المصطلحات، وربما كان مفيداً لهذا السبب أن نوضح الاختلاف بين نوعين من القوانين -دعنا نطلق عليهما القوانين الداخلية، والقوانين الخارجية على الترتيب- من شيء آخر خلاف استخدام اللغة، لتتكلم عن السلوك الجنسي في مجتمع بعينه فلو أننا تبيننا وجهة النظر الوصفية البحتة "أي: غير المعيارية" في بحث السلوك الجنسي فسوف نحاول الكشف عن كيفية السلوك الفعلي للناس ما إذا كانوا يمارسون الجنس غير الشرعي، وإن كانوا يمارسونه فما نوع هذا الجنس وفي أي مرحلة من العمر، وما إذا كان الأزواج والزوجات مخلصين

1 فهدف علم اللغة وصف حقائق الاستخدام اللغوي كما هو وليس كما ينبغي أن تكون فيما يتعلق ببعض الحالات النموذجية الحقيقية أو المتخيلة.

(65/1)

-أو غير مخلصين- بدرجة واحدة لزوجاتهم أو لأزواجهن وهلم جرا، وبقدر ما يكون سلوك مجموعات معينة داخل المجتمع محكوماً في الواقع بمبادئ يمكن تحديدها -سواء أكان أفراد هذه المجموعات يعترفون بهذه المبادئ أو حتى على وعي بها أم لا- نستطيع أن نقول إن سلوكهم محكوم بقانون: القوانين الداخلية في سلوكهم العملي، لكن مثل هذه القوانين "إن صح أن نسميها قوانين" مختلفة إلى حد بعيد في هيئتها إن لم يكن في محتواها عن قوانين السلوك التي قد يحكم بها القانون أو الدين المعتنق -ببساطة- قواعد السلوك وآدابه الواضحة المتعارف عليها، والناس في ممارستهم قد يقرّون -أو لا يقرّون- ما أدعوه بالقوانين الخارجية "أي: الدخيلة أو غير الداخلية" للسلوك الجنسي، وأكثر من ذلك قد يوجد اختلافات بين كيف يتصرفون وكيف يتكلمون أو حتى يفكرون فيما فعلوه، وكل هذه الاختلافات لها متعلقاتها المتبادلة التي تتصل بالسلوك اللغوي، والمميز الأكثر أهمية على كل حال هو الذي يربط بين القوانين الخارجية "أي: المعيارية" والقوانين الداخلية "أي: الوصفية"، فالمعيارية أوامر "قل كذا أو لا تقل كذا"،

والوصفية تقريرات "الناس تقول كذا أو لا تقول كذا".
وسبب إلحاح اللغويين هذه الأيام على ما يميز بين القوانين الوصفية والقوانين المعيارية يعود ببساطة إلى أن النحو التقليدي يتصف بالمعيارية اتصافا شديدا، ويراه النحاة كما لو كانت مهمته صياغة مستويات الصواب وفرضها -إن لزم الأمر- على متكلمي اللغة، وكثير من القواعد المعيارية للنحو التقليدي، تبدو معروفة للقارئ مثل: لا تستخدم أبدا نфия مزدوجا مثل "I didnt do nothing" ولا تختتم الجملة بحرف جر مثل "thats the"؛ "man l was spesking to" وأين الفعل "to be" يأخذ حالة واحدة بعده

(66/1)

وقبله، وعليه يجب أن تصحح "Its me" إلى "Its l" وأن تكون "Ain t" خطأ وأنه يجب ألا نقسم المصدر كما في "I want you to clearly understand" حيث أدخلت "clearly" بين "to" و "understand".
والنفكير في الأمثلة المذكورة كورة أعلاه يظهر بسرعة أنها متغايرة الخواص إلى حد بعيد، وهناك بعض اللهجات الإنجليزية لا يستخدم فيها أبدا ما يسمى بالنفي المزدوج "أي: لا تستخدم فيها أبدا "I didnt do nothing" كمكافئ العبارة: "I did t do anything" في اللغة الإنجليزية المشتركة" غير أن هناك لهجات أخرى تعد فيها -من وجهة النظر الوصفية البحتة- البنية الصحيحة، وعندما تقدم الأسباب لإدانة النفي المزدوج باعتباره غير صحيح -بواسطة بعض المبادئ المعيارية- فيما يتعلق بذلك الاستخدام الفعلي الذي قد يحكم عليها وتوجد على غير المستوى المطلوب يكون المنطق بمثابة محكمة الاستئناف، ويجبرنا المنطق بأنه يقال إن نفيين يصنعان إثباتا، وهو ما يقتضي تعليقات عديدة، أولها إن هذا القول يدل على الفهم الخاطئ لما يقوم به المنطق وكيفية قيامه بها، غير أننا لسنا في حاجة إلى التعمق في البديهات المنطقية، ولا في القضية المعقدة عن كيفية ارتباط ما يدعى بالمنطق الطبيعي للسلوك اللغوي المعتاد بنظم المنطق التي شيدها المناطقة وبحوثها، والقضية ببساطة أنه لا يوجد شيء مختل منطقيا بشكل متأصل فيما يسمى بالنفي المزدوج، وفي اللهجات التي يستخدم فيها باطراد تؤدي دورها بطريقة منظمة تماما وفق القوانين النحوية ومبادئ التفسير الداخلية لسلوك الجماعات اللهجية، موضع البحث، والقضية الثانية التي تتولد في الذهن أن ما يسمى

بنية النفي المزدوج لا يمكن وصفه وصفا مناصبا كما يؤدي دوره في لهجات إنجليزية معينة دون أن نأخذ في حسابنا عنصري النبر والتنغيم، وتجيز قوانين اللغة الإنجليزية المشتركة "أي: القوانين المتأصلة في السلوك اللغوي للمتكلمين بلهجة إنجليزية معينة" قولك

(67/1)

I didn't do nothing "لنعي على وجه التقريب **Its not true**؛ **that I did nothing**" بشرط أن تكون **didn't** منبورة أو أن تكون **do** أو **nothing** منطوقة بنبر ثقیل بشكل خاص وذلك مع تضمينات أو افتراضات مسبقة إضافية، وفي اللهجات التي يكون فيها **"I didn't do nothing"** مع نبر عادي غير مشدد يمكن أن تعني **"I didn't do anything"** يكون لها أيضا المعاني التي لها في اللغة الإنجليزية المشتركة غير أن النبر والتنغيم يمنعان اللبس، وأخيرا يمكن أن نلاحظ وجود لغات كثيرة يذكر فيها ما يطلق عليه بنية النفي المزدوج في اللهجة الأدبية المشتركة وذلك مثل اللغة الفرنسية، واللغة الإيطالية، واللغة الإسبانية، واللغة الروسية -ولا نذكر سوى قلة من اللغات الأوروبية الحديثة الأكثر شيوعا، وحتى أعظم اللهجات مكانة في الإغريقية القديمة- الإغريقية الكلاسيكية كما استخدمت في كتابات أفلاطون **"Plato"** أو سوفوكليس **"sophocles"** أو ثوسيديدس **"Thucydides"** أو المؤسس الأول للمنطق أرسطو **"Aristotle"** نفسه سيوجد فيها بنية النفي المزدوج على الرغم من أن النحو التقليدي قد أخذ مصادره من وصف اللهجات الأدبية الإغريقية القديمة!

وبعض القواعد المعيارية الأخرى في النحو التقليدي مثل تخطيط انقسام المصدر **"to clearly understand"** أو الخاصة بـ **"Its me"** مأخوذة من تطبيق مبادئ وتصنيفات -أسست في المقام الأول لوصف الإغريقية واللاتينية- على اللغة الإنجليزية، واللغات التي تكون فيها الصيغ التي ينطبق عليها مصطلح "مصدر" صيغ أحادية الكلمة هي اللغة الإغريقية واللغة اللاتينية، واللغة الفرنسية، واللغة الجرمانية، واللغة الروسية.. إلخ، وتبعاً للنحو التقليدي فإن الصيغ الثنائية الكلمة **"to understand"**؛ و **"to go"**. إلخ تسمى أيضا مصادر مع أن وظيفتها تشبه جزئيا فقط وظيفة

المصادر اللاتينية، وكما رأينا أخيراً سواء أكانت الصيغة التي يمكن قسمتها "بالمعنى الذي نتحدث فيه عن المصدر المنقسم" أحد المعايير الأساسية التي يطبقها اللغوي ليقرر ما إذا كانت الصيغة موضع البحث صيغة أحادية الكلمة أم صيغة ثنائية الكلمة فمن المفترض أنه بواسطة معايير أخرى وبواسطة تقاليد الكتابة الخاصة باللغة المكتوبة ألا يكون هناك مانع -من حيث المبدأ- من أن ينقسم ما يسمى بالمصدر في اللغة الإنجليزية وهو في الصيغة الثنائية الكلمة، وفيما يتعلق بالنقد الموجه إلى "Its me" .. إلخ فإن حقيقة الوضع الذي يشار إليه في النحو التقليدي باعتباره اختلاف في الحالة 1 "I في مقابل me، و she في مقابل her، و he في مقابل him ... إلخ" لا يوجد في كل اللغات، كما أنه لا يوجد شيء يمكن أن يميز من خلال وظيفته وخصائصه النحوية كفعل يعني "to be" وأكثر من ذلك فإن اللغات التي فيها كل من الحالة والفعل الذي يمكن تمييزه باعتباره مكافئاً لـ "ess" اللاتيني أو "to be" الإنجليزي تتنوع الأبنية الموجودة فيها وتعارض الحالة التي هي عليها بشكل مباشر القانون: الفعل "to be" يأخذ حالة واحدة قبله وبعده، ذلك القانون المعياري المؤسس على اللغة اللاتينية الذي لا يمكن أن يلقي تأييداً على نطاق أكثر اتساعاً.

ومما يسترعي الانتباه بشكل كاف أن كثيراً من المتكلمين الذين يعدون من وجهة نظر النحاة التقليديين نماذج جيدة للمتحدثين بالإنجليزية يقولون ويكتبون:

1 الحالة "case" فصيلة نحوية "grammatical category" تستخدم في تحليل أصناف الكلمات "word classes" لتمييز العلاقة النظامية بين الكلمات في جملة ما من خلال تقابلات مثل الفاعلية والمفعولية، والتصنيف التقليدي كما تجده في النحو اللاتيني يعتمد على تنوع الصيغ الصرفية للكلمة.

1 He told you and I, between yuy and I .. إلخ، ومثل هذه الأبنية تنتقض قانوناً معيارياً آخر للغة الإنجليزية وهو أن "الأفعال وحروف الجر تتحكمان في مفعولهما في حالة المفعولية"، ومن المفترض أن تكون هذه الأبنية قد نشأت نتيجة اللحن

الاشتقاقي أي: التوسع في تطبيق بعض الأسس والقوانين -على أساس من الفهم الخاطئ لجمال تطبيقها- على مجموعة من الظواهر لا تنطبق أساسا عليها، وطبيعة القانون المعيارى مفهومة خطأ- والكثير من المتكلمين ممن قد يقولون بطريقة طبيعية: **you and me will go** لا يقولون أبدا **me will go** ولا **He told I** ويفسر كبديل عن التوجيه "لمن يعاني رداءة الأداء في اللغة الإنجليزية" بإحلال **you** و **I** مكان **yot** و **me** أو **me** و **you** في جميع مواضع ذكرها، وهي لا تؤثر في إنتاج ما يقبل به النحوي التقليدي على أنه صواب فحسب مثل **you and I will go together**.... إلخ ولكن تؤثر كذلك في إنتاج ما قد يدينه مثل: **you and I**، و **He told yot and I** إلخ وهو ما لا يتضمن بطبيعة الحال أن المتكلم باللغة الإنجليزية يقول **between you and I** و **you and I He told**... إلخ يقوم بنفسه بعملية إجراء التطبيق أو التطبيق الخاطئ للقانون التقليدي، وهذا الأبنية شائعة الآن في كلام المتكلمين باللغة الإنجليزية المشتركة من الطبقتين الوسطى والعليا في إنجلترا لدرجة أنه من الواجب أن يتعلمها ربما معظم أولئك الذي يستخدمونها بطريقة طبيعية في العملية العادية لاكتساب اللغة، وثمة شك ضئيل -رغم ذلك- حول ما إذا كانت نشأتها ترجع إلى عملية اللحن الاشتقاقي. ولا يمكن للمنطق كما لا يمكن لنحو اللغة اللاتينية أن يكون بمثابة محكمة استئناف عندما نكون بعدد ما إذا كان شيء ما في اللغة الإنجليزية صوابا

(70/1)

أم خطأ، ولا يمكن كذلك أن يكونا سلطة لا معقب لها من التقليد من أجل التقليد "هذا ما تعلمته وتعلمه آبائي، وما تعلمه آباء آبائي" ومن أجل استخدام أولئك الذين ينظر إليهم على أنهم أفضل الكتاب في اللغة، وثمة وجهة نظر شائعة في مجتمعنا -أو كانت موجودة حتى وقت قريب- تذهب إلى أن التغير اللغوي يتضمن بالضرورة انحطاطا أو فسادا في اللغة، وهي وجهة نظر لا يمكن الدفاع عنها، فكل اللغات عرضة للتغيير وهي حقيقة ثابتة بطريقة الاستقراء، ومهمة علم اللغة التاريخي أن يبحث تفصيل التغير اللغوي عندما يكون متاحا للبحث، وأن يبني نظرية تفسيرية للتغير اللغوي تسهم في فهمنا لطبيعة اللغة، والعوامل التي تحدد التغير اللغوي معقدة ولا نفهم حتى الآن إلا جانبا منها فحسب، غير أنه يكفي ما هو معروف الآن -وما هو معروف منذ منتصف

القرن التاسع عشر- لأن يكون واضحاً لأي مراقب غير متحيز للتغير في اللغة أن ما هو مدان في أي وقت باعتباره فساداً أو خطأً في مستويات الاستخدام التقليدية يمكن دائماً أن يكون له مثيل في تطور سابق من النوع نفسه في الاستخدام الذي يتعامل معه التقليديون أنفسهم باعتباره صواباً غير قابل للخطأ.

وفيما يتصل بمبدأ اتباع المستويات التي وضعها الكتاب والكبار المعترف بهم فإن هذا المبدأ لا يمكن الدفاع عنه كذلك -عدم إمكانية الدفاع يعني فيما يتعلق بالاستخدام المتداول بشكل عام- فليس من سبب يدعونا للاعتقاد بأن الكاتب -حتى لو كان عبقرياً- تحوطه العناية الإلهية بمعرفة موثوقة ومؤكدة للقوانين الخارجية للصواب تمتنع عن بقيتنا، وقد حدث ذلك لدرجة أن اكتسب النحو التقليدي نزعة أدبية قوية إلى حد بعيد، ويرجع ذلك إلى أنه في فترات هامة عديدة في تطور الثقافة الأوروبية من فترة مدرسة الإسكندرية -في القرن الثاني قبل الميلاد إلى عصر النهضة

(71/1)

الإنسانية- خضع الوصف النحوي للإغريقية أولاً ثم لللاتينية لمهمة عملية تجعل الأدب في المرحلة الأولى متاحاً لأولئك الذين لم -وبطبيعة الأشياء لا يستطيعون- يتكلموا بطريقة طبيعية اللهجة الإغريقية أو اللاتينية التي قامت عليها لغة النصوص الكلاسيكية، والنزعة الأدبية للقواعد التقليدية لا يمكن أن توضح توضيحاً تاريخياً فحسب بل يمكن تبريرها إلى حد بعيد بقدر ما يلقي وصف الإغريقية واللاتينية من اهتمام، وهو ما لا يمكن تبريره إلى حد بعيد عندما نأتي إلى الوصف النحوي للغات الحديثة المنطوقة.

ولا توجد مستويات صواب مطلقة في اللغة، ونستطيع أن نقول عن أجنبي إنه أخطأ إذا قال شيئاً ينتقض القوانين الداخلية في استخدام المتكلمين الأصليين، ونستطيع أيضاً أن نقول -إذا أردنا- عن متكلم ممن يتكلمون باللهجة اجتماعية أو إقليمية للغة الإنجليزية إنه تكلم بطريقة مخالفة للنحو لو أن قوله انتقض القوانين الداخلية في اللغة الإنجليزية المشتركة، غير أننا في قولنا هذا نفترض بالطبع أن هذا المتكلم يقصد أو ربما يجب أن يقصد استخدام اللغة الإنجليزية المشتركة، وهو افتراض يحتاج في حد ذاته إلى إثبات. ويجب أن نؤكد الآن -وهذه نقطة قد أسئ فهمها كثيراً- أنه عند رسم مميز بين الوصف والمعايرة لا يقول اللغوي بعدم وجود مكان على أية حال لتأسيس مستويات

الاستخدام ومعاييرها فهناك فوائد تعليمية وإدارية واضحة في عالمنا المعاصر لتوحيد اللهجة الأساسية التي تستخدم في دولة معينة أو في منطقة معينة، وعملية التوحيد هذه حدثت خلال فترة طويلة في بلدان غربية كثيرة يتدخل من الحكومة أو بدون تدخل منها، وهو ما يحدث الآن بشكل متزايد في كثير من البلدان النامية في إفريقيا وآسيا كسياسة رسمية، ومشكلة اختيار لغة معينة، أو لهجة معينة وتوحيدها وتدعيمها على حساب غيرها أمر

(72/1)

محفوف بالمصاعب الاجتماعية والسياسية، وهو قسم مما سنسميه التخطيط اللغوي ويعد أحد القطاعات الهامة في مجال علم الاجتماع اللغوي التطبيقي. ويجب ألا نعتقد أن إنكار اللغوي لأن يكون كل تغير في اللغة تغيراً للأسوأ يعني ضمناً أن يكون التغير في اللغة تغيراً إلى الأفضل، فهو لا يعبر إلا عن شكوكه في الإعجاب الدال على عدم التفكير في معايير مشكوك فيها تجريبياً، ويسلم بأنه قد يكون من الممكن -من حيث المبدأ- أن نقيم اللهجات واللغات من خلال ما يتصل بها مرونة، وإمكانية التعبير، والدقة، والإمكانات الجمالية، كما يسلم بالتأكيد بأن استخدام المتكلمين والكتاب -الأفراد- للهجتهم أو لغتهم يتفاوت فعاليتها، ومع ذلك لا يستطيع إلا أن يقرر -على أساس من العمل الأكثر اتصافاً بالعلمية الذي أجري على اللغة واللغات في الأعوام الأخيرة- أن معظم الأحكام حول هذه الأمور ذاتية إلى حد بعيد، واللغوي باعتباره أحد أفراد الجماعة اللغوية له تميزاته الخاصة وهي إما تتصل به شخصياً أو تستمد من خلفيته الاجتماعية والثقافية والجغرافية، وقد يكون محافظاً أو تقدماً حسب مزاجه، ومواقفه تجاه لغته الخاصة لن تكون أقل ذاتية في هذا الخصوص من مواقف غير المتخصص، فقد يجد في نبرة معينة أو لهجة معينة ما يرضيه أو ما لا يرضيه، وقد يصحح حتى كلام أطفاله إذا وجدهم يستخدمون طريقة في النطق أو كلمة أو تركيباً نحوياً يتجههم له المتشددون، لكنه وهو يفعل ذلك -إن كان صادقاً مع نفسه- يعرف أن ما يصححه ليس خطأ متأسلاً، لكنه خطأ متصل ببعض المستويات التي يرغب لأولاده أن يتبنوها لأسباب تتصل بالمكانة الاجتماعية أو الفائدة التربوية. وبقدر ما يلقي موقفه من اللغة الأدبية من عناية يكشف اللغوي ببساطة أن اللغة تستخدم في العديد من الأغراض، وأن استخدامها فيما يتصل بهذه الأغراض لا يجب

أن يحكمه معايير يمكن تطبيقها على اللغة الأدبية، بمفردها أو عليها بصفة أساسية، وهذا لا يعني أنه يعادي -بأي شكل من الأشكال- الأدب أو دراسة الأدب في مدارسنا وجامعاتنا، فعلى العكس من ذلك نجد كثيرا من اللغويين لهم اهتمام خاص بالبحث في الأغراض الأدبية التي توظف لها اللغة ويكمن نجاحها في تحقيق تلك الأغراض، وهو ما يعد جزءا -هاما إلى حد بعيد- من الفرع المعروف بعلم الأسلوب في علم اللغة الموسع.

(73/1)

خامسا: أولوية الوصف التزامني.

مبدأ أولوية الوصف التزامني الذي يميز معظم النظرية اللغوية في القرن العشرين يعني ضمنا ألا تكون الاعتبارات التاريخية متصلة بموضوع بحث حالة متعلقة بزمان معين للغة ما، وقد ورد من قبل مصطلحا دي سوسير: وصفي "Synchronic" وتاريخي "diachronic" انظر 2 - 1" ويمكننا أن نستخدم إحدى ثنائيات دي سوسير لنوضح أولوية الوصف التزامني على الوصف التاريخي. دعنا نقارن التطور اللغوي للغة معينة بمباراة شطرنج تدور أمامنا، فحالة المسطح الخشبي تتغير باستمرار كما أدى لاعب حركته، ورغم ذلك فإنه في أي وقت من الأوقات يمكن أن يوصف وضع المباراة وصفا إجماليا من خلال الأوضاع التي تشغلها قطع الشطرنج "وفي الواقع إن هذا الوصف ليس صحيحا تماما فعلى سبيل المثال يتأثر وضع المباراة بقدر ما تلقى إكمانيات التحصين من عناية بتحريك الملك من مكانه الأصلي وإليه، ويمكن أن نحمل مثل هذه النقاط التفصيلية الثانوية التي يمكن أن تتحطم فيها ثنائية دي سوسير" دون اهتمام بخطط اللاعبين التي بلغت وضعها محددًا في المباراة، ويغض النظر عن عدد

(74/1)

الحركات السابقة أو طبيعتها أو ترتيبها، فالحالة الراهنة للمباراة يمكن أن توصف وصفا تزامنيا دون الإشارة إليها، وكذلك الأمر تبعا لسوسير فيما يتعلق بالتطور التاريخي للغات فكل اللغات تتغير باستمرار لكن كل حالة من الحالات المتعاقبة للغة ما يمكن -ويجب-

أن توصف في حد ذاتها دون الإشارة إلى الحالة التي تطورت منها أو التي يبدو أنها ستتطور إليها.

وقد يبدو ذلك كله نظريا ومجردا بدرجة عالية غير أن له تضمينات عملية إلى حد بعيد، أولها يتعلق بما سادعوه الزيف التأصيلي، والتأصيل 1 دراسة أصول الكلمات وتطورها، وقد أخذ وجهته -بقدر ما تلقى التقليدية النحوية الغربية من اهتمام- في تأملات بعض الفلاسفة الإغريق في القرن الخامس قبل الميلاد ويكشف مصطلح التأصيل عن نفسه بنفسه، فالمصطلح يتضمن الحروف اللاتينية التي تكتب بها صيغة الكلمة الإغريقية "etymos" ومعناها أصلي أو حقيقي، وتبعا لإحدى مدارس فلاسفة القرن الخامس ترتبط كل الكلمات -بطريقة طبيعية أكثر منها عرفية- بما تشير إليه، وقد لا يكون هذا الارتباط واضحا لغير المتخصص غير أن الفلاسفة يستطيعون توضيحه حيث يستطيعون إثبات الحقائق التي تقع وراء مظاهر الأشياء، واختراق المظاهر المختلفة عادة بالتحليل الدقيق للتغيرات التي تحدث في تطور صيغة كلمة ما أو معناها للكشف عن أصل الكلمة، ويكشف معناها الحقيقي عن إحدى حقائق طبيعتها، وما أشرت إليه بالزيف التأصيلي هو ذلك الافتراض الذي يذهب إلى أن الصيغة الأصلية أو المعنى الأصلي لكلمة ما -بالضرورة وبفضل الحقيقة المجردة- هي الصيغة الصحيحة أو المعنى الصحيح، وهذا

1 التأصيل "etymology" مصطلح يستخدم استخداما تقليديا لدراسة أصول صيغ الكلمات ومعانيها، وبدلا من أن يأخذ التأصيل طرائقه ومناهجه من علم اللغة "وبصفة خاصة علم الدلالة" فإنه قد يبدو فرعاً من علم اللغة التاريخي.

(75/1)

الافتراض يتمسك به على نطاق واسع، كيف نواجه عادة القول بأن كلمة كذا وكلمة كذا بسبب مجيئها من اللغة الإغريقية، أو اللغة اللاتينية، أو اللغة العربية، أو أي لغة أخرى يجب أن يكون معناها الصحيح في لغة الأصل؟ وهذا القول غير صحيح؛ لأن الافتراض المفهوم ضمنا الحقيقة الأصلية أو التوافق المناسب بين الصيغة والمعنى التي يقوم عليها القول لا يمكن إقامة الدليل عليه.

وقد قام التأصيل في القرن التاسع عشر على أقدام ثابتة أكثر مما كان عليه في الفترات

السابقة، وليس هناك أنسب مما قرره فولتير "voltaire" من أن التأصيل علم لا تلقى فيه الحركات اهتماما بينما تلقى الصوامت قليلا من الاهتمام، وبعد التأصيل - كما يمارس اليوم- فرعاهما من فروع علم اللغة التاريخي وللتأصيل - كما سنرى في الفصل السادس- أسسه المنهجية الخاصة التي تعتمد بشكل موثوق به على شواهد كمية ونوعية تحتشد عليها، وفي أمثلة مواتية تكون الثقة في إعادة البناء التأصيلي حقيقية إلى حد بعيد.

ومن النقاط التي أصبحت واضحة لعلماء التأصيل في القرن التاسع عشر، ويسلم بها الآن كل اللغويين أن معظم كلمات معجم أي لغة من اللغات لا يمكن العودة بها إلى أصولها، والكلمات التي خلقت عن عمد عن طريق استعارة صيغ من لغات أخرى أو باستخدام أي قاعدة أخرى ليست نموذجا للمفردات ككل، وينطبق ذلك أيضا - وبالتأكيد- على ما يعتبر مفردات أكثر أساسية وغير اصطلاحية في لغة من اللغات، وما يقوم به عالم التأصيل اليوم أنه يربط الكلمات الخاصة بحالة لغة ما يمكن وصفها وصفا تزامنيا بما يصدق عليها أو بما أعيد بناؤه من حالات سابقة من اللغة نفسها أو من بعض اللغات الأخرى، لكن كلمات الحالة السابقة للغة نفسها أو كلمات اللغة الأسبق تطورت هي أيضا من كلمات أخرى قبلها، وما إذا كانت الصيغ أو المعاني الخاصة بهذه

(76/1)

الكلمات الأسبق يمكن أن تكشف عنها وسائل علم التأصيل أم لا يعتمد على الشواهد الباقية على قيد الحياة، فعلى سبيل المثال يمكن أن تربط الكلمة الإنجليزية المعاصرة "ten" بالكلمة الإنجليزية القديمة التي صيغتها إما "ten" "بحركة طويلة" أو "tien" ويمكننا أن نربط الكلمة الإنجليزية القديمة -من خلال حالات افتراضية متعاقبة- بالكلمة الهندية الأوروبية الأم المعاد بناؤها بالصيغة: "dekṃ" ومعناها أيضا "ten" لكننا لا نستطيع أن نذهب بأي قدر من الثقة وراء ذلك، وحتى الكلمة الهندية الأوروبية الأم "dekṃ" -العلامة النجمية التي تنصدر الكلمة تبين أنها معادة البناء وليست حقيقية "انظر: 6 - 3"- لا تعد بشكل واضح أصلا بأي معنى تام لكل الكلمات التي تطورت منها في اللغات التي يمكن أن نحدد هويتها على أنها تنتسب إلى الأسرة الهندية الأوروبية، فمن المؤكد أنها نفسها قد تطورت من كلمة أخرى "قد تكون

وقد لا تكون بمعنى "ten" - لا توجد طريقة لمعرفة ذلك" تنتسب إلى معجم لغة أخرى، وهذه الكلمة بدورها جاءت من كلمة أخرى أسبق في لغة أخرى وهلم جرا، وعموما فإن علماء التأصيل لا يعنون هذه الأيام بأصول الكلمات، وفي الحقيقة إنهم يذهبون إلى أنه في كثير من الأمثلة "مثل كلمة "ten" لا معنى للاستفسار عن أصل كلمة ما، وكل ما يستطيع علماء التأصيل أن يخبرونا به - بثقة تزيد وتنقص حسب الدليل - أن كذا وكذا هو الصيغة أو المعنى الخاص بكلمة معينة لسلف مفترض أو معروف بشكل مضمن في القدم.

ويصل بنا ذلك إلى طريق من أكثر الطرق التي تتحطم فيها ثنائية سوسير وضوحا، فكل مباراة شطرنج تدور وفق قواعد، وهي تامة أي: لها بداية محددة ونهاية محددة، وذلك بخلاف اللغة، ولا ينحصر ذلك في قضية أن اللغات "بقدر ما نعلم" بدأت من وضع واحد ثم تطورت بأشكال مختلفة،

(77/1)

لكن من المستحيل أن نؤرخ لبداية لغة من اللغات إلا إذا كان الأمر لا يتعدى الاتفاق الاعتبائي والتقريب، فلا نستطيع على سبيل المثال أن نقول في أي وقت صارت اللغة اللاتينية المنطوقة لغة فرنسية قديمة أو لغة إيطالية أو لغة أسبانية، ولا نستطيع أن نقول في أي وقت انتهت لغة من اللغات باستثناء اللغات التي أصبحت هامة بشكل مفاجئ إلى حد ما في الوقت الذي مات فيه آخر متكلم أصلي بها، فاللغات من وجهة النظر التاريخية ليس لها بدايات محددة أو نهايات محددة، وما إذا كنا سنذهب إلى أن اللغة الإنجليزية القديمة واللغة الإنجليزية الحديثة حالتان للغة واحدة أم أنهما لغتان مختلفتان هو في الملاذ الأخير حالة من الاتفاق والموائمة.

ويوجد كذلك طريق آخر تتحطم عليه ثنائية دي سوسير، فمباراة الشطرنج تحكمها قواعد مصوغة بوضوح وفي إطار يخضع لهذه القواعد، ويحدد اللاعبون مجرى أي مباراة فهي بين لاعبين أحدهما في مواجهة الآخر، ويحددون أيضا الهدف المعترف به منه، وبقدر ما نعلم ليس هناك اتجاه في التطور التاريخي للغات وربما كانت هناك مبادئ عامة معينة تحدد مراحل الانتقال من حالة للغة ما إلى حالة أخرى، ولكن حتى إذا وجدت مثل هذه المبادئ فلا يمكن مقارنتها مع قوانين مباراة يجريها الإنسان مثل الشطرنج، وسوف نلقي نظرة على ما يطلق عليه قوانين التغير اللغوي في الفصل السادس.

ومبدأ أولوية الوصف التزامني يفهم منه عادة أنه يحمل ما يتضمن أنه بينما يعتمد الوصف التزامني على الوصف التاريخي فإن الوصف التاريخي يفترض سلفا التحليل التزامني السابق للحالات المتتابعة التي تمر من خلالها اللغة في مجرى تطورها التاريخي، وربما لم يمكن هذا وجهة نظر سوسير لكنه يترتب بالضرورة على ما يعد افتراضات مقبولة الآن على نطاق واسع حول طبيعة النظم اللغوية

(78/1)

ويتحدث اللغويون أحيانا بطريقة غامضة إلى حد ما كما لو كان مرور الوقت في حد ذاته كافيا لتوضيح تغير اللغة، وهناك عوامل كثيرة مختلفة داخل اللغة وخارجها يمكن أن تكون سببا في تغير حالة تزامنية إلى حالة تزامنية أخرى، وبعض هذه العوامل -وربما كان أكثرها أهمية- اجتماعية، ومرور الزمن وحده يسمح لهذا التفاعل المعقد أن يحدث ما يميز فيما بعد كمرحلة انتقال من حالة للغة لحالة أخرى.

وأكثر من ذلك فإن مفهوم التطور التاريخي بين الحالات المتعاقبة للغة ما يكون ذا أهمية إذا ما طبق فقط على ما يتصل بالحالات اللغوية التي تبتعد نسبيا فيها الواحدة عن الأخرى من حيث الزمن، وقد أشرت من قبل لما أسميته تصور التجانس وهو مفيد وضروري فيما يتصل بهذا الموضوع، وعلى كل حال إذا افترضنا أن التغير اللغوي يشمل تحويلا مستمرا عبر الزمن لما يكون في أي وقت نظاما لغويا متجانسا إلى حد بعيد، فإن العملية الكاملة للتغير في اللغة ستبدو أكثر غموضا بكثير عما هي عليه في الحقيقة، وما يميز كلام مجموعة قليلة من أفراد جماعة لغوية لا وزن لها من حيث الظاهر في وقت من الأوقات قد ينتشر فيما بين معظم الجماعة عبر جيل واحد أو جيلين، وربما كان مشروعا إلى حد بعيد للغوي الذي يصف اللغة وصفا تزامنيا في أي من هاتين النقطتين الزمنتين أن يهمل كلام الأقلية المختلف، لكنه إذا فعل ذلك واستمر يتكلم تاريخيا من أن أحد النظم اللغوية المتجانسة من الناحية التزامنية قد تحول إلى نظام لغوي آخر متجانس بصورة مماثلة فإنه سيكون متهما بتشويه الحقائق، وأسوأ من ذلك أنه يخاطر بأن يخلق لنفسه مشكلات نظرية زائفة لا حل لها، وبالمرّة فإننا ندرك أنه ليست هناك لغة ثابتة أو موحدة حتى الآن، وبذلك نكون قد خطونا الخطوة الأولى تجاه التفسير النظري لاستمرارية التغير اللغوي من حيث الزمان، ومن حيث المكان، ولو أننا أخذنا حالتين تاريخيتين محددتين للغة ما لم تفصل بينهما فترة زمنية طويلة فمن المحتمل أن نجد أن معظم

الاختلافات، بينهما موجودة كذلك كتنوع تزامني في كلا المرحلتين السابقة واللاحقة، ومن وجهة النظر المجهرية - باعتبارها متميزة عن وجهة النظر المجردة التي يتبناها المرء عادة في علم اللغة التاريخي - من المستحيل أن نرسم مميزا حادا بين التغير التاريخي والتنوع التزامني. والخلاصة إن مبدأ أولوية التنوع التزامني صحيح لكنه بدلا من أن يعتمد على تصور التجانس يجب أن يطبق بوعي وإدراك تام للحالات النظرية الخاصة بتصور النظام اللغوي، وهو ما يتصل بالنقطة التي سنتحول الآن إليها.

(79/1)

سادسا: البنية والنظام

من تعريفات اللغة التي اقتبستها في الفصل الأول تعريف تشومسكي "مجموعة محدودة أو غير محدودة" من الجمل، كل جملة محدودة في الطول، ومركبة من مجموعة محدودة من العناصر" انظر: 1 - 2" ودعنا نبنى هذا التعريف باعتباره تعريفا جزئيا لمصطلح "النظام اللغوي" الذي أدخلناه - وسوف نعود إليه - لتوضيح بعض اللبس الذي يرتبط بالكلمة الإنجليزية 1 "Language".

وبقدر ما تتصف النظم اللغوية بهذا التعريف بالثبات والوحدة لا يمكن أن تتطابق مع اللغات الطبيعية الحقيقية فهي أبنية نظرية يفترضها اللغوي لشرح تلك الأشياء المطردة التي يجدها في السلوك اللغوي لأفراد جماعة لغوية معينة، وبصورة أكثر وضوحا في الإشارات اللغوية التي تعد نتاجا لسلوكهم

1 اللغة.

(80/1)

اللغوي، واللغات الطبيعية الحقيقية - كما رأينا - ليست ثابتة ولا متجانسة، وعلى كل حال فهناك ثبات وتجانس كافيان في كلام أولئك الذين نعتبرهم بشكل عام متكلمين بلغة واحدة لافتراض اللغوي لنظام لغوي تحتي مشترك نافع ومسوغ بطريقة علمية ما لم يكن بصدد التعامل صراحة مع الاختلاف التاريخي والتزامني، وخلال الفصول الثلاثة

القادمة سوف نسلم بصحة مفهوم النظام اللغوي كما هو محدد ومفسر هنا. والإشارات اللغوية التي يصدرها المتكلم الإنجليزي في فترة زمنية محددة بعضها يصنف على أنها جمل للغة وبعضها لا يصنف على أنها كذلك، ولسنا في حاجة إلى أن نستفسر في هذه المرحلة عن المعايير التي يتم بفضلها هذا التقسيم إلى جمل ولا جمل، ويوجد بشكل واضح مبادئ تحدد بناء نصوص ومقالات أكثر اتساعاً، وأكثر من ذلك، فإن بعض هذه المبادئ يمكن بشكل معقول أن يتهم أي شخص يخل بها بكسر قواعد اللغة، ورغم أن الافتراض التقليدي الذي يذهب إلى أن معظم -إن لم يكن كل- ما تشمله معرفة لغة من اللغات يمكن تفسيره بواسطة بناء الجمل وتفسيرها لم يسلم في السنوات الأخيرة من التحديات فإنه لا يزال مقبولا لدى أغلبية اللغويين.

دعنا نقول إن الجمل هي تلك التي تحددها علامة الترقيم في اللغة المكتوبة حسب ما هو متعارف عليه، واللغات الطبيعية -كما رأينا- لها خاصية إمكانية التحول في الوسيلة "انظر: 1 - 4"، وهذا يعني -بصفة عامة- أن أي جملة في اللغة المكتوبة، يمكن أن توضع في حالة تناظر مع جملة في اللغة المنطوقة والعكس بالعكس، والجمل المنطوقة -بطبيعة الحال- ليست مرقمة كذلك بأي شيء مكافئ على نحو دقيق للحرف الكبير الابتدائي أو للنقطة التي تختتم بها الجملة أو علامة الوقف التام للجمل المكتوبة، ومع ذلك نستطيع

(81/1)

لأغراضنا الحالية أن نقيم تكافؤاً غير دقيق ولكنه واف بالغرض بين علامات الترقيم في لغة مكتوبة وأنماط التنغيم في اللغة المنطوقة المناظرة لها.

وقد ظهر مصطلح "بنية" بصورة بارزة في علم اللغة الحديث كما ظهر في كثير من فروع المعرفة، ولو أننا تبيننا وجهة النظر التي عبر عنها لأول مرة سوسير وهي مقبولة الآن لدى كل أولئك الذين يؤيدون مبادئ البنيوية فلن نقول إن نظاماً لغوياً ما له بنية فحسب ولكن إنه بنية ما، فعلى سبيل المثال بقدر ما تتشاكل اللغة الإنجليزية المنطوقة واللغة الإنجليزية المكتوبة "أي: يكون لها بنية واحدة" تكونان لغة واحدة، وليس هناك قاسم مشترك بينهما إلا البنية التي تشتركان فيها، والنظام اللغوي نفسه -من حيث المبدأ- مستقل عن الوسيلة التي يتحقق بها، فهو بهذا المعنى بنية مجردة تماماً.

والنظم اللغوية أبنية مزدوجة المستوى أي: لها خاصية الازدواجية "انظر: 1 - 5"

فالجمل المنطوقة ليس مجرد مجموعة مؤتلفة من العناصر الفونولوجية، فهي أيضا مجموعة مؤتلفة من الوحدات النحوية، وتعريف تشومسكي الجزئي للنظام اللغوي باعتباره مجموعة من الجمل كل جملة منها محدودة في الطول ومركبة من مجموعة عناصر محدودة يجب أن يتسع ليأخذ في اعتباره هذه الخاصة الجوهرية في اللغات الطبيعية، ومن المحتمل منطقيا أن يتشاكل نظامان لغويان في مستوى دون أن يتشاكلا في المستوى الآخر، وفي الواقع كما أوضحنا من قبل أنه بسبب التشاكل الوثيق بصورة كافية من الناحية النحوية فإن ما يعرف بلهجات اللغة الصينية "على الرغم من أنها بعيدة عن أن تكون متشاكلة من الناحية الفونولوجية" يمكن أن توضع لغة واحدة مكتوبة غير أبجدية في حالة تناظر حسن على حد سواء مع كل منها، ومن المحتمل كذلك أن تتشاكل اللغات من الناحية الفونولوجية لكنها لا تتشاكل من النحوية وهذا الاحتمال يتحقق بدرجة تزيد أو تنقص لنقل من خلال متكلم

(82/1)

أصل اللغة الإنجليزية يتكلم لغة فرنسية سليمة من الناحية النحوية ولكنها إنجليزية رديئة بصفة خاصة، والأكثر إثارة أن استقلال النحو والفونولوجيا يظهر عادة بشكل مثير إلى حد بعيد في عملية التوليد اللغوي "انظر: 9 - 3".

اللغات الطبيعية إذن لها مستويان للبنية وهذان المستويان مستقلان بمعنى أن البنية الفونولوجية للغة ما لا تحددها بنيتها النحوية، ولا نرغب على أي حال في أن نقول إن أي لغتين طبيعيتين يلزم أن يكون من الممكن سماع كل جملة منطوقة أو مكتوبة كما لو كانت جملة في اللغة الأخرى "مع اتحاد المعنى أو اختلافه"، غير أنه يحدث بشكل متكرر كنتيجة لاستقلال البنية النحوية والبنية الفونولوجية أن لا تمثل مجموعة واحدة مؤتلفة من العناصر "أصوات في الكلام وحروف في الكتابة الأبجدية" جملة واحدة بل جملتين أو أكثر، وقد تتميز هذه الجمل الواحدة منها عن الأخرى بالتنغيم أو علامات الترقيم مثلما يمكن أن يبدو على هذا النحو:

1-1 John says Peter has been here all the time

2-2 John says Peter has been here all the time

في اللغة الإنجليزية المكتوبة بواسطة الترقيم، وتتميز عادة الجملتان 1، 2 الواحدة منهما عن الأخرى في اللغة الإنجليزية المنطوقة بواسطة نط التنغيم المركب عليهما، غير أنه

يمكن أن تمثل مجموعة واحدة مؤتلفة من العناصر أكثر من جملة واحدة حتى بدون اختلاف في نمط التنعيم أو علامات الترقيم فعلى سبيل المثال.

1 قال جون: إن بتر كان هنا طوال الوقت.

2 جون كان هنا طوال الوقت هكذا قال بتر.

(83/1)

we watched her box1 –3

يمكن أن تكون إحدى جملتين إنجليزييتين، تكون "her" في إحداها صيغة –صفة
"انظر: his" وتكون "box" صيغة – اسم "انظر: suitcase؛ 2 وفي الأخرى
تكون "her" صيغة – ضمير، "انظر: him"، وتكون "box" صيغة – فعل "انظر:
wrestle"؛ 3 ولسنا في حاجة إلى القلق على تبرير التحليل النحوي التقليدي
للجملة "3"، والذي نحتكم إليه تلميحاً، وهو أمر سوف نشرع في معالجته فيما بعد،
ويفي بالغرض الآن أنه يجب أن نثبت أن الجمل – كما تعرف تقليدياً – لا يمكن تمييز
الواحدة عن الأخرى بواسطة العناصر الفونولوجية التي تتركب منها، وفي الواقع كما
يمكن أن نرى من الجملة "3" لا يمكن تمييزها حتى من خلال الوحدات النحوية التي
تتركب منها دون أن نأخذ في الاعتبار جوانب أخرى من البنية النحوية تشمل مهمة
الوحدات النحوية التي يطلق عليها تقليدياً "أقسام الكلام" "اسم، فعل، صفة.....
إلخ".

والوحدات النحوية التي تتكون منها الجمل لا تشبه العناصر الفونولوجية فهي كثيرة كثرة
هائلة، ومع ذلك فهي تمثل العناصر الفونولوجية محدودة العدد، دعنا نقول إن كل نظام
لغوي يفترض سلفاً وجود قائمة محدودة من العناصر ومفردات محدودة من الوحدات
"البسيطة" بالإضافة إلى مجموعة من القواعد "قد تكون من أنواع عديدة" تقيم علاقة
متبادلة بين مستويي البنية، وتخبرنا عن أي المجموعات المؤتلفة من الوحدات تكون جملاً
في النظام اللغوي وأي منها – بشكل ضمني إن لم يكن بشكل صريح – لا تكون جملاً
فيه، ويجب أن يلاحظ – كما سنرى فيما بعد – أن مفردات لغة ما ليست

1 بمعنى رأينا حقيبتها، ورأيناها تنازل.

2 حقبة سفر "مستطيلة مسطحة".

3 يتصارع.

(84/1)

مجموعة وحدات نحوية فقط، ولا يؤثر على جوهر ما قلناه هنا تعديلات أو تهذيبات اصطلاحية قد تدخل في الفصول التالية:

وفيما نحن بصدد يمكن أن نعتبر ما يطلق عليه "الوحدات النحوية" صيغا أي مجموعة مؤتلفة من العناصر تكون كل مجموعة مؤتلفة يمكن تمييزها صيغة مميزة، لكن الصيغ بهذا المعنى لها معنى، ومعانيها بعيدة عن أن تكون مستقلة عن وظائفها النحوية وهو ما يتضح في حالة صيغة "her" و"box" في الجملة "3" وبالنظر التقليدية يجب أن يكون هناك كلمتان "على الأقل" مختلفتان في مفردات اللغة الإنجليزية دعنا نمثل لهما "بعلامات اقتباس مفردة" بـ"box1" و"box2" على الترتيب، وتختلف هاتان الكلمتان في كل من المعنى والوظيفة النحوية لكنهما تشتركان في صيغة واحدة "box"، وسوف نجعل فيما بعد ذلك المميز التقليدي بين صيغة ما والوحدة التي تكون منها هذه الصيغة أكثر وضوحا، وسنرى ونحن نفعل ذلك أن مصطلح "كلمة" - كما يستخدمه كل من اللغويين وغير المتخصصين - ملبس بدرجة كبيرة.

وكل جملة -وفقا لتعريفها "صحيحة البنية" "well - formed" من الناحية النحوية ومن الناحية الفونولوجية في النظام اللغوي التي تكون فيه جملة، ومصطلح "صحيح البنية" أكثر اتساعا من المصطلح الأكثر تقليدية "الصواب النحوي" "grammatical" لكنه يندرج تحته، وطبيعة "الصواب النحوي" أي: صحة التركيب النحوي" سنناقشه في الفصل الرابع، ويكفي هنا ألا نجعل "صحة البنية" ويشمل الصواب النحوي" يلتبس بالمقبولية أو إمكانية الاستخدام أو حتى إفادة المعنى، فهناك جمل كثيرة بلا حدود في اللغة الإنجليزية وفي اللغات الطبيعية الأخرى

(85/1)

لا تذكر عادة لأسباب متنوعة فهي قد تحتوي على مجاورة غير مقبولة لقول فاحش أو كلمات كفرية، وربما كانت مربكة من الناحية الأسلوبية، أو معقدة بصورة مفرطة من

وجهة النظر السيكلوجية، وربما كانت متناقضة مع نفسها، وربما كانت تصف مواقف لا تحدث في عالم المجتمع الذي يستخدم اللغة موضع البحث، وأي مجموعة مؤتلفة من عناصر أو وحدات لغة معينة "L" ليست صحيحة التركيب بواسطة قوانين اللغة "L" تكون عليلة التركيب فيما يتعلق باللغة "L" والمجموعات العليلة التركيب المؤتلفة من عناصر أو وحدات يمكن تمييزها بالعلامة النجمية¹ المتقدمة عليها لذلك فإن الجملة:

4- He werent doing nothig.

جملة عليلة التركيب، وهي في الواقع غير صحيحة نحويا فيما يتعلق باللغة الإنجليزية المشتركة، ومع ذلك فهي صحيحة البنية في بعض اللهجات الإنجليزية غير المشتركة، ويوضح هذا المثال النقطة الأعم إذ إن اللغات المختلفة قد تتركب من ذات العناصر والوحدات، ويكون ما هو "صحيح البنية" في لغة من اللغات "عليل البنية" فيما يتعلق بلغة أخرى، ومع أن هذه النقطة قد أوضحت بشأن لهجتين للغة واحدة إلا أن الأمر يرتبط من حيث المبدأ بما يعد لغات مختلفة تماما. ويمكن أن يقال أكثر من ذلك هنا عن بنية النظم اللغوية، ومن الأفضل أن يترك ذلك إلى الفصول التي ستعالج الفونولوجيا، والنحو، والدلالة حيث

1 يجب ألا يلتبس استخدام العلامة النجمية لتمييز اعتلال التركيب مع الاستخدام الشائع على حد سواء والمؤسس من فترة أطول في علم اللغة التاريخي ليميز الصيغ المعاد بناؤها "انظر: 2 - 5" ويوضح السياق أي الاستخدامين هو المقصود "المؤلف".

(86/1)

يمكن أن نعرض النقاط العامة بشكل تدريجي، وأن نضرب لها الأمثلة مع تفصيل أعظم¹. وقد بدأنا هذا القسم بقبول تعريف تشومسكي للغة "أي: النظام اللغوي" كمجموعة من الجمل، ومن الأفضل أن نعتقد أن النظام اللغوي يتكون من قائمة محتويات من العناصر، ومفردات الوحدات، والقوانين التي تحدد الجمل صحيحة البنية على كلا المستويين، وهو ما سنفعله من الآن، ومع الأخذ والرد وفي ظل تعريف مناسب للجملة تتطابق طريقتا التفكير في النظم اللغوية.

1 يستخدم مصطلح "بنية" ومصطلح "نظام" بصورة متكررة وعلى الأخص في علم اللغة البريطاني بمعنى خاص، فمصطلح "نظام" يكون لأي مجموعة من العناصر أو الوحدات التي يمكن أن تذكر في موضع واحد، ومصطلح "بنية" يكون لأي مجموعة مؤتلفة من العناصر والوحدات الناتجة عن اختيار مناسب في مواضع معينة، وبهذه الطريقة يكون تعريفا المصطلحين متكاملين فكلاهما يفترض سلفا الآخر، فالنظم تؤسس لمواضع معينة في الأبنية، والأبنية تتحدد بواسطة اختيارات مأخوذة من النظم "انظر بيرري "Borri"؛ 1975" ويستخدم في هذا الكتاب المصطلحان: "نظام"، و"بنية" بمعنى أكثر عمومية "المؤلف".

(87/1)

الفصل الثالث: أصوات اللغة

أولا: الوسيلة الصوتية

مع أن النظم اللغوية مستقلة إلى حد بعيد عن الوسيلة التي تتحقق 1 من خلالها فإن الأداة الأساسية أو الطبيعية للغات الإنسانية هي الأصوات، ولهذا السبب كانت دراسة الأصوات أكثر أهمية - في علم اللغة - من دراسة الكتابة أو الایماءات أو أي وسيلة أخرى سواء أكانت موجودة بالفعل أم موجودة بالقوة، ولا يهتم اللغوي بالأصوات في حد ذاتها ولا بالإطار الكلي لها، إنه يهتم بالأصوات التي تصدرها أعضاء النطق الإنسانية بقدر ما يكون لهذه الأصوات دور في اللغة، ودعنا نشير إلى هذا الإطار المحدود من الأصوات بالوسيلة الصوتية، ونشير إلى هذا الإطار المحدود من الأصوات بالوسيلة الصوتية، ونشير إلى الأصوات الفردية داخل هذا الإطار بأصوات الكلام، ويمكننا أن نعرف علم الأصوات "phonetics" الآن بأنه دراسة الوسيلة الصوتية. ويجب أن نؤكد أن علم الأصوات يختلف عن الفونولوجيا، وأصوات الكلام لا تتطابق مع العناصر الفونولوجية التي أشرنا إليها في أقسام سابقة،

1 التحقق "realisation" أو "manifestation" مصطلح يستخدمه بعض

اللغويين ليشيروا إلى التعبير الفيزيائي للوحدة اللغوية المجردة ويشير في التكميمية "tagmemic" "العلاقة بين الوظيفة النحوية وما يشغلها" إلى التعبير الفيزيائي etic الوحدة المجردة emie.

فالفونولوجيا كما رأينا جانب من دراسة النظم اللغوية ووصفها، يختلف عن النحو ويختلف أيضا عن الدلالة، وتعتمد الفونولوجيا على نتائج علم الأصوات "على الرغم من اختلافها تبعا للنظريات المختلفة في الفونولوجيا" لكنها بخلاف علم الأصوات لا تتناول الوسيلة الصوتية في حد ذاتها، وتعالج الأقسام الثلاثة الأولى من هذا الفصل - بشكل مبسط قدر الإمكان- التصورات والتصنيفات الأساسية في علم الأصوات وذلك لأهميتها في فهم نقاط أثرت في مكان آخر من هذا الكتاب، وتعالج أيضا مجموعة العلامات أو الرموز التي تستخدم عند تناولها، ولا يقصد بهذه الأقسام أن تكون مدخلا مرضيا لما أصبح في السنوات الأخيرة فرعاً متخصصاً رحب الأفق إلى حد بعيد من فروع علم اللغة.

ويمكن دراسة الوسيلة الصوتية من وجهات نظر ثلاث على الأقل: النطق، والتجريب، والسمع، فعلم الأصوات النطقي يبحث أصوات الكلام ويصنفها من جهة طريقة إنتاج أعضائها النطق لها، ويبحثها ويصنفها علم الأصوات التجريبي¹ من جهة الخصائص الفيزيائية للموجات الصوتية التي يحدثها نشاط أعضاء النطق، وتنقل عبر الهواء من المتكلم إلى المستمع، ويبحثها ويصنفها علم الأصوات السمعي من جهة الطريقة التي تستقبل بها أصوات

1 أو علم الأصوات الفيزيائي "aconstic phonetics" فرع من علم الأصوات يبحث الخصائص الفيزيائية للكلام حسبما ينتقل من الفم إلى الأذن، ويعتمد كلية على الوسائل الفنية الآلية في البحث، ويمد التحليل الفيزيائي عالم الأصوات بالحقائق الفيزيائية للكلام، بيد أنه قد يتعارض أحيانا التحليل السمعي والتحليل الفيزيائي فعلى سبيل المثال قد يسمع المرء لحن الكلام صاعدا بينما يظهر التحليل الفيزيائي ثبات التردد الأساسي للصوت وفي مثل هذه الحالات على عالم الأصوات أن يقرر أي الشواهد هي التي ستأخذ الاهتمام الأكبر.

الكلام وتميز من قبل أذن 1 المستمع ومخه، وأقدم هذه الفروع تأسيسًا وأكثرها تطورًا حتى عهد قريب علم الأصوات النطقي 2، ولهذا السبب فإن معظم المصطلحات التي يستخدمها اللغويون ليشيروا بها إلى أصوات الكلام نطقية في الأصل، وستبنى وجهة النظر النطقية فيما سنتناوله في هذا الكتاب.

ومع ذلك فهناك حقائق عديدة اكتشفها علم الأصوات التجريبي وعلم الأصوات السمعي أو صدقا عليها وبالأخص الأول الذي شهدت السنوات الخمسة والعشرون أو الثلاثون الماضية تقدما عظيما له فلا يستطيع أن يتجاهله

1 الوظيفة البيولوجية الأساسية للأذن تحقيق التوازن في مسيرة الإنسان والوظيفة البيولوجية الثانوية لها السمع واستيعاب الأصوات المختلفة وحملها إلى المخ وتكون الأذن من ثلاثة أجزاء: الأذن الخارجية، والأذن الوسطى أو الطبلة "وتتكون من غشاء الطبلة، والمطرقة، والسندان، والركاب"، والأذن الداخلية وتتكون من القنوات الهلالية، والقوقعة، والعصب السمعي.

2 علم الأصوات النطقي "articulatory phonetics" فرع من علم الأصوات يدرس الطريقة التي تنطق بها أعضاء النطق الأصوات اللغوية، وقد استمد هذا الفرع كثيرا من مصطلحاته من علم التشريح وعلم النفس ويشار إليه أحيانا بعلم الأصوات الفسيولوجي "physiological phonetics"، وقد حدث تقدم كبير في تطوير الوسائل الفنية الآلية لملاحظة وقياس نشاط أعضاء النطق مثل اللسان، والشفيتين، وسقف الحنك، وحركة الأحبال الصوتية، ومن هذه الوسائل الفنية الآلية الحنك الصناعي "البلاتوجراف" الذي يمثل دور اللسان في مقابل الحنك، والقياسي الهوائي الألكتروني الذي يقيس الانسياب النسبي للهواء من الفم إلى الأنف، والألكتروميوجراف "electromyography" لقياس الحركة العضلية أثناء الكلام، ويقدم استخدام هذه الوسائل الآلية فهما تفصيليا أفضل.

(90/1)

أحد ممن يهتمون باللغة اهتماما جادا، وربما كانت أكثر هذه الحقائق أهمية أن تكرر ما يمكن أن يسمع على أنه قول واحد يكون بمثابة تطابق توافقي وليس تطابقا فيزيائيا "أي: تجريبيا" فالتطابق الصوتي "بخلاف التطابق الفونولوجي كما سنرى في القسم التالي"

نموذج نظري، وفي الممارسة العملية لا يمكن لأصوات الكلام التي تصدرها الكائنات الإنسانية- حتى أولئك الذين تلقوا تدريباً صوتياً عالياً- إلا أن تقترب من هذا النموذج بدرجة أو بأخرى، فالتشابه الصوتي وليس التطابق الصوتي هو المعيار الذي نمارس به عملنا في التحليل الفونولوجي للغات، والتشابه الصوتي متعدد الأبعاد من وجهات النظر النطقية، والتجريبية، والسمعية، ولنأخذ ثلاثة أصوات كلامية z و y و x فرمما كانت x أكثر شبهاً، y من z في بعد معين لكنها أكثر شبهاً بـ z في بعد آخر. وقد أكد علم الأصوات التجريبي الحقيقة التي أسسها علم الأصوات النطقي التي تذهب إلى أن الجمل المنطوقة التي تعد إشارات فيزيائية تنتقل عبر الهواء ليست تناوبات صوتية منفصلة، ويصدر الكلام بإصدار الأصوات سلاسل متصلة، ولا توجد فجوات بين الأصوات التي تتكون منها الكلمات المنطوقة كما لا توجد وقفات بين الكلمات أيضاً "فيما عدا تلك الأحوال التي يتلعثم فيها المتكلم بشكل مؤقت أو عندما يتبنى أسلوباً خاصاً في الإلقاء للإملاء أو لأي غرض آخر"، وينقسم الكلام المتواصل إلى تناوبات من الأصوات الكلامية من خلال الانتقال المميز الظاهر للعيان بدرجة أو بأخرى بين حالة إشارية ثابتة نسبياً وحالة أخرى سابقة أو لاحقة ثابتة نسبياً كذلك، وهذه النقطة سنضرب لها أمثلة فيما يلي من وجهة نظر نطقية، ومن الأهمية أن نذكر - مع ذلك- أن التجزئة على أساس المعيار التجريبي البحث تعطي دائماً نتائج مختلفة تماماً عن التجزئة التي تنفذ على أساس المعيار النطقي البحث أو المعيار السمعي البحث.

(91/1)

واندماج الأفرع الثلاثة الخاصة بعلم الأصوات ليس أمراً سهلاً، وأكثر الأمور أهمية وإثارة من حيث المبدأ أن إحدى نتائج علم الأصوات التجريبي أنه لا توجد علاقة متبادلة مباشرة يمكن تأسيسها بين بعض أكثر الأبعاد النطقية وضوحاً في الكلام وبين الحدود التجريبية المماثلة مثل الذبذبة واتساع الموجات الصوتية، وحتى نجعل هذه النقطة أكثر عمومية فيما يتعلق بالأفرع الثلاثة الخاصة بعلم الأصوات نقول إن تصنيفات علم الأصوات النطقي، وعلم الأصوات التجريبي، وعلم الأصوات السمعي لا تتطابق بالضرورة، فعلى سبيل المثال ما يمكن أن يبدو اختلافات نطقية وسمعية واضحة بين أنواع مختلفة من الصوامت دعنا نقول بين أصوات الـ p ، وأصوات الـ T وأصوات الـ

K لا تبدو بشكل واضح ملمحا مفردا، أو مجموعة من الملامح التي يمكن تمييزها في التحليل التجريبي للإشارات التي تحتويها، والبعدان السمعيان لطبقة الصوت ودرجته يرتبطان بعلاقة متبادلة بالحدين التجريبيين للتردد والقوة إلا أن العلاقة المتبادلة بين الطبقة والتردد من ناحية، والدرجة والقوة من ناحية أخرى لا يمكن عرضها من خلال نسبة ثابتة تصدق على الأصوات الكلامية جميعها التي تتنوع وفق الأبعاد ذات الصلة. وهذا لا يعني أن التصنيفات الخاصة بأحد الفروع الصوتية الثلاثة أكثر أو أقل تعويلا أو أكثر أو أقل علمية بصورة جوهرية إذا ما قورنت بالتصنيفات الخاصة بالفرعين الآخرين، ويجب أن نذكر أن التكلم والاستماع ليسا نشاطين مستقلين، فكلاهما يتضمن تغذية مرتجعة من الآخر، ومن الملاحظات العامة أن الفرد الذي لا يكثر بما ينطقه يتحول حديثه إلى الفساد، ويرجع ذلك إلى أننا عادة نراقب ما تنتجه من كلام مثلما نصدر هذا الكلام، وكثيرا ما يحدث بلا وعي أن نصدر الأحكام الضرورية على الإطار الخاص بما يمكن

(92/1)

أن نعهده الجهاز النطقي كما تخبر التغذية المرتجعة من عملية الملاحظة هذه المخ بأن المعايير السمعية لا تتفق معها، وتشتمل الإشارة التجريبية على كل المعلومات ذات الصلة باللغة، وتشتمل كذلك على قدر من المعلومات غير ذات الصلة بها، وأكثر من ذلك فإن المعلومات التجريبية ذات الصلة باللغة يجب أن تفسرها الأجهزة الخاصة بالسمع والنطق عند الإنسان والتي يتحكم فيها مخه، ويبدو أن الطفل حديث الولادة موهوب بشكل فطري بقابلية التركيز على أنواع معينة من المعلومات السمعية وإهمال أنواع أخرى، وأثناء اكتساب اللغة يستكمل الطفل مقدرة على إنتاج الأصوات التي تذكر في الكلام الذي يسمعه يدور من حوله ويستكمل كذلك مقدرة على تمييزها ويقوم بتهذيب أدائه النطقي، وأدائه السمعي بملاحظة الإشارات التجريبية التي ينتجها بنفسه، وتوجد حاسة لدى الطفل تمكنه -في الخطوات المعتادة لاكتساب اللغة- والتي يجب أن تتم بدون مساعدة من أجهزة علمية أو تدريبات خاصة" وفي إطار محدود من الوسيلة الصوتية- من أن يكون الممارس الكفء في الأفرع الثلاثة لعلم الأصوات، ولا يستطيع اللغوي حتى الآن إلا أن يقدم وصفا وتفسيرا غير كاملين للقدرة الإدماجية

العالية المهارة التي تكتسبها الغالبية العظمى من البشر في فترة الطفولة، وتمارسها خلال حياتها الناطقة.

(93/1)

ثانيا: التمثيل الصوتي والمهجائي

في نهاية القرن التاسع عشر وبينما أحرز علم الأصوات النطقي تقدما حقيقيا في العالم الغربي "على أساس التقليدية الهندية التي تمتد لقرون خلت مع إضافات مناسبة" بدأ العلماء يشعرون بالحاجة إلى نظام مشترك -يمكن قبوله على المستوى العالمي- للكتابة الصوتية، وعلى الرغم من أنه كان وما زال الكثير مما يقال عن النظم غير الألفبائية للتمثيل فإن الأبجدية الصوتية العالمية "IPA"؛¹ التي طورتها الجمعية الصوتية العالمية ونشرتها منذ 1888 يستخدمها اللغويون الآن على أوسع نطاق مع تعديلات طفيفة أو بدونها، وتقوم الأبجدية الصوتية العالمية على أساس إعطاء كل صوت في الكلام يمكن تمييزه حرفا مختلفا عن غيره، ونظرا لأنه لا يوجد -في الواقع- حد أقصى أو أدنى لعدد أصوات الكلام التي يمكن تمييزها والتي يمكن أن تصدرها أعضاء النطق الإنسانية "أو على الأقل ليس هناك حد مناسب يتصل بالطباعة" فإن هذا المبدأ لا يمكن تطبيقه بصورة ثابتة، ولذلك تمتد الأبجدية الصوتية العالمية مستخدميهما مجموعة من العلامات الصوتية المميزة ذات الأنواع المختلفة التي يمكن أن تضاف إلى رموز الحروف لتصنع مميزات أكثر دقة مما يمكن أن تصنعها الحروف بمفردها، وباستخدام هذه العلامات الصوتية المميزة استخداما صحيحا وسديدا يستطيع عالم الأصوات المتمرس أن يمثل الكثير من التفصيل الدقيق الضروري للغرض الذي يتناوله، وهو -في الواقع- لا يستطيع أن يمثل كل التفاصيل الصوتية التي تميز قولاً مفرداً عن قول آخر، وليس هناك سبب بصفة عامة يدعو إلى الرغبة في ذلك، وتكون الكتابة الصوتية العريضة نسبياً ملائمة تماماً لبعض الأغراض، وتكون الكتابة الصوتية الضيقة ضرورية لأغراض أخرى². ومن الآن فصاعداً سنستخدم الأبجدية الصوتية العالمية كلما كانت هناك مناسبة

IPA 1 مختصر يستخدم لكل من الجمعية الصوتية العالمية "International Phonetic Association" والأبجدية الصوتية العالمية "International Phonetic Alphabet" التي وضعتها تلك الجمعية.

2 الاختلاف بين الكتابة الصوتية العريضة، والكتابة الصوتية الضيقة "وهو اختلاف نسبي أكثر من أن يكون مطلقا بطبيعة الأشياء" أن الأولى تعطي تفصيلا أقل من الثانية، والكتابة الصوتية العريضة ليست بالضرورة فوتيمية "انظر 3 - 4" المؤلف".

(94/1)

للإشارة إلى أصوات الكلام أو الصيغ المكتوبة بالكتابة الصوتية وسنحترم العرف المشترك الذي توضع الكتابة الصوتية وفقا له بين القوسين [] ، ولذلك فإننا بدلا من أن نشير إلى أصوات الـ p، وأصوات الـ K كما فعلنا من قبل نشير إلى [p] ، و [K] ، وقد اخترت هذين الرمزتين الحرفين عن عمد إذ إن لهما القيمة الصوتية - بالتفسير العريض - التي للحرفين p, k في نظم الكتابة الخاصة بمعظم اللغات الأوروبية، ومعظم رموز الحروف في الأبجدية الصوتية العالمية مأخوذة من الحروف الأبجدية للغة اللاتينية واللغة الإغريقية لكن -مثلما يدرك أي فرد يعرف لنقل الإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والأسبانية- تختلف القيمة الصوتية للحروف نفسها في كل اللغات التي تستخدم الحروف الأبجدية، وفي الواقع لا يكون للحرف الواحد بالضرورة قيمة صوتية ثابتة في إطار نظام خاصة بلغة من اللغات، ومن الجوانب الإيجابية لامتلاكنا أبجدية صوتية مشتركة ومقبولة على المستوى العالمي أن أحدا لا يجب عليه أن يربط تفسير رمز من الرموز بلغات معينة أو حتى كلمات معينة وذلك مثل a في اللغة الإيطالية، و u في الكلمة الفرنسية lu ... إلخ، وما يجب دفعه ثمنا لهذه الفائدة الهامة إلى حد بعيد أن مستخدم الأبجدية الصوتية في حاجة إلى التخلي عن الافتراضات التي يمكن أن تكون لديهم -لسبب أو لآخر- حول الطريقة التي يمكن أن ينطق بها رمز حرف معين فعلى سبيل المثال [e] صوت مختلف إلى حد بعيد عن أي صوت من الأصوات التي يمثلها حرف c في اللغة الإنجليزية أو اللغة الفرنسية أو اللغة الإيطالية أو اللغة الأسبانية، وفيما يلي لن نطلع سوى على عدد قليل من رموز الحروف الخاصة بالأبجدية الصوتية العالمية وعلى قليل من العلامات الصوتية المميزة.

وقد زدنا أنفسنا بالمناسبة بنظام للكتابة الصوتية وستكون لنا طريقتان

(95/1)

للإشارة إلى الصيغ: الأولى بالحروف المائلة بالهجاء المتعارف عليه "أو نقل حروف لغة إلى حروف لغة أخرى" بدون أقواس مثل الصيغتين الإنجليزيتين **lead, led** والثانية بالكتابة العريضة الخاصة بالأبجدية الصوتية العالمية في الأقواس مثل **[lgd] [lird]**؛ 1، 2 ونستطيع الآن أن نضيف طريقة ثالثة بالحروف المائلة داخل الأقواس " " مثل **"Led"** و **"Lead"** ولا نستخدم الطريقة الثالثة إلا استخداما ضئيلا، وهذه الخيارات تمكننا من تمييز الصيغ المكتوبة بالطريقة الثالثة من الصيغ المنطوقة المكتوبة صوتيا بالطريقة الثانية وأن تميز كلتاهما عن الصيغ التي لا تعيننا صيغها المنطوقة أو المكتوبة بصورة مباشرة وتكتب بالطريقة الأولى، وتمكننا كذلك من القول بأن الصيغة المكتوبة **"Lead"** تناظر صيغتين منطوقتين **[Li: d]** و **"Lgd"** وبالعكس فالصيغة المنطوقة **[lgd]** تناظر صيغتين مكتوبتين **"Led"** و **"Lead"**.
وموافقة المتعدد لمفرد - من هذا النوع - بين الصيغ المكتوبة والصيغ المنطوقة توصف تقليديا بالاشتراك الصوتي "التطابق في الصوت": انظر **road** و **rode** و **farther, father, caught** و **court** فيما يطلق

1 النقطتان: تشيران إلى طول الصوت الذي يرمز إليه الرمز - الحرف السابق له "المؤلف".

2 الطول **"Length"** مصطلح يستخدم في علم الأصوات ليشير إلى المدة الفيزيائية للصوت أو القول، وفي الفونولوجيا يستخدم هذا المصطلح ليشير إلى المدة النسبية للأصوات، والمقاطع عند مقارنتها لغويا، ويشير المصطلح كذلك إلى الكمية، فقيمة القصر **"short"** وقيمة الطول **"Long"** معروفتان بشكل تقليدي وتخصان الحركات والصوامت على حد سواء.

(96/1)

عليه النطق النموذجي **"RP"** للإنجليزية البريطانية¹ ولا نرى في لهجات اسكتلندية معينة أيا من هذه الصيغ الثنائية موسومة بالاشتراك الصوتي وذلك مثل **father: farther** و **court: cought** ومع ذلك نجد **caught** و **cot** في لكنات أمريكية كثيرة، وثمة حقيقة عامة تتعلق بالإنجليزية المشتركة فهي تختلف في النطق من جماعة إلى أخرى، وما يعد من المشترك الصوتي لدى جماعة من المتكلمين قد لا يعد

كذلك لأي جماعة أخرى، وما يقابل الاشتراك الصوتي هو الاشتراك الهجائي وقد أولاه النحاة التقليديون اهتماما ضئيلا انظر **import I**، و **impoit** وتختلف متعلقاتها المنطوقة فيما يتصل بموضع نبر الكلمة.

وبسبب وجود هاتين الظاهرتين في اللغة الإنجليزية وفي لغات أخرى كثيرة ذات نظم هجائية صارمة فإن الاشتراك الصوتي والاشتراك الهجائي يفرضان نفسيهما على انتباهنا ونحن بصدد وصف تلك اللغات، غير أنه - كما سنرى فيما بعد - قد تكون هناك أسباب نحوية ودلالية لتمييز الصيغ المتطابقة في كلتا الوسيلتين الصوتية والكتابية، فعلى سبيل المثال **foucd I** "التصريف الثاني لـ **find**" و **found2** "إحدى صيغ التصريف الأول لـ **found**" مشتركتان في الصوت وفي الهجاء، والكلمتان اللتان تؤخذ منهما هذه الصيغ "**find**" و "**found**" تكونان من المشترك اللفظي "الجزئي".

1 النطق النموذجي "**RP**" هو نطق اللغة الإنجليزية المؤسس في الأصل على كلام المثقفين في لندن وجنوب الشرق، وبحلول القرن التاسع عشر أصبح هذا النطق هو النطق الوحيد المقبول اجتماعيا في المجتمع الإنجليزي الرفيع، وبصفة خاصة نطق أولئك الذين يلتقون في البرلمان، وتنشره المدارس العامة "الاجانية"، وقد تبنته الإذاعة البريطانية في الثلاثينات من هذا القرن لمذيعيها، وهو أقل إقليمية في هذه الأيام إذا ما قورن بأي لكنة أخرى في أي جزء من العالم، ولذلك لم يعد يتمتع بمثل هذه المكانة فيما بين الشباب كما كان الأمر في الماضي وكل الصيغ المكتوبة صوتيا في هذا الكتاب يفترض أن نطق بلكنة النطق النموذجي "**RP**". المؤلف.

(97/1)

ثالثا: علم الأصوات النطقي

سبق أن أوضحنا أن ما يسمى بأعضاء النطق لها وظائف أخرى لا ترتبط بالكلام ولا حتى بإنتاج الصوت وأن هذه الوظائف بيولوجية في المقام الأول، فالرئتان تدفعان بالأكسجين إلى الدم، والوتران الصوتيان "المثبتان في الحنجرة أو في تفاحة آدم" يعملان عند انضمام الواحد منهما إلى الآخر على سد القصبة الهوائية وعلى منع الطعام من دخولها، ويستخدم اللسان والأسنان في الطعام وهلم جرا، ومع هذا تشكل أعضاء النطق ما يمكن أن يوصف على نحو معقول بأنه نظام بيولوجي ثانوي، وهناك بعض

الشواهد على تكيفها التطوري لإصدار الكلام، وتصنف الأصوات الكلامية في علم الأصوات النطقي بواسطة أعضاء النطق التي تصدرها والحالة التي تكون عيها عند إصدارها.

وتصدر أغلب الأصوات الإنسانية في كل اللغات بتحوير -بطريقة أو بأخرى- تيار الهواء الذي تدفعه الرئتان إلى أعلى القصبة الهوائية من خلال الرّزّمة "المسافة التي تفصل بين الوترين الصوتيين" بطول الجهاز النطقي، ويمتد الجهاز الصوتي من الحنجرة "إحدى النهايتين" إلى الشفتين وفتحة الأنف. وإذا احتفظ بالوترين الصوتيين مغلقين وحدثت ذبذبة صوتية أثناء مرور الهواء من خلال الرزّمة فإن الصوت الصادر يكون صوتاً مجهوراً، وإذا مر الهواء بدون ذبذبة الوترين الصوتيين فإن الصوت الصادر يكون صوتاً

(98/1)

مهموساً، وهو ما يعد أحد التنوعات النطقية الشائعة، ومعظم الحركات في كل اللغات، وكل الحركات في اللغة الإنجليزية "باستثناء همس الكلام" مجهورة، وكل من الصوامت المهموسة، والصوامت المجهورة شائعة فيما بين لغات العالم حتى لو لم يعمل المميز بين الصوامت المهموسة والصوامت المجهورة دائماً على تمييز صيغة عن أخرى في الوسيلة الصوتية، وتشمل الصوامت المهموسة [P] ، و [T] و [K] ، و [S] ، و [f] ، والأصوات المجهورة المناظرة هي [b] ، و [d] ، و [g] ، و [z] ، و [v] ، وعندما لا تمدنا الأبجدية الصوتية العالمية برمزين حرفين مختلفين للأصوات المتناظرة في الهمس والجهر فمن الممكن أن تستخدم العلامات الصوتية المميزة لرسم هذا المميز، والعلامة الصوتية للهمس دائرة صغيرة أسفل الحرف الرمز فعلى سبيل المثال تفترض الأبجدية الصوتية العالمية أن الحركات مجهورة ما لم تميز بصورة واضحة على أنها مهموسة، ومن هنا كانت [a] ، و [i] [o] ... إلخ، مهموسة، وتقابل الحركات المجهورة الآتية: [a] ، و [i] ، [e] ... إلخ ومن الأهمية أن نذكر أنه على الرغم من حقيقة أن العلامات الصوتية المميزة تستخدم في حالة ولا تستخدم في حالة أخرى فإن العلاقة الصوتية بين [a] ، و [a] أو بين [e] ، و [e] هي العلاقة الصوتية نفسها التي تربط بين [b] و [p] أو بين [d] و [t] .

(99/1)

-
- 1- الشفتان.
 - 2 الأسنان.
 - 3- اللثة.
 - 4- الغار.
 - 5- الطبقي.
 - 6- اللهاة.
 - 7- طرف اللسان.
 - 8- حافة اللسان.
 - 9- مؤخرة اللسان.
 - 10- الحلق.
 - 11- لسان المزمار.
 - 12- فتحة البلعوم.
 - 13- الوتران الصوتيان.

(100/1)

والبعد النطقي الثالث النفسية¹، والأصوات النفسية تختلف عن الأصوات غير النفسية المناظرة لها فالأولى يصاحبها عند النطق بها نفخة زفير صغيرة "ومن الأنسب أن تعالج النفسية -عمليا- كجانب من البعد الخاص بالجهر والهمس أكثر من أن تعالج كمتغير مستقل تماما، إنه يعتمد على توقيت بدء الصوت وانتهائه فيما يتصل بخطوات النطق المصاحبة، وهناك صلات ثانوية أخرى لن نتطرق إليها هنا: التهميز، والتحنيك، والتدوير "للشفتين" والإطباق، والصوامت النفسية -وهي عادة مهموسة- توجد في لغات كثيرة منها اللغة الإنجليزية كما سنرى فيما بعد، وبدلا من أن نستخدم العلامة الصوتية في الأبجدية الصوتية العالمية المميزة للنفسية فإننا سنتبع ما شاع عمله هذه الأيام فنضع حرف h صغير بعد الرمز الحرف المناسب الخاص بالأبجدية الصوتية العالمية مباشرة، ومن هنا فإن [p h] هو المقابل النفسي لـ [p] .

وقد استخدمنا حتى الآن المصطلحين التقليديين صامت وحركة² دون إيضاح لهما، وبقدر ما يلقي نطقهما من عناية تختلف الصوامت عن الحركات

1 النفسية "aspiration" مصطلح في علم الأصوات لنفس مسموع بوضوح يمكن أن يصاحب النطق بالصوت عند إصدار الصوامت الشديدة ويرمز لهذه الصفة عادة بالرمز **h** عقب أعلى الرمز الأساسي كما نرى في الكتابة الصوتية لكلمة : [pin] والنفسية يمكن أن تشعر بها متى وضعت مؤخرة يدك ملاصقة للفم عند نطق الكلمة وهو ما لا نلاحظه عند النطق بـ "bin"، وبعض اللغات "كاللغة الهندية" تجعل هذه الصفة للصوامت الشديدة المجهورة والمهموسة فيصبح لدينا التقابلات الآتية [p] : [P] ؛ [h] ؛ [b] : [b h] .

2 يقابل "الساكن"، و"الحركة" في التراث اللغوي العربي مصطلحي **censonant**؛ "vowel" بيد أنه شاع في العصر الحديث ترجمتهما "بالصامت" و"الحركة" وثمة ترجمتان أخريان لمصطلح "vowel" هما "صائت" و"مصوت" "وردت الترجمة الأخيرة في ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين لكتاب العربية الفصحى لهنري فليش".

(102/1)

الصوامت تصدر عن طريق حد أو تضيق مؤقت لجري الهواء أثناء مروره في الفم بينما تصدر الحركات بدون أي سد أو تضيق لجري الهواء، والاختلاف الصوتي بين الصوامت والحركات -في الواقع- ليس مطلقا، فهناك أصوات كلامية معينة ذات حالة وسط، ولسنا في حاجة إلى الغوص في التفاصيل ونحن بصدد عرض بسيط وموجز للتصورات الأساسية لعلم الأصوات النطقي.

ويمكن تقسيم الصوامت إلى مجموعات عديدة تبعا لطبيعة إعاقه تيار الهواء، فقد تكون هذه الإعاقه تامة فيكون الصوت الصادر انفجاريا أو شديدا، وقد تكون هذه الإعاقه جزئية، فإذا كانت جزئية، وتسبب احتكاكا يمكن سماعه، بوضوح فيكون الصوت الصادر احتكاكيا¹، أو رخوا ومن أمثلة الأصوات الانفجارية أو الشديدة [p] ، و [i] ، و [K] ، ومن أمثلة الأصوات الاحتكاكية، [f] ، و [e] ، ويمكن أيضا تقسيم الصوامت إلى مجموعات طبقا لبعدها آخر بواسطة مخرج الصوت² أي: تبعا للمكان الذي

1 الاحتكاكي "fricative" مصطلح يستخدم في التصنيف الصوتي للصوامت على

أساس حالة النطق، ويعرف كذلك بـ "spirant" ويشير إلى الأصوات التي تصدر عندما يضيق ما بين عضوين من جهاز النطق لدرجة تتيح للهواء أن يتحرك بينهما محدثا احتكاكا مسموعا.

2 مخرج الصوت "place of articulation" أحد الأبعاد الرئيسية المستخدمة في التصنيف الصوتي لأصوات الحديث ويشير إلى المكان الذي يصدر منه الصوت في الجهاز النطقي، ومن المعتاد أن يمثل هذا البعد تمثيلا أفقيا، ونتيجة لذلك يحذف من هذا البعد بعض التنوعات التي لا يمكن تحديدها إلا بصورة عرضية وذلك مثل ما إذا كان الصوت صادرا من جانب واحد من اللسان أم من الجانبين معا وهو ما يشمل المخرج، وتتناظر نقاط مخارج الأصوات الصامتة مع التقسيمات التشريحية الرئيسية: شفوي، وشفوي أسناني، وأسناني، ولثوي، وغاري، وغاري، وطبقي، وهوي، وحلقي، وحنجري بيد أن هناك مواضع أخرى تنسب إلى المواضع السابقة، وذلك مثل مقدم اللثة "postalveolar".

(103/1)

تحدث فيه الإعاقة في الفم، وتوجد نقاط كثيرة غير محدودة بطول الجهاز النطقي يمكن فيها إعاقة مسار الهواء بواسطة أعضاء النطق المتحركة مثل الوترين الصوتيين، واللسان، والأسنان، والشففتين ... إلخ، ولا تستخدم اللغات سوى عدد قليل منها، ومخارج الأصوات التالية من بين تلك التي تستخدم في اللغة الإنجليزية واللغات المشهورة الأخرى "مع أنواع أخرى من النطق الثانوي أو بدونها".

المخرج الشفوي وفيه تتغلق الشفتان كما في [p] ، و [b] ، و [m] ، المخرج الشفوي الأسناني وفيه تتقابل الشفة السفلى مع الأسنان العليا وذلك مثل [f] ، و [v] ، وبينما [p] ، و [b] ، و [m] أصوات انفجارية فإن [f] ، و [v] أصوات رخوة "والأصوات الشفوية الاحتكاكية، والأصوات الشفوية الأسنانية الفموية منها والأنفية أقل شيوعا لكنها موجودة".

المخرج الأسناني 1 وفيه تتصل مقدمة اللسان بالأسنان العليا كما في [t] ، و [d] ، و [n] ، و [..] ، و [..] .

المخرج اللثوي وفيه تتصل مقدمة اللسان باللثة "أصول الثنايا العليا" كما في [t] ، و [n] ، و [s] ، و [z] ، ويجب أن نذكر هنا أنه تستخدم رموز واحدة في الكتابة

الصوتية العريضة لكل من الأصوات الأسنان واللثوية الشديدة، ولذلك تقدم الأبجدية الصوتية العالمية

1 أسناني "dental" مصطلح في التصنيف الصوتي للصوامت على أساس مخرجها الصوتية ويشير إلى الصوامت التي تصدر بالتقاء أسلة اللسان وحافته بالأسنان العليا أو العليا والسفلى معا، ومصطلح ذولقي أسناني "apico – dental" أكثر وضوحا بيد أنه أقل استخداما.

(104/1)

الإنجليزية مع الحرفين "K"، و "c" في أغلب البيئات الصوتية طبقية غير أنها تختلف من حيث مخرجها الطبقي لكنها في مواضع معينة "كما هو الأمر في كثير من اللغات" تقترب من أن تكون حنكية وذلك كما في key و cue، والصوت الرخو الطبقي المهموس [X] لا يوجد في النطاق النموذجي للإنجليزية "RP" لكنه موجود كصامت يقع في نهاية الكلمة loch في النطق الأسكتلندي وهو شائع في اللغة الألمانية وفي بعض اللهجات الأسبانية¹، والصوت الطبقي الرخو المجهور [لا] أكثر ندرة في اللغات الأوروبية من نظيره المهموس غير أنه موجود في الإغريقية الحديثة "وفي بعض اللهجات الروسية".

المخرج الحنجري² وفيه يتصل الوتران الصوتيان معا لحظة من الزمن ذلك كما في الصوت الشديد [؟] ، والصوتين الرخوين [h] ، و [h] ، وأولهما مهموس، وثانيهما مجهور، وحيث إن الوترين الصوتيين لا يمكن أن يتذبذبا عند إغلاقهما إغلاقا تاما فإنه لا يوجد صوت خنجري مجهور شديد بينما يوجد كل من الصوت المهموس الحنجري الرخو، والصوت المجهور الحنجري الرخو، والصوت الحنجري الشديد يرد كما لو أنه "حسب ما تدركه الحواس" صورة ذات

1 في اللغة الأسبانية الرسمية والأدبية المبنية على لهجة قشتالة –على كل حال– ما يطلق عليه الصوت الجوتا "sound – jota" في الصيغ مثل kija "ابنة" وينطق عموما بوصفه احتكاكي طبقي خلفي أو لهوي ويكتب بالأبجدية الصوتية العالمية كالآتي [X] المؤلف.

2 الحنجرية [glottal] مصطلح يستخدم في تصنيف الصوامت على أساس المخرج الصوتي يشير إلى الصوت الصادر من الحنجرة وذلك بسبب غلق أو تضيق المسافة بين الوترين الصوتيين، والفكك المسموع للغلق التام في الفتح التي تفصل بين الوترين الصوتيين يعرف بالوقفة الحنجرية "glotal stop".

(106/1)

طابع اجتماعي لصوت [t] بين حركتين في صيغ مثل city و united و butter في لكانات مدنية عديدة في إنجلترا، واسكتلندا، ومانشستر، وبرمنجهام، وجلاسكو "بالإضافة إلى ذكرها - بما لا يلاحظ هكذا- في بيانات صوتية أخرى حتى في النطق النموذجي RP" لذا من الأهمية أن نؤكد أن هذا الصوت من وجهة النظر الصوتية صامت مستقل استقلالاً تاماً ولا يلتبس بالصوت [t] وأنه منتشر في لغات العالم. وتميز الأبجدية الصوتية العالمية مخارج أخرى 1 كثيرة لتصنيف الصوامت، وبعض هذه المخارج تحتاج إلى أن نشير إلى وصف صوتي كامل في اللغة الإنجليزية، ولما كنا بصدد توضيح المبادئ العامة لتصنيف النطقي للصوامت فإنه يكفي ما تقدم، والرموز التي تناولناها حتى الآن "بالإضافة إلى عدد قليل آخر" ينتظمها الجدول الآتي رقم 1، ويضم صوامت مختارة من رموز الأبجدية الصوتية العالمية، "النفسية غير موجودة في الجدول إذ إن لهذه الخاصة في كل الحالات علامة صوتية مميزة، أما الرموز الخاصة بالأصوات الأنفية المهموسة فهي بالمثل تتركب بإضافة علامة صوتية مميزة "لرمز حرف مناسب".

1 وذلك مثل المخرج اللثوي الغاري "le alveo" - palatal مصطلح يستخدم في التصنيف الصوتي للصوامت على أساس المخرج الصوتي ويشير إلى الصوت الحادث من التقاء مقدمة اللسان بالمنطقة الأمامية من سقف الحنك "الغار" واللثة.

(107/1)

ونلاحظ أنه بينما يمثل البعد الرأسي في الجدول ما يمكن أن نعهده حداً نطقياً مفرداً "إذا أهملنا الاشتراك في المخرج وكذلك المخارج الثانوية" فإن البعد الأفقي ليس كذلك، ويوجد تنظيم هرمي فالأصوات الانفجارية تقابل الأصوات الاحتكاكية، وتصنف

الأصوات الانفجارية إلى أصوات فموية في مقابل الأصوات الأنفية، وكل من الأصوات الانفجارية والأصوات الاحتكاكية تصنف إلى أصوات مهموسة تقابل أصوات مجهورة، وتعدد الأبعاد الخاصة بما نطلق عليه طريقة النطق يقابل البعد المفرد بالضرورة الخاص بمخرج الصوت وهو ما يتضح بصورة أفضل إذا ما تعمقنا في تصنيف الصوامت "تميز طوائف مثل الصوامت المكررة، والصوامت المستتلة، والصوامت المائعة.. إلخ"، ولنحفظ هذه النقطة في ذهننا.

وتنتقل الآن إلى التحليل النطقي للحركات، ولما كانت الحركات "يقدر

(108/1)

ما يمكن أن تميز بشكل حاسم عن الصوامت" تتميز بغياب إعاقلة تيار الهواء في الفم فليس لها مخرج صوتي بالمعنى الذي نعرفه في الصوامت، ويجب أن نضع في اعتبارنا الشكل الكلي للتجويف الفموي، فهو يتنوع بلا حدود في ثلاثة أبعاد وثيقة الصلة بالأصوات تسمى تقليديا الآتي: مغلق/ مفتوح "أو مرتفع/ منخفض"، وأمامي/ خلفي، ومستدير/ غير مستدير.

فالحركة المغلقة "أو المرتفعة" هي تلك الحركة التي يكون الفكان عند النطق بها منطبقين "وذلك لأن اللسان يكون في أعلى الفم" وفي المقابل فإن إصدار حركة مفتوحة "أو منخفضة" يتضمن فتح الفم بصورة أكثر اتساعا "وذلك بسبب انخفاض اللسان"، والحركتان [i] ، و [u] كلتاها مغلقة "مرتفعة" والحركتان [a] ، و [a] كلتاها مفتوحة "منخفضة".

والحركة الأمامية تصدر بتثبيت اللسان "وبصورة أكثر وضوحا النقطة العليا من اللسان بينما يكون بطبيعة الحال مثبتا من جذره في مؤخرة الفم" في اتجاه مقدم الفم، وتتضمن الحركة الخلفية تراجعا للسان والحركتان [a، i] كلتاها أمامية والحركتان [u، a] كلتاها خلفية.

والحركة المستديرة تصدر مع استدارة الشفتين، والحركة غير المستديرة تصدر بدون استدارتهما، والحركات [u] ، و [o] ، [...] كلها مستديرة، والحركات [i] ، و [e] ، و [..] ، و [a] كلها غير مستديرة، والحركة المعيارية رقم 5 [a] مفتوحة إلى أقصى حد، وهي أيضا غير مستديرة.

وثمة نقاط يمكن أن نتناولها الآن بشكل مختصر تدور حول تصنيف الحركات وفق هذه

الأبعاد الثلاثة، أولاها أنه ما دام كل بعد منها مستمرا فإن ما يميز بين حركتين من خلال الانفتاح، والخلفية، والاستدارة حالة تقريبية دائما، وعلى كل حال فقد صنع علماء الأصوات -بهدف توحيد مقاييسهم

(109/1)

الخاصة بالحركات - نظاما للحركات الأساسية¹، وهذه الحركات الأساسية

1 الحركات الأساسية "cardinal vowels" مجموعة من النقاط المرجعية الشكلية ابتكرها عالم الأصوات البريطاني دانيال جونز Daniel Jones "1881 - 1967" ليقدم وسائل أساسية لتعريف أصوات الحركات في اللغات، ويعتمد نظام الحركات الأساسية على مجموعة من الأحكام النطقية والسمعية، وهناك أربعة مستويات نظرية في ارتفاع اللسان يمكن تمييزها وهي: "1" الموضع الأعلى الذي يمكن أن يصل إليه اللسان دون حدوث احتكاك، "2" الموضع الأدنى الذي كون فيه اللسان قادرا على الإنجاز أما "3"، و"4" فهما المستويان المتوسطان اللذان يقسمان المسافة التي تتوسط ما بين "1"، "2" إلى منطقتين متساويتين في البعد، وباستخدام مقدمة اللسان دون استدارة الشفتين تصدر أربع حركات أساسية، وباستخدام مؤخرة اللسان تصدر أربع حركات أساسية أخرى وتأخذ هذه الحركات الأساسية رموزا رقمية من "1" إلى "8" حسب ترتيبها.

والحركات الأربعة الأساسية الأولى هي على الترتيب من أعلى إلى أسفل: [i, e] [..] ؛ [a] والحركات الأربعة الأساسية الثانية هي على الترتيب من أسفل إلى أعلى: [o, ..] ، [a] ؛ [u] والأصوات الثلاثة الأخيرة تشتمل على عنصر استدارة الشفتين.

وإذا ما عكسنا وضع الشفة تصدر أنواع أخرى من الحركات هي الحركات الثانوية وتأخذ رموزا رقمية من "9" إلى "16".

والهدف من الشكل الرباعي المرسوم تقديم صورة تقريبية لدرجة حركة اللسان واتجاهه وتساعد خطوط إضافية على إقامة حدود المنطقة التي تعمل فيها أصوات الحركات الأساسية، وهذه الحركات الأساسية ليست حركات حقيقية بل هي نقاط مرجعية ثابتة يستطيع بها علماء الأصوات تحديد مكان حركات لغة من اللغات أو مقارنة الحركات

الخاصة بلغات أو لهجات مختلفة ويمكن باستخدام العلامات أو الرموز الإضافية تخطيط مواضع الحركات على نحو أدق وثمة أطروحات أخرى عديدة لتقسيم المنطقة الخاصة بنطق الحركات تلقى الاهتمام بيد أن النظام الذي قدمه دانيال جونز لم يزل الأوسع انتشارا.

(110/1)

لا تحددها حركات أي لغة موجودة بالفعل ولكنها نقاط نظرية يمكن لعالم الأصوات المتمرس بالرجوع إليها أن يحدد موقع أصوات الحركات الخاصة بلغات معينة، وهو يستطيع أن يصدر تقارير مثل: الحركة الموجودة في الصيغة الفرنسية **pie** التي يمكن كتابتها صوتيا هكذا **[pi]** تقترب اقترابا أوثق من الحركة المعيارية **[i]** إذا ما قورنت بالجزء الأول من الحركة الموجودة في النطق النموذجي **[RP]** للكلمة الإنجليزية **pe** التي يمكن كتابتها كتابة صوتية عريضة كالآتي **[pi]** ، أو كتابة صوتية أضيق "مشيرين إلى نفسه الصامت، وطول ازدواجية الحركة -على الرغم من عدم اطراده- وكميتها" كالآتي **[phi]** والحركات الثمانية المعيارية الرئيسية نجدها في الشكل رقم 2، وسنأتي الآن إلى الحركات المعيارية الثانوية، وسنلاحظ أن الحركات المعيارية 1، 4، 5، 8 أي: **[i]** ، و **[a]** ، و **[a]** ، و **[u]** النهايات النظرية لبعدي الانفتاح والخلفية، وفيما بين الحركتين **[i]** ، و **[a]** ، وفيها بين الحركتين **[u]** ، و **[a]** وتوسط دقيق ومتساو نجد الحركتين نصفي المغلقتين **[e]** ، و **[o]** والحركتين نصفي المفتوحتين **[..]** ، و **[a]** . والنقطة الثانية أنه في حين أن كل الحركات الأمامية في الشكل 2 غير مستديرة فإن كل الحركات الخلفية "باستثناء الحركة المعيارية رقم 5" مستديرة

(111/1)

وهذا لا يعني أن الحركات المستديرة أو الحركات الخلفية غير المستديرة غير موجودة، ف كلا النوعين موجود بالتأكيد غير أنهما موجودان بشكل أقل شيوعا -وبالأخص الحركات الخلفية غير المستديرة- في اللغات الأوروبية، ولكل من الأبجدية الصوتية العالمية والنظام المتطور الخاص بالحركات المعيارية انحياز معين تجاه اللغات الأوروبية، غير أنه لكل حركة معيارية أساسية نظير فيما بين الحركات المعيارية الثانوية "الأمامية

المستديرة والخلفية غير المستديرة" وتأخذ الأرقام رقم 9 إلى 16 فعلى سبيل المثال
النظير الثانوي لـ [i] يكون رقم 9 حركة أمامية مستديرة "y" تقترب منها الحركة
الموجودة في الكلمة الفرنسية tu، والنظير الثانوي لـ [u] يكون رقم 16 الحركة الخلفية
غير المستديرة [w] وفي اللغة اليابانية حركات تشبه الحركة المعيارية الثانوية "w".
ومما يلاحظ كذلك أن الحركات الموجودة في الشكل رقم 2 تقع على جانبي الشكل
الرباعي الذي تقل قاعدته عن قمته، ويعبر هذا الشكل عن حقيقة أن هناك -
لأسباب- فسيولوجية من وجهتي النظر النطقية والسمعية- اختلافات تتعلق بالحركات
المفتوحة أقل مما يتعلق بالحركات المغلقة في البعد الأمامي الخلفي فالاختلاف الموجود
على سبيل المثال بين [a] ، و [a] أقل من الاختلاف الموجود بين [i] ، و [u] ،
وهو ما ينطبق كذلك على الاستدارة، ولذلك فإن الاختلاف بين [i] و [u] أكثر من
الاختلاف بين [a] ، و [a] في بعدين من ثلاثة "الاستدارة غير متصلة بشكل تام في
حالة الحركات المفتوحة إلى أقصى حد"، ولهذا لم يكن من المدهش أن تتجه اللغات إلى
امتلاك نظم للحركات غير المتناسقة تقل فيها مميزات الحركات المفتوحة عن مميزات
الحركات المغلقة.

وأخيرا يجب أن نؤكد مرة أخرى أن الشكل الرباعي مثل حلقة ثلاثية

(112/1)

الأبعاد تشير رموز الحروف الخاصة بالأبجدية الصوتية العالمية في إطارها -باستثناء
النموذج النظري- إلى مناطق أكثر من أن تكون نقاطا، وهناك فضلا عن ذلك -وعلى
الأخص في منتصف الحلقة- مناطق لا تستخدمها الأبجدية الصوتية العالمية أو نظام
الحركات المعيارية على نحو حسن على الإطلاق.

هناك الكثير إذن فيما يتصل بنطق الصوامت والحركات، وما قلناه مختصر وقائم على
الاختيار على الرغم من أن تعاملنا مع الموضوع جعل من الواضح بما فيه الكفاية أن
الصوامت والحركات مقتطعات من الكلام، وهي عبارة عن حزمة من الملامح النطقية
كل ملمح منها يمكن أن يعالج كقيمة خلافية في بعد معين، فعلى سبيل المثال [m]
صوت مجهور، شفوي، أنفي، شديد أي: له قيمة "مجهور" في البعد الخاص بالجهر، وله
قيمة "شفوي" في البعد الخاص بمخرج الصوت "الأساسي"، وله قيمة "الأنفية" في البعد
الخاص بالأنفية، وله قيمة "الشدة" في البعد الخاص بانسداد مجرى الهواء أو إعاقته.

والأقواس [] التي تحيط بالكلمات: "مجهور"، "شفوي" ... إلخ في الفقرة السابقة توضح أن هذه الكلمات مسميات لملامح صوتية، والآن يعيد الجدولان 2، 3، تصنيف بعض الصوامت والحركات التي قدمنا لها من قبل بوصفها مجموعة من الملامح، وهذه الملامح متزامنة وليست متعاقبة "بأي شكل من الأشكال" وهو ما سيدرك فيما بعد، وسندرك أيضا أنه من الواجب أن نرسم مميزا بين الملامح التي تعد متغيرا مستقلا والملامح التي لا تعد كذلك، لذا لا يمكن لصوت من أصوات الكلام أن يكون في أي وقت من الأوقات مهموسا، ومجهورا أو أنفيا وفمويا، والجدول رقم 2، والجدول رقم 3

(113/1)

يستخدمان في الإشارات الموجبة والإشارات السالبة لتجسيد هذه الحقيقة، واخترنا الإشارة الموجبة لـ [مجهور] ، و [أنفي] ... إلخ، والإشارة السالبة لـ [مهموس] و [فموي] ... إلخ، وكلها أطراف لثنائيات من الملامح ذات العلاقة المتبادلة، وبقدر ما يلقي المخرج الصوتي للصوامت من اهتمام يكون الوضع مختلفا، وصحيح أن الصامت إذا كان شفويا "بصفة أساسية" لا يمكن أن يكون أيضا أسنانيا أو طبقيًا "بصفة أساسية" غير أننا لا نستطيع أن نعتبر [أسناني] أو [طبقي] إشارات سالبة فيما يتعلق بـ [شفوي] ، ويحدث كذلك أنه إذا ميز صامت بالإشارة الموجبة بخصوص إحدى القيم الخلافية الخاصة بمخرج الصوت في إحدى النقاط تكون باقي النقاط على طول البعد الخاص بمخرج الصوت مميزة بالعلامة 5 المحايدة وليس بالعلامة السالبة فيما يتعلق بالقيم الخلافية الأخرى، وهو ما يكون كذلك بقدر ما يلقي الاختلاف بين الأصوات الشديدة والأصوات الرخوة من اهتمام، ولا يمثل الجدول رقم 3 سوى ثلاثة أبعاد خاصة بالتصنيف النطقي للحركات تتعلق بشكل الفم، ومن اليسير أن يمتد الجدول رقم 3 في ضوء مناقشتنا السابقة ليمثل أيضا البعدين: "الجهر: الهمس"، و"الفموية: الأسنانية"، في الحركات، والجدولان 2، 3 سيكونان مفيدتين في إحالات قادمة.

والجدول رقم 2 صوامت مختارة حللت إلى الملامح النطقية المكونة لها "والأصوات الجهورية الفموية المهموسة النفسية لها ما يمثلها أما الأصوات الشديدة الجهورية النفسية الفموية منها والأنفية، والأصوات الأنفية المهموسة فلا يوجد ما يمثلها ومخرج الأصوات محدودة -بفرض التوضيح- في ثلاثة مخارج: المخرج الشفوي، والمخرج الأسناني،

والمخرج الطريقي، ويمكن أن يتسع الجدول بسهولة ليشمل كل الصوامت الواردة في الجدول رقم 1 مع نظائرها النفسية".

(114/1)

والجدول رقم 3 حركات مختارة حللت إلى مكوناتها "وهذا الجدول لا يتضمن الحركة [3] ، [...] ولا يميز بين الحركة نصف المفتوحة، والحركة نصف المغلقة، إنه لا يعتبر [e] ، و [o] مفتوحتين ولا مغلفتين.

غير أنه من الواجب أن نثير الآن قضية التقطيع ذاتها، كيف نقرر أن دفعة معينة من الكلام محللة من وجهة نظر على علم الأصوات النطقي تتكون من كذا وكذا من القطع المرتبة بشكل متسلسل؟ وإذا كان عرض الأساس المحدد لعملية التقطيع الصوتي سهل إلى حد بعيد فإنه ليس كذلك عند التطبيق بدون كمية كبيرة من الأحكام الاعتبارية إلى حد ما في أمثلة بعينها ونحن نقيم الحدود

(115/1)

بين القطع "وبالتالي نقيم القطع نفسها" في تلك النقاط التي يوجد فيها تغير في القيمة لدى بعد نطقي واحد أو أكثر على سبيل المثال كالتيغير من [الشفوي] إلى [الأسناني] ، ومن [الجهور] إلى [المهموس] ، ومن [الخلفي] إلى [الأمامي] ومن [الأنفي] إلى [الفموي] وهذا المبدأ يكون عادة صعب التطبيق وذلك لأن التغيرات في القيمة ليست حاسمة دائما، وامتدادات الصوت بين التغيرات المتتالية للقيمة ليست حالات مطردة إلى حد بعيد¹. وأكثر من ذلك لا يدخل عادة في حسابنا -إزاء هذا الغرض- انتقالات في ملامح معينة "مثل بداية الجهر أو النفسية في الصوامت" ما لم تكن هناك أسباب فونولوجية تدعو لذلك "انظر: 3 - 4" وعليه فإن السؤال عن عدد الأصوات الكلامية الموجودة في صيغة معينة -دون الرجوع إلى البنية الفونولوجية لنظام لغوي معين أو للنظم اللغوية عموما- لا يسمح عادة بإجابة محددة، وهذا شيء يجب دائما أن يكون في الذهن عند الإشارة إلى معطيات لغوية مكتوبة صوتيا.

ويعد ذلك في الواقع أحد مساوئ النظام الألفبائي للكتابة الصوتية فهو يشجع غير المتخصصين على الاعتقاد في أن الكلام عبارة عن توليف سلسلة من الأصوات

الكلامية، وينبغي على أي فرد يستخدم الأبجدية الصوتية أن يمرن نفسه على التعامل معها كسلسلة من الرموز تمثل القول المنطوق فعلى سبيل المثال يجب عليه [...] ألا يكون قادرا فحسب على تحليل [t] إلى ملامحها المتزامنة [مهموس] ، و [أسناني] ... إلخ، وكذلك فيما يتعلق بكل صوت من الأصوات الكلامية الخمسة الممثلة هنا، بل يجب أيضا أن يلاحظ مباشرة

1 الحركات المزدوجة تختلف من الناحية الصوتية عما يعرف بالحركات الخالصة أو الصوامت المفردة إذ إنها ليست أصوات مطردة الحالة "المؤلف".

(116/1)

أن ملمح [الهمس] يمتد إلى قطعتين، وأن كل من [الجهر] ، و [الأنفية] يمتد إلى ثلاثة قطع وهلم جرا، وهذه الملامح: [الهمس] ، و [الجهر] ، و [الأنفية] لا تنقطع بسرعة ولا تبدأ بسرعة بين [T] و [...] أو بين [M] ، و [...] ، أو بين [...] و [u] وعندما تشترك قطعتان أو أكثر في ملمح مفرد بهذه الطريقة "وعلى الأخص إذا كان ملمحا خاصا بالصوامت يتعلق بمخرج الصوت" فإنها توصف بشكل شائع بالتجانس في المخرج "يصدرها عضو واحد"، ونستطيع أن نقول بصورة أعم إن هناك اتجاهات لتماثل الأجزاء المتتالية "بقدر ما تكون قطعاً تميزها المعايير المذكورة أعلاه" لتصبح متماثلة في مخرج الصوت أو صفته أو في كليهما، وهذه الحقيقة لها أهميتها الخاصة في التحليل الفونولوجي للغات.

ويتضح مما قلناه أن أي ملمح صوتي يمكن في الواقع أن يكون ممتدا فوق قطع صوتية متتالية، ويمكن تبعا لذلك أن يكون ملمحا تطريزيا، فعلى سبيل المثال [الجهر] ملمح تطريزي في [amba] ، والأنفية ملمح تطريزي في [...] وهلم جرا، ومع ذلك يقتصر مصطلح "لمح تطريزي" على الملامح التي تصنف تصنيفا فونولوجيا وليس تصنيفا صوتيا مثل الطول، والنغمة، والنبر وسوف نعود إلى هذه الفكرة بمعنيها في قسم آخر.

ويجب على كل حال أن نؤكد أن التعامل مع القطع الصوتية واللامح التطريزية الواردة في هذا الكتاب انتقائي إلى حد بعيد، وهناك بقدر ما تلقى القطع الموجودة بالقوة من اهتمام فجوات خاصة بتقسيم الأصوات الكلامية من أنواع مختلفة لم تذكر بعد وذلك

مثل الأصوات المائعة، والأصوات الانزلاقية والأصوات الانفجارية الاحتكاكية ... إلخ، ويرجع ذلك إلى أن الهدف ليس تقديم تصنيف كامل للاختلافات النطقية ولكن توضيح الأسس العامة فقط.

(117/1)

رابعا: الوحدات الصوتية والصور الصوتية

من الآن ستكون عنايتنا بعلم الأصوات "دراسة الوسيلة المنطوقة" بقدر ما يتصل بالتحليل الفونولوجي للنظم اللغوية فحسب، وتوجد نظريات عديدة في الفونولوجيا، وتتمايز هذه النظريات بين فونيمية وغير فونيمية تبعا لما إذا كانت هذه النظريات الفونولوجية تجعل من الفونيمات "الوحدات الصوتية" العناصر الأساسية للتحليل أم لا ومن النظريات الصوتية الفونولوجية ما يعرف باسم "علم الفونيمات الأمريكي الكلاسيكي"، ومع أن هذه النظرية قد تخلت عنها معظم اللغويين فهي ذات أهمية جدية بالاعتبار في فهم تطور معظم النظريات الحديثة، وفضلا عن ذلك فإن لهذه النظرية فوائد تربوية نظرا لسهولة تصويرها وبساطتها إذا ما قورنت بنظريات أخرى كثيرة، لذا سنكرث هذا القسم لإيضاح الأفكار الأساسية لعلم الفونيمات الأمريكي الكلاسيكي، وقد استفيض في هذه الأفكار في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، وسنركز على هذه الأفكار والمصطلحات التي سوف نستخدمها فيما بعد وسنتجنب المزيد من التفصيل.

وتحدد الفونيمات في إطار النظرية التي نتناولها هنا بواسطة معيارين: أولهما التماثل الصوتي، وثانيهما التوزيع "ويتبع المعيار المهيم الذي نجد تطبيقاته في كل نظريات الفونولوجيا ألا وهو التقابل الوظيفي: انظر ما يلي"، وقد رأينا في القسم السابق أن التماثل الصوتي حالة تقريبية متعددة الأبعاد، ويتبع ذلك أن صوتا كلاميا معينا قد يماثل صوتا كلاميا ثانيا في بعد واحد أو أكثر بينما يختلف عنه ويمثل غيره في بعد واحد أو أكثر، والنتيجة العملية لهذه الحقيقة -بقدر ما يلقي التحليل الفونيمي من اهتمام- أن الحلل يواجه عادة بحلول بديلة عندما يأتي مشكلة تحديد الأصوات الكلامية التي تشكل

معا

(118/1)

تنوعات أو -بتعبير أكثر تقنية- صورا صوتية للفونيم الواحد، وفي هذه النقطة يمكن أن يطبق معايير متكاملة متنوعة "سوف نهمّلها" ويمكن أن يبقى مع ذلك مجال للاختلاف حول عدد الفونيمات الموجودة في لغة معينة وصورها الصوتية الموجودة في سياقاتها المختلفة حتى عندما يتوسل بهذه المعايير المتكاملة وعلى الرغم من الانطباع الأول المأخوذ من مقررات أساسية كثيرة فهناك شك ضئيل في أن تفشل النظرية الأمريكية الكلاسيكية في إيجاد تحليل فونولوجي متميز ومقبول على المستوى العالمي لكثير من اللغات.

ونتحول الآن إلى فكرة التوزيع، وهذه الفكرة - كما سنرى خلال هذا الكتاب - لا تتصل بالفونولوجيا فحسب لكنها تتصل أيضا بالنحو والدلالة، وتوزيع كيان ما - باختصار - مجموعة السياقات التي يذكر فيها خلال جمل لغة ما، ومصطلح كيان يؤخذ بمعناه العام قدر الإمكان، وبقدر ما يلقي القسم الحالي من اهتمام يظل مشتملا على الأصوات الكلامية والملامح الصوتية من ناحية والفونيمات من ناحية أخرى، ومفهوم التوزيع يفترض سلفا مفهوم صحة التركيب "انظر 2 - 6" ويعني ذلك - بقدر ما تلقى الفونولوجيا من اهتمام - أن ما يجب أن نتعامل معه ليس ببساطة صيغ نظام لغوي موجودة بالفعل ولكن مجموعة من الصيغ صحيحة التركيب على المستويين الفونولوجي والصوتي، وفي كل اللغات الطبيعية صيغ موجودة بالفعل مستخدمة استخداما شائعا إلى حد ما "مستعارة بصورة متكررة من لغات أخرى" لا تتطابق مع الأنماط الفونولوجية الأعم، وهناك كثير من الصيغ التي لا وجود لها يدرك المتكلمون أنها صيغ كامنة - بالمعنى المناسب - في لغتهم أي إنها تطابق الأنماط العامة، ولنأخذ مثلا كلاسيكيا حاضرا إذ إن [brik] صيغة كلمة موجودة بالفعل وموجودة بالقوة "بالكتابة الصوتية العربية" لاحظ أن [blik، brik] صيغة موجودة بالقوة وليست موجودة بالفعل، وأن

(119/1)

[*baik] من الناحية الأخرى ليست صيغة كلمة فهو موجودة بالفعل فحسب في اللغة الإنجليزية بل هي صيغة البنية من الناحية الفونولوجية "ومن ثم كانت العلامة النجمية"، وتوجد صيغ صحيحة البنية في اللغة الإنجليزية تبدأ بـ [bn]؛ 1. وإلى المدى الذي تكون فيه اللغات نظما محكومة بقانون فإن كل كيان لغوي يخضع

للقوانين في نظام لغوي ما له توزيع مميز، ويكون لكيانين أو أكثر توزيع واحد إذا - وإذا فقط - ذكرا في المحيط نفسه أي: إذا أمكن استبدال الواحد منهما بالآخر "أي: إذا كانا يتصفان بإمكانية الاستبدال الداخلي" في كل السياقات "الخاضعة لشرط صحة البنية"، والكيانات التي يمكن استبدالها في بعض السياقات وليس جميعها تتداخل في التوزيع، والهوية التوزيعية يمكن لذلك أن تعد حالة محدودة من التداخل التوزيعي، وإذا كان "البعض" يلزم أن يندرج تحت "الكل" فإنها تعرف بحيث تقع في إطار تعريف التداخل، ولنعرفها من الآن فصاعدا كآلي: الكيانات التي لا يمكن استبدالها في أي سياق تقع في إطار التوزيع التكاملي.

ونستطيع الآن تطبيق هذه الأفكار على قضية تعريف الوحدات الصوتية وصورها الصوتية، وبادئ ذي بدء يجب أن نذكر أن أي صوتين لا يمكن أن يكونا في وضع تقابل وظيفي ما لم يتداخلا في التوزيع: على الأخص الأصوات الكلامية التي لا تتداخل في التوزيع لا يمكن أن يكون لها وظيفة التمييز بين صيغة وأخرى، فعلى سبيل المثال هناك أصوات [L] عديدة ومختلفة من

1 فيما عدا ما يطلق علي الصيغ المختصرة "في النطق" التي توجد باعتبارها صور مختلفة في الكلام السريع أو الكلام العلمي "فعلى سبيل المثال [bni:o] باعتبارها صورة مختلفة مختصرة لـ [benie] ؛ beneath في النطق النموذجي "المؤلف".

(120/1)

الناحية الصوتية في النطق النموذجي "RP" للغة الإنجليزية، ومعظم هذه الأصوات تنقسم إلى مجموعتين يشار إليهما بصورة انطباعية بالمرققة، والمفخمة "وقد يكون لأفراد هاتين المجموعتين موضع أساسي واحد في النطق لكنها تختلف فيما إذا كان الجزء الرئيسي من اللسان متجها إلى مقدم الفم أو مؤخرته" ولا تذكران في موضع واحد في صيغ الكلمات: فأصوات [L] المرققة تقع قبل الحركات الأمامية داخل صيغ الكلمات، وأصوات [L] المفخمة تقع في بقية المواضع، واستبدال صوت [L] المرقق بالصوت المفخم المعتاد لنقل في feel لا يستطيع أن يغيرها إلى صيغة أخرى "على الرغم من أن ذلك قد يعمل على أن تبدو فيما يتصل بهذا الشأن أيرلندية أو فرنسية" وبالمثل فإن استبدال [L] المفخمة بـ [L] المرققة المعتادة لنقل في leaf لا يمكن أن

تغيرها إلى صيغة كلمة أخرى موجودة بالفعل أو بالقوة، وعموما فما دامت كل أصوات [L] سواء منها المفخم والمرقق تقع في توزيع تكاملي فلا يمكن أن تكون في تقابل وظيفي فهي تناسب الشروط المذكورة التي تحدد الوحدة الصوتية وتحدد التماثل الصوتي والتوزيع التكاملي لها وتخصص على وجه العموم للوحدة الصوتية المفردة كما تخصص لصورها الصوتية أي ما يميزها من الناحية الصوتية، وما يميز أشكالها المختلفة تبعا للموضع، وهو ما يعد جوهر العناصر الفونولوجية التي يجب أن تكون في تقابل وظيفي في مكان ما على الأقل في النظام اللغوي.

والصور الصوتية دون الوحدة الصوتية ومع هذا فلها توزيع محكوم بقانون أي: إنها تتعلق في هذا الشأن بالنظام اللغوي بسبب ظهورها في الوسيلة الصوتية لكنها ليست عناصر في النظام اللغوي، وعناصر نظام لغوي ما "تبعا للنظريات الفونيمية في الفونولوجيا" هي وحداتها الصوتية "الفونيمات"، والوحدات الصوتية - حسب العرف - يمثلها الحرف الرمز "مع العلامات الصوتية المميزة أو بدونها" بما يتناسب مع الكتابة الصوتية العريضة لإحدى

(121/1)

الصور الصوتية التي يمكن تمييزها صوتيا وتوضع داخل الشرطتين المائلتين // فعلى سبيل المثال الوحدة الصوتية الإنجليزية /L/ لها كما لصورها الصوتية مجموعة من الأصوات الكلامية المتميزة صوتيا يمكن أن نميز كل صوت منها من غيره - عند الضرورة - في الكتابة الصوتية الضيقة وهكذا يكون لدينا طريقة أخرى للإشارة إلى الصيغ ألا وهي الطريقة الفونيمية أو بصورة أعم إذا عممنا استخدام الشرطتين المائلتين "كما سنفعل في هذا الكتاب" الطريقة الفونولوجية، ومن الأهمية أن ندرك - كما واضح من الشرح السابق - أن التمثيل الفونيمي ليس ببساطة كتابة صوتية عريضة.

وثمة نقطة أخرى يجب أن تثار، فكل الكتب الأساسية في علم اللغة تقدم غالبا شرحا غامضا ولا نقول هراء لمبدأ التقابل الوظيفي، فقد تذكر على سبيل المثال أن استبدال صوت [L] المرقيق بصوت [L] المفخم في feel لا يغير معناها بينما استبدال صوت [r] بصوت [L] في كلمة lamb يغير معناها وهذا الكلام - بلا مواربة - خطأ فاستبدال [r] بـ [L] في كلمة lamb يغير الصيغة ولا يغير المعنى أي: إنها تغير صيغة lamb إلى صيغة ram حقا إن "lamb" و "ram" أي الكلمات التي تعد

ram و lamb صيغا لها" تختلف في المعنى، ومن هنا فإن الأقوال التي تشتمل عليها سوف تختلف "بشكل عام" في المعنى، ولم تدفعني حذقة علمية لا داعي لها إلى أن ألقت النظر إلى الشرح الغامض المتكرر لمبدأ التقابل الوظيفي، فالاختلاف في الصيغة لا يتضمن اختلافا في المعنى "انظر ظاهرة الترادف" كما أن الاختلاف في المعنى ليس المعيار الوحيد الذي تعتمد عليه في إقرار اختلاف الصيغة، وما إذا كان ممكنا أن يكون هناك اختلاف في الصيغة لا يرتبط بعلاقة متبادلة في بعض النقاط في نظام لغوي ما مع اختلاف ما في المعنى قضية خلافية تعتمد جزئيا على تعريفنا للمعنى، لكن ليس من شك في أن ما يوضع في الاعتبار عند شرح مبدأ التقابل الوظيفي هو تطابق الصيغة واختلافها وليس تطابق المعنى واختلافه.

(122/1)

والنداخل التوزيعي شرط ضروري - لكنه غير كاف - للتقابل الوظيفي، ومن الشائع إلى حد بعيد أن الأصوات الكلامية المختلفة على المستوى الصوتي يمكن تبادلها داخليا في السياق نفسه ومن ثم تكون بدائل حرة أي: إنها لا تكون في حالة تقابل وظيفي فعلي سبيل المثال [؟] و [t] يكونان في وضع البدائل الحرة عند كثير ممن يتكلمون اللغة الإنجليزية بطريقة النطق النموذجية "RP" في صيغة مثل brightness؛ [...] ..؟n في مقابل [... tn....] أو that block؛ "b....؟" ... في مقابل [....tb....] أي: قبل الصوامت الشديدة القموية منها والأنفية، ولم يغير إبدال صوت كلامي بآخر هنا صيغة brightness أو tbat bloke إلى صيغة أخرى، وهو ما قد يمر في الواقع بلا ملاحظة، وفي حالات أخرى خاصة بما يعد عادة - لغرض التحليل الفونيمي - بدائل حرة فإن اختيار نطق معين دون آخر قد تحدده عوامل أسلوبية مختلفة الأنواع ويقدر ما يلقي التحليل الفونيمي من اهتمام فإن التقابل الوظيفي يمكن فهمه على أنه محدد للوظيفة المميزة أي: وظيفة تميز صيغة عن أخرى، وما يمكن أن يكون مثار جدل كما يصير الفونولوجيون من أتباع مدرسة براغ أن الوصف الفونولوجي يجب أيضا أن يؤخذ في الاعتبار عند الاختلاف الأسلوبي "انظر 7 - 3". ومن أقدم المكتشفات في الفونولوجيا وأعظمها أهمية أن الأصوات الكلامية التي في حالة تقابل وظيفي في لغة معينة قد تكون في حالة توزيع تكاملي أو تنوع حر في لغة أخرى فعل سبيل المثال [...] و [d] في حالة تقابل وظيفي في اللغة الإنجليزية "انظر

there في مقابل dare" غير أنهما في حالة توزيع تكاملي "ربما مع بعض التنوع الأسلوبي" في اللغة الأسبانية القشتالية "انظر nada [...] 1 في مقابل dos؛ [dos] 2؛ ويمكن أن تتعدد الأمثلة، والنقطة الهامة أن اللغات تختلف إلى حد بعيد فيما يتصل بالميزات الصوتية التي تضعها لإدراك الصيغ "في الوسيلة الصوتية" التي تتركب منها الجمل، وهذه النقطة ثابتة ولا تعتمد على النظرية الفونولوجية التي تشرح في إطارها.

1 لا شيء.

2 اثنان.

(123/1)

خامسا: الملامح المميزة والفونولوجية التطريزية

تعد الفونيمات -تبعاً للنظرية علم الفونيمات الأمريكي الكلاسيكي المشار إليها في القسم السابق- أصغر العناصر الفونولوجية في النظم اللغوية، وثمة وجهة نظر أخرى أخذ بها ترويتسكي أحد الأعضاء المؤسسين لمدرسة براغ في علم اللغة التي طورت رؤيتها الخاصة لبنائية دى سويسر وكان لها تأثيرها الكبير خصوصاً في الفونولوجيا وعلم الأسلوب في الثلاثينيات من هذا القرن "انظر 7 - 3"، والفكرة الأساسية لفونولوجيا مدرسة براغ أن الفونيمات على الرغم من أنها ما زالت أصغر القطع في النظم اللغوية فإنها ليست أصغر العناصر فهي حزمة "أو مجموعة" من الملامح المميزة المترامنة، وهذه الفكرة -مع تعديلات معينة أدخلت فيما بعد عليها- تبناها في الستينيات من هذا القرن مؤيدو النحو التوليدي، وفي صياغتها الحالية حلت محل الأفكار التي تميز علم الفونيمات الأمريكي الكلاسيكي التي ترتبط في الأصل بالنحو التوليدي بوصفها جانب من موروث ما بعد البلومفيلدية¹ "انظر 7 - 4"، وما نحن بصددده فيما يخص نظرية السمة المميزة لا يعنى بالتمييز بين المراحل التاريخية لتطورها.

1 البلومفيلدية "Bloomfieldianism" وصف لمن يتبع المنهج اللغوي لعالم اللغة الأمريكي ليونارد بلومفيلد. وذلك كما يتمثل في كتابه "اللغة" "Language" الذي نشر عام 1933، ويشير الاتجاه البلومفيلدي "Bloomf" =

ويشير مصطلح مميز إلى ذلك الجانب الخاص بالتقابل الوظيفي في النظم اللغوية الذي يتعلق بتميز صيغة عن صيغة أخرى "انظر 3 - 4"، وقد أعطى الفونولوجيون التابعون لمدرسة براغ اهتماما كبيرا لأنواع أخرى من الوظيفة الفونولوجية غير أن هذا لا يعيننا الآن، ومصطلح ملمح معروف سلفا منذ تناولناه في ذلك القسم الذي يتناول علم الأصوات النطقي "انظر 3 - 3"، ويمكننا في الواقع أن ننقل سريعا إلى تفسير الأفكار الأساسية لنظرية الملمح المميز على أساس ما قلناه في الفصلين السابقين.

فالأصوات الكلامية يمكن أن تصور على أنها مجموعة من الملامح الصوتية، والملامح الصوتية التي استخدمناها من قبل نطقية لكنها قد تكون بالدرجة نفسها سمعية أو -من حيث المبدأ- تجريبية، ويصدق الأمر نفسه على ما يتصل بالملامح الفونولوجية الخاصة بنظرية الملمح المميز، وتستخدم كلا من الملامح السمعية والنطقية، وبقدر ما يمكن أن تعد الفونولوجيا -بخلاف علم الأصوات- إحالة غير مباشرة للوسيلة الصوتية "على الرغم من أن نظريات الملمح المميز تميل كلها إلى عدم الأخذ بهذه الوجهة المجردة إلى حد ما للفونولوجيا" فقد يكون من الواجب أن يتأمل المرء مع الملامح الفونولوجية غير النطقية وغير السمعية لكنها قادرة "حتى ولو من

ieldianism = بصفة خاصة إلى مدرسة في الفكر تطورت في الفترة الواقعة بين منتصف الثلاثينات والخمسينات، وبصفة خاصة في أمريكا وكان لها تأثيرها على علم اللغة البنيوي "**attuctural linguistics**"، وتميزها بصفة خاصة بمبادئها السلوكية في دراسة المعنى، وتأكيدا على الخطوات الكشفية الحازمة في تأسيس الوحدات اللغوية، والاهتمام العام بتحقيق الصفة العلمية لعلم اللغة "بالمعنى السلوكي"، وتعد القوة التي أخرجت النحو التوليدي رد فعل ضد الاتجاهات البلومفيلدية، وعلى الرغم من أن البلومفيلدية لم تعد متمشية مع الاتجاهات المعاصرة فإن بعض طرائقها ما زالت مستخدمة على نطاق واسع في مجال البحث.

خلال طريق معقد إلى حد ما " على الارتباط بهما معا على قدم المساواة، وأيضا
بالملاحح التجريبية عندما يحقق علم الأصوات التجريبي تطورا أبعد مما هو عليه الآن،
وسنستخدم المسميات النطقية سعيا وراء بساطة العرض، وحتى تجعل الأمور واضحة
فإننا عندما نتكلم عن الملاحح الفونولوجية وليس الملاحح الصوتية سنستخدم الأقواس
التي على شكل // وليس الأقواس التي على شكل [] لتحيط بالمسميات النطقية "وما
ذكرناه لا يعد عرفا مشتركا لكنه يعمل على وضوح التصور ويفتح الباب لخيارات نظرية
معينة" لذلك فإنه بينما يمكن وصف الصوت الكلامي [P] بالرجوع إلى الجدول رقم 2
بالجموعة: " [+ شفوي] ، [+ شديد] ، [- مجهور] ، [- أنفي] " فإن الفونيم
الإنجليزي /P/ يفترض أنه يمكن تحليله إلى المجموعة " /+ شفوي/، /+ شديد/، -/
مجهور/".

وربما بدا لنا من الوهلة الأولى أننا لا نفعل أكثر من خدمة رمزية نستبدل خلالها
الأقواس // بالأقواس [] وندعي أن النتيجة فونولوجية بدلا من أن تكون صوتية، ومع
ذلك يجب أن نلاحظ أن ثلاثة ملاحح وليس أربعة ملاحح قد ذكرت بخصوص الفونيم
الإنجليزي /P/ كملاحح مميزة، ولا يوجد الملاحح الفونيمي /- أنفي/ المذكور للفونيم
/P/ وذلك لأن غياب الأنفية يمكن التنبؤ به في اللغة الإنجليزية "وليس في جميع
اللغات" من غياب الجهر، وتذكر /- أنفي/ للفونيم /b/ لشرح وظيفته المتميزة في
ban التي تقابل man وفي cub التي تقابل come.... إلخ، والوصف النطقي
ل[p] أيضا ناقص إلى حد بعيد "فهو ينحصر في الملاحح النطقية التي يشملها الجدول
رقم 2" وعموما فإن مجموعة الملاحح المميزة التي وتحدد الوحدة الصوتية وتمييزها ستكون
أقل بكثير من مجموعة الملاحح الصوتية التي تميز إحدى صورها الصوتية، فعلى سبيل
المثال للفونيم الإنجليزي /p/ صورة صوتية عبارة عن صوت

(126/1)

نفسه مهموس شفوي فموي شديد، وله وصف نطقي أتم من ذلك لا يشتمل على
الإشارة إلى نفسية فحسب ولكنه يشير أيضا إلى درجة اندفاع تيار الهواء بعد إعاقة
الشفتين له، وإلى مدة الإعاقة، وإلى مدة النفسية وإلى ملاحح أخرى عديدة تجعل منها
الصوت الإنجليزي المميز [ph] "بئر معين" في الموضوع الذي يذكر فيه، غير أنه لا
يوجد من بين تلك الملاحح الصوتية ملاحح مميز إلى الدرجة التي تؤدي إلى تغيير الإدراك

الصوتي لصيغة من الصيغ في اللغة الإنجليزية إلى الإدراك الصوتي لصيغة أخرى. وفيما يتعلق بالملامح الثلاثة التي تعرفنا عليها سلفا باعتبارها مكونات للفونيم /p/ وهي /+ شفوي/، وتكافئ [+ شفوي] وتميز نطق pin من نطق tin، و...kin. إلخ، و/+ شديد / وتميز pat عن fat "حيث إن اللغة الإنجليزية لا يوجد فيها صوت شفوي احتكاكي باستثناء الصور الصوتية للفونيم /p/ في مواضع أخرى، ولا يوجد فيها أصوات أسنانية لثوية شديدة ويمكن أن يعتبر المرء الفونيم /f/، والفونيم /v/ نظيرين احتكاكين للفونيم /p/ والفونيم /b/ وتميز tick عن sick و"thick"، و/- مجهور/ تبعا لوجهة النظر التقليدية ملمح يميز pin عن bin، و pat عن pad، ويمكن إثبات أنه الملمح الذي يميز /p/، و/t/، و/K/، و/s/، و/e/.. إلخ عن /b/، و/d/، و/g/، و/z/، و/o.... إلخ، ولا يتحدد في اللغة الإنجليزية بالهمس ولكن بشيء آخر يكون معه الهمس أو النفسية "أو كلاهما" مصاحبا صوتيا مألوفاً، وعلى كل حال ومهما كانت وجهة النظر التي تأخذ بها في هذه القضية تظل حقيقة أننا بحاجة إلى كل من /+ نفسي/، و/- جهر/ في تحليل الملامح المميزة للغة الإنجليزية.

(127/1)

وقد استخدمنا مصطلح "صورة صوتية" في التفسير الذي قدمناه الآن عن العلامة بين الوحدات الصوتية واللامح المميزة التي تتكون منها، وفكرة اختلاف الصور الصوتية تعالج -في الواقع- معالجة مختلفة إلى حد ما في إطار نظرية الملمح المميز لذلك فإن إمكانية تطبيق المصطلح ذاته مثار جدل، والنقطة الحاسمة في تحليل الملمح المميز للفونيمات أن كل فونيم يختلف عن غيره في النظام اللغوي بما لا يقل عن ملمح واحد -وجوداً أو عدماً- من مجموعة الملامح التي تحدده، ومجموعة الملامح المحددة الخاصة بالفونيمات تظل ثابتة خلال الإطار الكلي لمواضع ذكرها وما تشير إليه نظرية الفونيمات الأمريكية الكلاسيكية فيما يتعلق بتنوع الصور الصوتية تعالجه في إطار نظرية الملمح المميز "على الأخص في إطار النحو التوليدي" قوانين "تحول أصغر مجموعة فونولوجية كافية لتمييز كل وحدة صوتية عن غيرها إلى ملامح صوتية: /+ شفوي/ [+ شفوي]، و/+ مجهور/ [+ مجهور] ... إلخ" وتضاف الملامح الصوتية غير المميزة المناسبة سياقاً لمواضع معينة من ورودها، فعلى سبيل المثال الملمح الصوتي "+نفسى" يضاف إلى التحقق الصوتي الخاص بالفونيم الإنجليزي /P/ في موضع أول الكلمة

"وذلك كما في **pit** أو **por**" لكنه لا يضاف عندما يكون هذا الفونيم واقعا بعد **/S/**
"وذلك كما في **spit** أو **spot** والملمم الصوتي [- مجهور] يضاف إلى كل مواضع
ورودها.

وقد أصبح من الواضح في القسم السابق أن اللغات تختلف إلى حد بعيد فيما يتعلق
بالملاحم الصوتية التي تصنع التميز، وتلك التي لا تصنع التمييز "إذا كانت موجودة
بشكل من الأشكال"، ويظل هذا صحيحا بغض النظر عن النظرية الفونولوجية التي
تأسست هذه الفكرة في إطارها، ومما يعد أيضا برغم كل شيء حقيقة تجريبية أن [+
نفسى] ملامح مميز في اللغة الهندية واللغة

(128/1)

الصينية المندرينية¹، وأن حركات اللغة الفرنسية يمكن أن تكون أمامية ودائرية في آن
واحد، وأنه في لغات أسترالية كثيرة للغاية تكون الأنفية - وليس الجهر - ملامحا مميزا،
وتتميز وحدات صوتية أكثر مما تميزه في أي لغة أوروبية وهلم جرا، وسنلاحظ مع ذلك
أننا في كل مثال من هذه الأمثلة استخدمنا مصطلحات مثل "نفسى"، و"أمامى"،
و"خلفى"، و"أنفى"، وهذه المصطلحات تستخدم في وصف المئات ولا نقول الآلاف
من اللغات المنطوقة الأخرى، ونظرية الملمح المميز تلك لا يمكن أن تتناقض مع وجهة
النظر التي تذهب إلى أن عددا غير محدد من الملامح المميزة الممكنة تصنع منها النظم
اللغوية اختياراتها الخاصة المتفردة، وتربط هذه النظم بين هذه المكونات بطرق لا يمكن
الإخبار عنها حتى تقيم فونيماتنا الخاصة، غير أن الصياغات الحديثة لنظرية الملمح
المميز تتجه نحو افتراض تأييده شواهد مناسبة فاللغات الطبيعية الموجودة يمكن أن
توصف وصفا مرضيا اعتمادا على قائمة تزيد قليلا عن اثني عشر ملامحا مميزا موجودا
بالقوة بقدر ما تلقى نظمها الفونولوجية من اهتمام، وإنه لحقيقة مؤكدة أن تكون هناك
ملامح صوتية فسيولوجية كثيرة إلى حد بعيد لا تصنع تميزا - على حد علمنا - في
النظام الفونولوجي لأي لغة طبيعية، وتوجد روابط فسيولوجية كثيرة ممكنة بين الملامح
لكنها نادرة إلى حد بعيد أو غير موجودة على الإطلاق، وقد ذهب تشومسكي²

1 اللغة الصينية الرئيسية المنطوق بها في حوالي أربعة أخماس الصين.

2 أفرايم نوعم تشومسكي Avram Neam Chomsky؛ "1928" الأستاذ

بقسم اللغات الحديثة وعلم اللغة في " Massachusetts Technology of Institute وتعرف نظريته في البنية اللغوية، بالنحو التوليدي التحويلي، وتعد ثورة في علم اللغة أحدثها نشر كتابه Syntactic Strueture ثم كانت منشوراته الأساسية في الموضوعات اللغوية الفتية وتشمل كتابه الصادر عام 1964 Curent =Issues in linguistic theory

(129/1)

إلى أن ذلك سببه أن النظام الفونولوجي في اللغات الطبيعية -مثل النظامين النحوي والدلالي فيها- يقيد به بشدة النزوع الإنساني النوعي إلى التعامل مع أنواع معينة من المميزات دون غيرها "انظر 7 - 4".
ومن أكثر الفوائد الالافته للنظر في نظرية الملمح المميز إذا ما قورنت بعلم الفونيمات أنها تقدم تفسيراً معللاً للمبادئ التي تحدد صحة بنية تتابعات الفونيمات في إطار موسع من الأمثلة في لغات كثيرة، فعلى سبيل المثال يمكن أن تقع بين /s/ الذي يقع في بداية الكلمة 1 و/r/ الموجودة في الصيغة نفسها الفونيمات

= والكتاب الصادر عام 1965 "Aspects of the Theory of Syntax"، وأدخل هذا الأخير اتجاهها جديداً في النظرية التوليدية وصار وجهة النظر المعتمدة لسنوات عديدة، وصدر عام 1968 مؤلفه الرئيسي في الفونولوجيا "The Sound Pattern of English" بالاشتراك مع موريس هال "Morris Halle" ويتضمن كتابه Reflections on language الصادر عام 1976 أحدث ما وصل إليه.

وبحلول منتصف الستينيات أكد تشومسكي على دور اللغة كوسيلة استراتيجية لبحث العقل الإنساني، وناقش وجهة النظر هذه في كتابه اللغة والعقل الصادر عام 1968 وهو الجانب الذي جذب أوسع القراء -وبصفة خاصة الفلاسفة وعلماء النفس- إلى علم اللغة.

1 ويسمى الأولي أو الابتدائي "inital" ويشير إلى العنصر الأول من الوحدات الصوتية ويستخدم بصفة خاصة في الفونولوجيا فعلى سبيل المثال الوحدة الصوتية "الفونيم" /K/ يذكر في الموضع الابتدائي أو الأولي من الكلمة "cat"، والكلمة the

تذكر في الموضع الابتدائي أو الأولي من العبارة الاسمية "the big house" ويشار إلى المواضع الأخرى بالموضع المتوسط "medial" والموضع النهائي "Final" وتأخذ السمات اللغوية الأخرى التي تذكر في هذا الموضع مسميات مناسبة مثل النبر الأولي "initial stress" أي: النبر على المقطع الأول من كلمة ما.

(130/1)

الملاح المتقابلة /+ خلفية/ في مقابل /- خلفية/، و /+ مستديرة/ في مقابل /- مستديرة/، ولو أننا نحينا جانبا صيغ الكلمات التي لا تتوافق مع النمط العام "وهي تلك التي تكون غالبا مقترضة من لغات أخرى" فإنه يمكننا القول بأن كل الحركات في المواضع المتتابعة في الكلمة التركيبية يجب أن يكون لها قيمة واحدة فيما يتصل بالتقابل /+ خلفية/ وفيما يتصل بالتقابل /+ مستديرة/ "وفق شرط آخر يمنع تركيب /+ مستديرة/ مع الملمح القطعي /+ مفتوح/ في كل المقاطع الابتدائية"، وبغض النظر عن الطول الذي يمكن أن تمتد إليه الكلمة -وبفضل البنية النحوية للغة التركيبية نجد فيها صيغ كلمات كثيرة طويلة- تكون التقابلات /+ خلفية/، و /+ مستديرة/ تطريزية بالمعنى الذي أوضحناه من قبل.

والملاح التطريزية المميزة من ذلك النوع الذي ضربنا له مثالا الآن هو ما يطلق عليه النظرية التطريزية في الفونولوجيا وتشير -بمعنى خاص للمصطلح- إلى التطريزيات، وتميز النظرية التطريزية للفونولوجيا ما يعرف بمدرسة لندن اللغوية التي لديها الكثير لدرجة أنها تشارك نظرية الملمح المميز أكثر تطوراتها الحديثة، ومن سوء الحظ أن الاختلافات في المصطلح -ولا نذكر الاختلافات الخاصة بالاستشراف النظري فيما يتصل بالموضوعات الأعم- تعمل على إخفاء أوج الشبه، والاختلاف الأساسي بين نظرية الملمح المميز التقليدية والنظرية التطريزية أن الأولى ما زالت نظرية فونيمية أو قطعية مثل علم الفونيمات الأمريكي الكلاسيكي بينما تسمح النظرية التطريزية على الجانب الآخر بتواجد العناصر الصوتية "القطعية" والعناصر التطريزية "الموسيقية" وأن يكون لها مكانة متكافئة ومتكاملة في قوائم المحتويات الفونولوجية للنظم اللغوية، وأكثر من ذلك تدرك أنه على الرغم من وجود اتجاه "لأسباب

(132/1)

صوتية" لأن تصبح مكونات معينة قطعية وتطريزية معا فإن فكرة التطريزية ترتبط من حيث المبدأ بنظم لغوية معينة.

ومصطلح تطريزي يجب شرحه الآن وقد استخدم هنا بمعنى غير متفق عليه، ومعظم اللغويين إذا استخدموا مصطلح تطريزي بأي شكل من الأشكال فإنهم يستخدمونه ليشيروا إلى أشياء مثل النبر، والنغمة، والطول وهي أشياء تعد مشكلة في علم الفونيمات الأمريكي الكلاسيكي الذي يفترض أساسا أن بنية الكلمات والجمل يمكن أن تفسر تفسيراً تاماً بواسطة العناصر الفونولوجية المرتبة ترتيباً متسلسلاً: واختلاف النبر بين الصيغة الاسمية **import** والصيغة الفعلية **impoit** في اللغة الإنجليزية المنطوقة "الأول منبور المقطع الأول، والثاني منبور المقطع الثاني" لا يعالج بشكل طبيعي باعتباره اختلافاً بين فونيمين قطعيين، ويرجع ذلك إلى سببين مستقلين جزئياً أولهما أن النبر بصفة أساسية حالة من البروز الأعظم لمقطع فيما يتعلق بالمقاطع الأخرى في الصيغة نفسها "أو الصيغ المصاحبة لها" وثانيهما أن التحقق الصوتي للنبر - بخلاف التحقق الصوتي للفونيمات القطعية - لا يمكن أن يسبق أو يتلو "في الزمن" التحقق الصوتي للعناصر الفونولوجية المجاورة له، ويستطيع المرء بشكل واضح أن يمثل اختلاف النبر بين الصيغ تمثيلاً فونيمياً عن طريق وضع الفونيم المنبور المناظر قبل "أو بعد" الفونيم الحركة التي تناظر نواة المقطع في التحقق الصوتي، والنقطة الأساسية أنه على الرغم من أن التجزئة يمكن أن تنفذ دائماً في الفونولوجيا على أساس -إذا كان ضرورياً- من القرار العشوائي فإن عشوائية القرارات المفروضة على اللغوي في حالات كهذه هي في حد ذاتها دليل على عدم الكفاية النظرية للإطار الذي ينفذ من خلاله التحليل.

(133/1)

وما قيل عن النبر يقال كذلك عن النغمة وتوجد في لغات كثيرة "يطلق عليها اللغات النغمية" وتعمل على تمييز الصيغ بالطريقة التي يسلكها النبر مع أن ذلك ليس منتشراً إلى حد بعيد في اللغة الإنجليزية، وفيما يتعلق بالطول فيمكن أن تكون هناك صوامت طويلة وبالمثل يمكن أن تكون هناك حركات طويلة في لغات معينة، ويمكن أن يكون هناك اعتماد متبادل بين طول أحدهما وطول الآخر، وحتى في اللغة الإنجليزية "في النطق النموذجي لها" يختلف طول الحركات تبعاً لنوعية الصوامت التي تتلوها في المقطع نفسه،

وما يطلق عليه بشكل تقليدي الحركات الطويلة يحللها بعض الفونولوجيين دون غيرهم على أنها أيضا قطع قصيرة على المستوى الصوتي عندما يتلوها صوت شديد مهموس، وعليه فإن القطعة الحركة في **segment** أقصر من الناحية الصوتية من تلك الحركة التي في **sead** أو **see**، وفي الحقيقة يمكن أن تكون أقصر في تحققها الصوتي إذا ما قورنت بالحركة القصيرة على المستوى الفونولوجي في **sit** وهذه الحقيقة لا توضح فقط الاختلاف بين الطول الفونولوجي والمدة الصوتية لكنها تبين كذلك بشكل أعم تعقيد العلاقة بين التحليل الفونولوجي والكتابة الصوتية.

(134/1)

سادسا: البنية الفونولوجية

هنا قسم قصير إلى حد بعيد خصص لموضوع كبير إلى حد بعيد، وهدنة ببساطة شرح ما المقصود بالبنية في هذا السياق، والتأكيد على أن هناك -في التحليل الفونولوجي- ما هو أكثر من تأسيس قوائم محتويات من العناصر القطعية والتطريزية. وإذا أخذنا في اعتبارنا وجود قائمة محتويات من العناصر الفونولوجية للغة معينة فإن البنية الفونولوجية لهذه اللغة يمكن أن توصف من خلال العلاقات التي تربط بين العناصر نفسها والعلاقات -بأنواعها المختلفة- التي تربط بين مجموعات من العناصر الفونولوجية من جهة والتعقيدات الفونولوجية أو الصيغ أو الوحدات النحوية الأخرى الأكثر اتساعا من الجهة الأخرى.

وللعلاقات التي تربط بين العناصر نفسها نوعان يشار إليهما بصورة شائعة في التقليديّة السوسيرية بالعلاقات الأفقية، والعلاقات الرأسية، ويرتبط المصطلح الأول "العلاقات الأفقية" **syntagmatic** ارتباطا تأصيليا بـ **syntactice1** غير أنه لا يلتبس بها فهي لا تعني أكثر من تنظيمي، ونظرا لأن مصطلح علاقات رأسية

"**paradigmatic**" على الرغم من إمكانية شرحه شرحا تاريخيا وعلى الرغم من استخدامه استخداما واسعا إلا أنه من المحتمل أن يكون مضللا فسوف استخدم بدلا منه مصطلح "علاقات إحلالية"، وستكون ثنائيتنا -فيما عدا الموقف الذي نتناول فيه على وجه التخصيص بنائية سوسير- العلاقات الأفقية والعلاقات الإحلالية والعلاقات الأفقية هي التي تربط بين العناصر التي يمكن أن تذكر في تركيب مع غيرها في سلاسل "من الوحدات" صحيحة البنية، والعلاقات الإحلالية هي التي تربط بين مجموعات من

العناصر التي يمكن إحلالها إحلالا داخليا في أماكن معينة من سلاسل الوحدات، ومن إنجازات سوسير الرئيسية في هذا القرن - كما سنرى عند مناقشتنا للبنائية - أنه أوضح الاعتماد المتبادل بين العلاقات الأفقية والعلاقات الإحالية "انظر 7 - 2". والنظم اللغوية - كما رأينا - يمكن أن تختلف من الناحية الفونولوجية ليس في عدد العناصر الفونولوجية التي في قوائم محتوياتها فحسب "وفي التحقق

1 النظمي "الخاص بنظم الكلام".

(135/1)

الصوتي لهذه العناصر" لكنها تختلف أيضا من جهة العلاقات الأفقية التي تحدد صحة البنية الفونولوجية للتركيب المحتملة أي: سلاسل الوحدات الفونولوجية، ونحن نتكلم - لغرض التبسيط - كما لو كانت سلاسل الوحدات الفونولوجية يمكن أن تحدد بصورة مرضية كما لو كانت تتابعات من الفونيمات فنحن نعرف أنه ليس لكل الفونيمات أن تسبق أو تتلو كل الفونيمات الأخرى، فهناك تقييدات تنبع ذكر أفراد مجموعة من الفونيمات بعد أفراد مجموعة أخرى من الفونيمات، والقوانين التي تحدد صحة البنية الفونولوجية في لغات معينة يجب أن تذكر بالتفصيل هذه التقييدات، وبصورة أعم يجب أن يذكر بالتفصيل أي هذه العناصر يمكن أن توجد معا في سلاسل الوحدات صحيحة البنية وبأي طريقة يكون ذلك.

لكن ليس ذلك كل ما يصل بالوصف الفونولوجي، ومصطلح سلسلة وحدات الذي استخدمناه لتونا يحمل معه ضمنا أن هناك كيانات معينة أكبر - سلاسل الوحدات - تكون العناصر الفونولوجية أجزاء مكونة لها، والأمر كذلك بالتأكيد، والأكثر إثارة للجدل، ما إذا كان هناك في كل اللغات الطبيعية - أو في الواقع في أي لغة طبيعية - سلاسل فونولوجية بحتة مثل المقاطع "ولن نذكر عبارات فونولوجية"، ونحتاج إلى افتراضها حتى نصف البنية الفونولوجية موضع البحث، ومن الممكن تحديدها بدون الرجوع إلى البنية النحوية للغة، وإنه لأكثر سهولة أن لصوغ التقييدات التابعة التي تربط بين صوامت اللغة الإنجليزية من خلال مواضعها في المقاطع نفسها أو المقاطع المتتالية أكثر مما لو لم نشر - على الإطلاق - إلى المقاطع، غير أن هذا يفترض سلفا تعريفا نظريا مرضيا للمقاطع باعتبارها كيانات فونولوجية، ولا يزال اللغويون يفصلون

قدر الإمكان وتبعاً للضرورة بين المقاطع المفترضة وسلاسل الوحدات الفونولوجية البحتة الأخرى في بنية اللغة الإنجليزية واللغات الأخرى، ويمكن

(136/1)

بطبيعة الحال أن يظهر أن بعض اللغات لديها سلاسل وحدات فونولوجية بحتة وأخرى ليست لديها ذلك.

وهناك جدل قليل إلى حد بعيد في هذه الأيام حول ضرورة الإشارة إلى الوحدات النحوية في التحليل الفونولوجي للغات أو بعبارة حديثة حول دمج القوانين الفونولوجية مع القوانين النحوية الخاصة بالنظم اللغوية، وفي لغات طبيعية كثيرة -ومن المفترض سلف أن تكون فيها جميعاً- اعتمادات متبادلة بين المستويات بمختلف أنواعها والتي هي جزء من اللغة كالعلاقات الفونولوجية البحتة أو العلاقات النحوية البحتة، وقد أدمجنا في الواقع -بشكل مقنع- هذه الفكرة في التبعية الداخلية للمستويات في الأقسام الأولى من هذا الكتاب "أي: فيما يتعلق بالسلاسل الفونولوجية التي هي أيضاً وحدات نحوية - تحت الافتراضات الموضحة في 2 - 6" إلا أننا أشرنا مراراً وتكراراً إلى موضع الفونيمات في أول الكلمة وفي أوسطها وفي آخرها ... إلخ، والكلمات تكون بمثابة الأصناف الفرعية للصيغ.

والاعتماد المتبادل بين النحو والفونولوجيا أشمل بكثير -على كل حال- من أي شيء نكون قد عرضناه من قبل، وهناك ظواهر الاتصال وذلك مثل ما يشار إليه تقليدياً في اللغة الفرنسية بالوصل "Liaison" ومن الضروري لوصفها ألا نشير إلى حدود الكلمات فحسب ولكن أيضاً إلى العلاقات النحوية -إن وجدت- التي تربط بينها عبر حدود الكلمة وذلك مثل وجود "z" في [Lezem] hommes Les 1؛ وفي "gelezevy" les 2ai vu z في مقابل غيابها في [denleamari] donne - les 3aMarie؛ وكثير

1 الرجال.

2 رأيتهم.

3 أعطها لماري.

(137/1)

من الظواهر في الجزء غير الكلامي من اللغات المنطوقة الذي تشير إليه بالجزء التطريزي "انظر 1 - 5" ويكون فيه النبر والتنغيم على قدر كبير من الأهمية لا يمكن تفسيرها تفسيراً مناسباً ما لم يكن مجالها محددًا على المستوى النحوي، وتعد هذه الظواهر ظواهر فونولوجية أيضاً حيث تشتمل الظواهر الفونولوجية على المكونات التطريزية والمكونات القطعية في النظام اللغوي، وكما رأينا وإلى الحد الذي لا ترتبط فيه المكونات التطريزية باللغة المكتوبة يكون عدم تطابق اللغتين المكتوبة والمنطوقة، ومن الواضح الآن أنه بقدر وجود مميزات فونولوجية ذات ارتباط بالدلالة والنحو لا يمكن تحويلها إلى وسيلة مكتوبة تختلف بالضرورة اللغة المنطوقة عن الكتابة المناظرة لها على المستويين الدلالي والنحوي.

(138/1)

الفصل الرابع: النحو

أولاً: النحو، والتصريف، والصرف

أول ما يجب قوله في هذا الفصل إن مصطلح نحو "grammar" سوف يستخدم هنا وخلال هذا الكتاب "باستثناء عبارتين: "النحو التقليدي"، "والنحو التوليدي" بمعنى ضيق إلى حد ما يقابل "الفونولوجيا" من ناحية و"الدلالة" من ناحية أخرى، وهو أحد معانيه التقليدية وأوثقها صلة بالمعنى المعتاد للوصف منه "نحوي" "grammatical" ويدرج كثير من اللغويين مصطلح "فونولوجيا" وحتى مصطلح "دلالة" تحت مصطلح "نحو" "grammar" وهو ما يمكن أن يؤدي إلى الالتباس.

1 النحو "grammar" أحد المصطلحات الأساسية في علم اللغة ويغطي مجالا واسعا من الظواهر اللغوية، ويمكن أن نميز أنواعا عديدة من النحو فهناك النحو الوصفي "descriptiv grammar"، والنحو النظري "theoretical grammar" والنحو السطحي "surface grammar"، والنحو العميق "deep grammar"، والنحو الشكلي "formal grammar"، والنحو الفكري "notional grammar" والنحو المقارن "comparative grammar"، والنحو التقليدي "traditional grammar" ويشير مصطلح نحو "grammar" في معنى ضيق له إلى مستوى من التنظيم البنوي يمكن دراسته

بصورة مستقلة عن الفونولوجيا "Phonology" وعن الدلالة "semantica" ويتقدم بشكل عام إلى نظم الجملة "syntax" والصرف "morphology".

(139/1)

وحتى الآن كان تعاملنا مع الافتراض الذي يذهب إلى أن اللغات لها مستويان للبنية: الفونولوجيا ونظم الجملة، وهذا الافتراض ستتخلى عنه فيما بعد، لكن ذلك في حاجة إلى تعديل ما لم تكن على استعداد لأن نوسع تصورنا عن الفونولوجيا وأن نمد مصطلح "نظم الجملة" وراء التفسير التقليدي له، وما رأيانه من قبل من أنه في بعض اللغات الطبيعية -ومن المفترض أن يكون فيها جميعا- اعتماد متبادل فيما بين المستويات يجعل من المستحيل الفصل الصارم بين البنية الفونولوجية والبنية النظمية، وسنرى الآن أنه في لغات معينة على الأقل توجد فجوة بين نظم الجملة "بما هو مفهوم من المصطلح "syntax" بشكل تقليدي" والفونولوجيا، وهذه الفجوة يسدها في النحو التقليدي مصطلح التصريف "1.

وتفترض كل المعاجم الأوروبية المعيارية القديمة منها والحديثة سلفا اختلافا بين نظم الجملة "3 syntax" والتصريف "inflection" وهو ما تفعله

1 على عكس ما تتضمنه كثير من الكتب الأساسية في علم اللغة فإن التصريف "inflection" وليس الصرف "morphology" هو المقابل لنظم الجملة في النحو التقليدي، ومصطلح صرف "morphology" ليس حديث النشأة نسبيا فحسب ولكنه عندما يوضع في مقابل نظم الجملة "ayntax" خصوصا إذا عرفناه من خلال المصطلح الأحدث "الوحدة الصوتية" "morpheme" فإن استخدامه يتضمن وجهة نظر تقليدية إلى حد بعيد في البنية النحوية للغات، والنحو التقليدي - على الرغم من عيوبه القاطعة - ليس مخطئا بالضرورة في هذه النقطة بعينها، وتعد وجهة النظر التقليدية المصوغة صياغة واضحة والمشروحة شرحا مناسباً اختياراً مرضياً مطروحا من قبل اللغويين، "المؤلف".

2 نظم الجملة "syntax" مصطلح تقليدي يستخدم للإشارة إلى دراسة القواعد التي تحكم طريقة تركيب الكلمات لتكوين الجمل في لغة من اللغات، ويقابل هذا المصطلح بهذا المعنى الصرف أو المورفولوجيا "morphology" وهي دراسة بنية الكلمة،

ويمكن تعريف هذا المصطلح كذلك بأنه دراسة العلاقات الداخلية بين عناصر بنية الجملة، ودراسة القواعد التي تحكم ترتيب الجمل في تنابعات.

(140/1)

أيضا الطريقة التي تعلمنا جميعا أن نتكلم بها عن اللغة في المدرسة، ومهما كان مصطلحا "نظم الجملة" و"التصريف" جديدين بالنسبة لنا فإن فيهما معنى نعرف جميعا من خلاله ماذا يعينان، وقد اعتدنا على التعامل مع مصطلح "كلمة واستخدامها" - كما هو الواقع في النحو التقليدي - للدلالة على معنيين مختلفين تماما يعتمدان في النهاية على فهمنا العملي لما يقع في إطار مصطلح "التصريف" ولنبدأ إذن بمصطلح "كلمة".

كم كلمة في اللغة الإنجليزية؟ هذا السؤال ملبس، وتبعاً لأحد تفسيريْن تعد **sing**، و **sings**، و **singing**، و **sang**، و **sung** كلمات مختلفة، وتبعاً للتفسير الثاني تعتبر صيغا مختلفة لكلمة واحدة هي "**sing**" وعندما نتكلم بشكل عام إذا ما أثير السؤال عن عدد الكلمات الموجودة في معجم معين فإننا نأخذ مصطلح "كلمة" بالمعنى الثاني، أما إذا طلب منا كتابة مقال من ألفي كلمة في موضوع ما فإننا نأخذ المصطلح بالمعنى الأول وأكثر من ذلك تحسب الكلمة إذا تكررت مواضعها بعدد مرات تكرارها. ولندخل الآن بعض المصطلحات التي يمكننا استخدامها عند الضرورة حتى نحافظ على الحدود الفاصلة بين دلالاتي مصطلح "كلمة" وسنقول إن **sing**، و **sings**، و **sang** ... إلخ صيغ كلمات "أي: إنها صيغ وهي أيضا كلمات"، وقد استخدمنا مصطلح "صيغة كلمة" في الأقسام السابقة، وسنقول إن **sing** لاحظ أنها تكتب بالحروف العمودية لا المائلة هي المفردة، ولهذا المفردة صيغ عديدة هي: **sing**، و **sings**، و **sang**

(141/1)

.. إلخ وهي في الحقيقة ما يمكن أن نصفه تقليديا بالصيغ التصريفية، لكن **Sing** تشغل موضعاً متميزاً بين الصيغ الأخرى فهي الصيغة الاستشهادية المعيارية وهي أيضاً ما يعده كثير من اللغويين الصيغة الأساسية والتمييز بين الصيغة الاستشهادية والصيغة الأساسية لا يقل أهمية عن التمييز بين إحداها والمفردة نفسها، والصيغة الاستشهادية

للمفردة هي الصيغة المستخدمة للإشارة إلى المفردة، وهي أيضًا الصيغة المستخدمة في وضع القائمة الألفبائية للمفردات في معجم تقليدي، والصيغة الأساسية هي الصيغة التي يمكن أن تؤخذ منها كل الصيغ الأخرى الخاصة بالمفردة وفق القوانين الصرفية في اللغة، وهي الصيغة المميزة للصيغة الأساسية -بقدر ما تلقى الأفعال من اهتمام- في اللغات الفرنسية، والألمانية، والروسية، ومعظم اللغات الأوروبية الحديثة، وجميع الأفعال ومعظم الأسماء والصفات في اللغتين اللاتينية والإغريقية. ونستطيع أن نشير إلى المفردات مثلما نستطيع أن نشير إلى أي صيغة من صيغها، ونحن -في الواقع- نفعل ذلك، وسنواصل عملنا هذا عادة بالحروف المائلة "بدون الأقواس < >، انظر 3 - 2"، وأحيانًا بالرموز الصوتية أو الفونيمية خلال هذا الكتاب، ويمكن أن تختلف الصيغ نفسها في جوانب معينة تبعًا للسياق الذي تذكر فيه، وتحدد القوانين الفونولوجية درجة اختلافها الصوتي يستخدمها اللغويون بصورة متكررة وعلى الأخص علماء الأصوات فيما يتصل بالصيغ الاستشهادية الخاصة بالصيغ المتغيرة من الناحية الصوتية، فعلى سبيل المثال الكلمتان: **Come** و **Came** كلتاهما "صيغتان للمفردة **Come**" تنطق بصوت شفوي أنفي [m] في الموضع الأخير من صيغتهما الاستشهاديتين على الرغم من أن هذا الصوت قد يكون شفويًا أسنانيًا أنفيًا [m]-في الاستخدام العادي- إذا وقع مباشرة قبل صامت شفوي أسناني آخر مثل [f] أو [v].

(142/1)

ويعد هذا النوع من التغير دون الفونيمي حيث إن الشفوية في مقابل الشفوية الأسنانية لا تعد من التقابلات المميزة من الناحية الفونولوجية في اللغة الإنجليزية لكن هناك أيضًا قدرًا معينًا من التغير المحدد سياقيًا الواقع في إطار علم الفونيمات الأمريكي الكلاسيكي يقال إنه يشمل إبدال فونيم بآخر، وفي كلتا الحالتين من الشائع هذه الأيام خصوصًا في الفونولوجيا التوليدية الحديث على اشتقاق أو توليد كل الصيغ المتغيرة من الناحية الصوتية من الصيغة العميقة المشتركة التي إما تتطابق مع الصيغة الاستشهادية للصيغة المتغيرة من الناحية الصوتية موضع البحث أو تكون أكثر شبهًا بها من أي تنوعات صوتية أخرى.

وعلى أساس التمييز بين المفردة "الكلمة المفردة بشكل أكثر وضوحًا" وصيغها نستطيع

الآن أن نصوغ المميز التقليدي بين نظم الجملة والتصريف¹، فالنحو والتصريف متكاملان ويشكلان معًا الجانب الرئيسي مما يسمى بالنحو "Grammar" إن لم يكن النحو بأكمله، كما أنهما يحددان معًا الصواب النحوي "صحة البنية النحوية" للجملة، فنظم الجملة يوضح كيفية ارتباط المفردات الواحدة بالأخرى في أبنية معينة، والقوانين التصريفية "بقدر ما يكون النحو التقليدي من قوانين أكثر من جداول تصريفية" توضع أي صيغ المفردة ينبغي أن ترد في تركيب دون آخر، ويتوسط النحو والتصريف مستوى "أو دون المستوى" يستخدم المرء في الوصف الموجود فيه عبارات

1 التصريف "Inflection"، مصطلح يستخدم في المورفولوجيا يشير إلى عملية الاشتقاق التي تتعلق بصياغة الكلمة أو الفصيصة النحوية، وهو ما يشير إليه مصطلح "Accidence" في الدراسات النحوية التقليدية ويعني التغير في الصيغة.

(143/1)

مثل "المفرد الغائب"، وصيغة الزمن المضارع للمفردة **Sing**، والملكية بصيغة الأفراد للمفردة **Boy** وقد أدخلت عن عمد في هذه النقطة كتابة رمزية متاحة للمفردات "أي: الكتابة بالحروف الكبيرة العمودية" وهذه الكتابة الرمزية مستخدمة في أعمال حديثة عديدة أي: إن **Sing**، **SING** "الكتابة بالحروف الكبيرة العمودية" شكلان رمزيان مختلفان لكيان واحد¹.

والفارق الحديث "وبالأخص في البلومفيلدية المتأخرة" بين نظم الجملة والصرف أن نظم الجملة يتناول توزيع الكلمات "أي: صيغ الكلمات" ويتنازل الصرف البنية النحوية الداخلية لها، ويبدو هذا الفارق من الوهلة الأولى شبيها إلى حد بعيد بالفارق التقليدي بين نظم الجملة والتصريف لكنه يختلف عنه من ناحيتين أولاهما أن الصرف لا يشمل التصريف وحده ولكنه يشمل الاشتقاق أيضًا، وثانيهما أن الصرف يتناول التصريف والاشتقاق كليهما عن طريق قوانين تجري على الوحدات الأساسية نفسها –الوحدات الصرفية "المورفيمات" – فعلى سبيل المثال مثلما تتركب الصيغة التصريفية **Singing** من وحدتين أساسيتين "من المورفيمات" **Sing**، **Ing** فإن الصيغة الاشتقاقية **Singer** تتركب أيضًا من وحدتين أساسيتين **Sing** و **er** وأكثر من ذلك فإنها العملية الإلحاقية نفسها أي: إضافة اللاحقة إلى الصيغة الأساسية في كلتا

1 والكلام على نحو دقيق أنها ليست الكلمات التي هي بمعنى المفردات ولا الكلمات التي بمعنى صيغ الكلمات ولها توزيع تفسره القوانين النظامية في النحو التقليدي ولكن الكلمات بمعنى الكيانات الوسيطة أي: الكلمات التنظيمية الصرفية، غير أننا لسنا بحاجة إلى الاهتمام في هذا الكتاب بتهديب إضافي كهذا "انظر: 1974 matthewe، المؤلف.

(144/1)

الحالتين وتعد الوحدات الصرفية "المورفيمات" من وجهة النظر هذه الصيغ الأدني وتعد وحدات أساسية للبنية النحوية، ويمكن أن يقع قدر كبير من الصرف في مجال نظم الجملة عن طريق زحزحة الكلمة من مكانها التقليدي محور النظرية النحوية. وهناك جدل حول تفضيل النحو المؤسس على المورفيمات فهناك من يؤيد وهناك من يعارض، وينطبق الكلام نفسه على النحو الأكثر تقليدية للمؤسس على الكلمة، والمشكلة في الجمع بين إيجابياتهما داخل نظرية متماسكة وأكثر حركية من نواح أخرى تتعلق بالبنية النحوية للغات الإنسانية، ويسير في هذا الاتجاه التقدم العظيم الذي تم إنجازه في العشرين سنة الماضية الذي لا يقارن به ما حدث في التاريخ الطويل لعلم اللغة، ومعظم هذا التقدم يمكن أن يعزى بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر إلى تشكيل نظرية معينة في نظم الجملة في إطار النحو التوليدي الذي أخرجه تشومسكي، وسيقال الكثير عن هذا الأخير، ويكفي هنا أن نذكر أنه على الرغم من أن نظرية تشومسكي في نظم الجملة مبنية على المورفيم أكثر من أن تكون مبنية على الكلمة إلا أنها تبنت في تطورها الأحداث وجهة نظر أكثر تقليدية في تكامل نظم الجملة والتصريف مما تبنته في صورها الأولى، وتعالج الآن -على الأخص- الصرف الاشتقاقي كشيء لا يعالجه الجزء النظمي الرئيسي من النحو لكنه يرتبط ببنية المفردات "أو المعجم"1، ومهما كانت نظرية النحو التي تتعامل

1 المعجم، "Iexicon" ويترادف هذا المصطلح مع مصطلح المفردات "Vocabulary"، ولهذا المصطلح مكانه خاصة في النحو التوليدي حيث يشير إلى

المكون الذي يشمل كل المعلومات عن الخصائص البنوية للألفاظ المعجمية في لغة ما أي: خصائصها الدلالية والنحوية والفونولوجية.

(145/1)

معها الآن فإنه من الواضح أننا لا نستطيع القول ببساطة - كما قلنا في شرحنا السابق لمبدأ الازدواجية- إن وحدات المستوى الرئيسي تتركب من عناصر المستوى الثانوي "1 - 5"، والعلاقة بين المستويين أكثر تعقيداً مما يوحي به هذا الشرح، ومع ذلك فإن هذا التعقيد محكوم بقانون، وأكثر من ذلك فإنه على الرغم من الاختلافات الجديرة بالاعتبار إلى حد بعيد في البنية الفونولوجية والنحوية في اللغات الإنسانية فإن هناك تشابهات واضحة فيها على حد سواء توحى على الأقل ببعض القوانين التي تحدد كلا المستويين وتدمجهما معاً، وهذه القوانين التي يستطيع الأطفال السيطرة عليها في فترة قصيرة نسبياً أثناء اكتساب اللغة تعد قاسماً مشتركاً بين اللغات الإنسانية كلها.

(146/1)

ثانياً: الصواب النحوي والإنتاجية والاعتباطية
الجملة حسب التعريف صحيحة نحويًا "أي: صحيحة البنية النحوية"1، ويمكن أن نعتبرها -لأغراضنا الحالية- سلاسل من الكلمات صحيحة البنية "أي: تنابعت" وذلك مثل:

1- this morning he got up late.

2- He got up late this morning.

فيما تبعاً للتعريف جملتان مختلفتان في اللغة الإنجليزية، ومن جهة نظر أهم وأكثر تقليدية من الناحية النظرية يمكن أن نعرف الجمل كأصناف من سلاسل صيغ الكلمات كل عضو في صنف له البنية النظامية نفسها، ويسمح لنا هذا التعريف -لكنه لا يجبرنا- بأن نتعامل مع "1"، و"2" كصورتين لجملة واحدة وليستا جملتين مختلفتين.

ويجب أن نتذكر أن لكل جملة في اللغة المنطوقة منحنى تطريزي متميز مركب على سلسلة صيغ الكلمات "وبصفة خاصة نمط تنغمي معين"، وبدون هذا المنحنى التطريزي لا تكون جملة، وثمة خلاف في علم اللغة حول المدى الذي تنتسب فيه البنية التطريزية

للأقوال المنطوقة إلى بنية الجمل، ويذهب معظم اللغويين إلى أن جانب البنية التطريزية الذي يميز -على الأقل- الأخبار عن الأسئلة والأوامر يجب أن ينتسب إلى بنية الجملة، وهي وجهة نظر سنقبل بها ضمناً، وتؤدي إلى فتح باب الاحتمالات أمام تناظر "1"، و"2" ليس مع جمل مفردة، ولكن مع مجموعات من الجمل المختلفة في اللغة الإنجليزية المنطوقة، ويتبع ذلك أنه -من وجهة النظر التي ذكرتها

1 الصحة النحوية **grammaticality** مصطلح يشير في علم اللغة إلى توافق جملة ما "أو جزء من جملة ما" مع قوانين نظام نحوي خاص بلغة معينة، والعلامة النجمية التي تقع قبل الجملة تشير بشكل عام إلى أن هذه الجملة غير متوافقة مع قوانين النظام النحوي الخاص باللغة التي تقع فيها، بيد أن الحكم بتوافق جملة ما أو عدم توافقها مع النظام النحوي للغة لا يكون سهلاً دائماً فقد يختلف المتكلمون الأصليون في أحكامهم، والمصطلح البديل للصحة النحوية **grammatical** هو صحة الصياغة **"well - formed"** ويقابل اختلال الصياغة **"ill formed"** ولا تتعلق هذه الأحكام بمعنى الجملة أو بقبولها أو عدم قبولها في المجتمع فقد تكون الجملة صحيحة من الناحية النحوية "أو متوافقة مع النظام النحوي للغة أو صحيحة الصياغة" لكنها غير ذات معنى وذلك كما في مثال تشومسكي الشهير:

Colourless green idess aleep furiously.

وقد تكون الجملة الصحيحة من الناحية النحوية لكنها لا تلقى القبول لسبب أو لآخر.

(147/1)

في الفقرة السابقة- إذا أعطينا الاختلاف في رتبة الكلمة 1 والاختلاف في المنحنى التطريزي الأهمية نفسها باعتبارهما مؤشرين كامنين للبنية النحوية فإن الاختلاف بين صورتين متميزتين من حيث التنعيم للجملة "1" أو "2" يؤخذ في الاعتبار من حيث المبدأ بقدر الاختلاف بين "1"، أو "2"، ويجب أن تتولد هذه النقطة في الذهن حتى لو كنا نتحدث في أكثر هذا الكتاب كما لو أن الجمل في اللغات المنطوقة تصور بشكل مرض على أنها سلاسل من الكلمات.

ما الفرق بين سلسلة من الكلمات صحيحة نحويًا وأخرى غير صحيحة نحويًا؟ الإجابة بسيطة لكنها غير واضحة في حد ذاتها، فسلسلة الكلمات غير الصحيحة نحويًا تركيب

لم تراعى فيه القوانين النحوية للنظام اللغوي، ولا ينطبق هذا الكلام على الجمل وحدها وإنما ينطبق أيضا على أجزائها فعلى سبيل المثال: **late got morning this***
up* غير صحيحتين من الناحية النحوية "ومن هنا كانت العلامة النجمية انظر 2 - 6"، ولنرى ما يتضمنه هذا الكلام، وأيضا - بما لا يقل أهمية - ما لا يتضمنه بقدر ما تلقى الجمل اهتمام.

إنه لا يتضمن بطبيعة الحال موقفا معياريا تجاه اللغة أي: إننا نعني بالقوانين الداخلية التي يطبقها المتكلمون الأصليون بلا وعي مع إهمالنا لأي مانع

1 رتبة الكلمات "**order - word**" مصطلح يستخدم في التحليل النحوي ليشير إلى الترتيب التتابعي للكلمات في وحدات لغوية أوسع، وتعتمد بعض اللغات "مثل اللغة الإنجليزية" على رتبة الكلمة كوسيلة للتعبير عن العلاقات النحوية داخل الأبنية، وفي لغات أخرى مثل اللغة اللاتينية واللغة العربية نجد ترتيب الكلمات أكثر مرونة إذ إن العلاقات النحوية يشار إليها في اللغة اللاتينية عن طريق التصريفات وفي اللغة العربية عن طريق علامات الإعراب.

(148/1)

لا يتصل باللغة، ولأي عامل من عوامل التشويه، ولا يتضمن أي ارتباط مباشر بين الصحة النحوية الأخرى وإمكانية الحدوث¹، وأخيرا لا يتضمن أي تطابق بين الصواب النحوي للجمل وإفادة المعنى، ويسمح لنا من الناحية الأخرى بإمكانية وجود ارتباط وثيق وجوهري على الأقل بين بعض جوانب الصواب النحوي للجمل وإفادة المعنى للأقوال الموجودة بالفعل أو الموجودة بالقوة.

والطريقة التي تحمل اللغات الطبيعية بها المعنى بأنواعه المختلفة ستشغلنا تماما في الفصل الخامس، والنقطة التي نثيرها ببساطة أنه مهما كانت العلاقة التي تربط بين الصواب النحوي وإفادة المعنى فإن هاتين الصفتين يجب أن نميز بينهما، ومثال تشومسكي المشهور الآن:

1 أو إمكانية القبول "**acceptability**" هو ذلك المجال الذي يحكم عليه المتكلمون الأصليون باحتماليته في لغتهم، والقول الممكن قبوله هو ذلك القول الجائز

أو المعتاد، وقد يكون الحكم بإمكانية قول ما مخفوف بالمصاعب فمن المعتاد ألا يتفق المتكلمون الأصليون حول ما إذا كان قول ما معتادا أو حتى محتملا وأحد الأسباب التي تكون وراء ذلك أن الحدس "intuition" يختلف من متكلم إلى آخر بسبب التباين في الخلفيات الاجتماعية، والإقليمية، والسن، والاستحسان الشخصي وهلم جرا، وقد يكون قول ما معتادا في لهجة لكنه غير مقبول في لهجة أخرى، وكثير منها يعتمد على ما شب الناس على اعتقاد صحته أو خطئه، وقد يكون قول ما في لهجة واحدة مقبولا في سياق معين وغير مقبول في سياق آخر، ويخترع علم اللغة وسائل فنية عديدة لقياس إمكانية قبول المعلومات اللغوية وتأخذ عادة شكل التجارب التي يسأل من خلالها المتكلم الوطني أن يقيم مجموعات من الأقوال يحوم الشك حول قبولها ومن الأهمية أن يكون لدينا وسائل فنية متفق عليها نحكم بها على إمكانية القبول، ويميز القول غير المقبول بالعلامة، النجمية* أو علامة الاستفهام اللتين تتصدران القول وهو ما يميز الجملة غير الصحيحة نحويا كذلك.

(149/1)

3-1. Colourless green ideas sleep furiously

جملة إنجليزية صحيحة التركيب على الرغم من أنها لا تستطيع أن تقدم تفسيراً موضوعياً متماسكا وبالعكس:

4-2* late got tjis moruing he up

مثال - بلا شك - غير نحوي على الرغم من إمكانية إثبات أنه لا يقل سهولة في إمكانية التفسير من "1"، و"2"، وقد تسامحنا هذه المرة في تحطيم القوانين الخاصة باللغة الإنجليزية التي تحكم مواضع الكلمات بأصنافها المختلفة في صلاتها الواحدة منها بالأخرى في الجمل، وهنا حيل كثيرة غير محدودة خلاف تلك التي مثلنا لها ب"3"، و"4"، وهناك - بلا شك - مناطق اعتماد متبادلة بين الصحة النحوية وإفادة المعنى وهي مناطق واسعة إلى حد بعيد وممتعة نظريا، غير أن هاتين الصفتين غير متطابقتين في الجمل.

ولا يعطي النحو التقليدي سوى تفسير جزئي إلى حد بعيد وغالبا ما يكون غير واضح للصواب النحوي، وقد نجح في تأسيس كثير من المبادئ الأكثر دقة التي لا يزال اللغويون يتعاملون معها، وفيما يتصل بلغات معينة مدروسة جيدا صنف عددا ضخما

من التراكيب النحوية المختلفة بالإضافة إلى ذكره عددا ضخما مماثلا من الحقائق المتباينة التي تقع خارج مجال قوانين النظام اللغوي هذه على الرغم من أنه يجب أن يقرأ الاستخدام ومن ثم تكون بمعنى من المعاني نحوية، وقد بدت النظرية النحوية الحديثة أوضح وأشمل -على الأخص فيما يتصل بصياغة القوانين النظامية للنظم اللغوية- مما كان يطمح

1 الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام بشكل هائج.

2 هذه الكلمات غير مرتبة الترتيب الصحيح والمفروض أنها تعني أنه استيقظ هذا الصباح متأخرا.

(150/1)

إليه النحو التقليدي، وأحد أسباب ذلك أنه نظرا لأن اللغة اللاتينية واللغة الإغريقية لغتان تصريفتان بدرجة عالية، وأن معظم ما بعد بوضوح صوابا نحويا يمكن أن يعرض بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال الفصائل التصريفية "الجنس" من حيث التذكير والتأنيث، "والعدد" في النحو "والحالة" في النحو، والزمن، وصيغة "الأفعال" ... إلخ، وأن النحو كما يفسر تقليديا منحاز انحياز شديدا إلى دراسة التصريفات، فمن ثم لم يكن غريبا الاعتقاد بأن اللغات غير التصريفية مثل اللغة الصينية الكلاسيكية ليس لها نحو، وأن اللغة الإنجليزية التي لها صرف تصريفي قليل نسبيا لها نحو أقل مما للغتين اللاتينية والإغريقية أو حتى اللغتين الفرنسية والألمانية، النظرية النحوية الحديثة تتعامل مع مفهوم "النحو" الذي لا ينحاز إلى اللغات التصريفية.

والسبب الآخر وراء فشل النحو التقليدي بل حتى عدم محاولته تقديم تفسير شامل وواضح تماما لنظم الجملة في اللغات التي تناو لها كانت فكرة أن الكثير من نظم الجملة يلزم أن يحدده صراحة أو ضمنا الإدراك العام أو -باستخدام مصطلح أكثر فخامة- قواعد التفكير، فحقيقة أن المرء يقول في اللغة الإنجليزية:

He got up late this morning أو this morning he got up late

morning ولا يقول late got this morning he up * لا تحتاج إلى

تفسير آخر سوى أن ترتيب الكلمات يعكس ترتيب الفكر، وهذه الفكرة تصبح صعبة أكثر فأكثر عندما تبحث بجديّة عينة واسعة -بما فيه الكفاية- تمثل لغات العالم، فرتبة

الكلمة- في إطار القبود - مجال واسع إلى حد بعيد للتنوع الأسلوبي في اللغتين اللاتينية والإغريقية، وتوجد لغات كثيرة.

(151/1)

من بينها اللغة الإنجليزية يكون فيها الدور الأسلوبي لرتبة الكلمة أقل أهمية بينما تكون وظيفتها النظامية أكثر أهمية بشكل تناسبي.

ويمكن أن نضرب مثالا جيدا بشكل واضح لوجهة النظر التي تذهب إلى أن التنوع الأسلوبي الخاص بترتيب الكلمات كما مثلنا في "1"، و"2" تحدده العوامل السيكلوجية والأسس المنطقية التي يمكن أن يشار إليها بشكل فضفاض باعتبارها قواعد للتفكير، لكن كيف نفسر حقيقة تقدم المسند إليه على المسند "الفعل" في الجمل الخبرية المحيدة من الناحية الأسلوبية في اللغة الإنجليزية بينما يأتي الفعل في المقدمة في الجمل المشابهة في اللغة الأيرلندية؟ أو مرة أخرى كيف نفسر حقيقة أنه في التعبير الاسمية تسبق الصفات عادة الأسماء في اللغة الإنجليزية "red coat" لكن في اللغة الفرنسية تأتي معظم الصفات عادة بعد الأسماء "manieau rouge". ولم تصمد طويلا التفسيرات الشوفينية التي ترى أن ترتيبا معيناً للكلمات أكثر اتفاقاً مع قواعد التفكير من غيره، وبالتالي فإن لغة أمة من الأمم أكثر منطقية من غيرها، ولم تصدم كذلك طويلا الافتراضات الأكثر إفراطاً التي تذهب إلى أن كل أمة لها منطقها الخاص الذي قد يختلف عن منطق الأمم الأخرى وأن منطق أمة معينة تحدده أسس رتبة الكلمة الموظفة من الناحية النظامية في لغة قومية معينة، وإذا طلب من رجل إنجليزي ورجل فرنسي أن يصف معطفاً أحمر هل يفكر الأول أولاً أن هذا الشيء أحمر ثم يفكر في أن هذا الشيء الأحمر معطف، وهل يجري الرجل للفرنسي هاتين العمليتين العقليتين بطريقة معاكسة؟ هذا أمر يبدو بعيد الاحتمال.

ورتبة الكلمة ذات الوظيفة النظامية جانب من جوانب عديدة من البنية النحوية الاعتبارية إلى حد ما أي لا يمكن تفسيرها من خلال مبادئ سيكلوجية ومنطقية أعم "انظر 1 - 5".

(152/1)

وأكثر من ذلك فإن الطفل الصغير في السياق المعتاد لاكتساب اللغة ينجح في تعلم - دون تعليم- القوانين النحوية للغته الأم، والأكثر إثارة أن اللغات الطبيعية تتصف كذلك -بفضل بنيتها النحوية- بخاصة الإنتاجية "انظر 1 - 5"، والمهمة التي تواجه الطفل أثناء فترة اكتساب اللغة هي استنتاج تلك الأسس النحوية الاعتبارية من عينة ضخمة -لكنها محدودة- من الأقوال، وتكون مجموعة غير محدودة- وربما كانت لا نهائية- من سلاسل الكلمات بفضل هذه الأسس جملا صحيحة التركيب، وتكون مجموعة أخرى حتى لو كانت أكثر اتساعا قليلة التركيب.

ويعد تشومسكي أول من قدر أهمية سيطرة الطفل على المحددات النظامية للصواب النحوي وكان ذلك في منتصف الخمسينات، وهو الذي قدم أيضا ما يمكن إثبات أنه أكثر النظريات تأثيرا في نظم الجملة في كل مراحل تطور علم اللغة قديما وحديثا حتى الآن، وقد صيغ نظم الجملة التشومسكي في إطار النحو التوليدي وبصفة خاصة في أحدث صوره، ويدمج نظم الجملة التشومسكي نظم الجملة مع الفونولوجيا والدلالة في نظرية شاملة لبنية اللغة، ولا نستطيع في كتاب بهذه الطبيعة أن نتعمق في تفصيلات فنية أكثر في النحو التوليدي، وعلى كل حال سوف نكرث أحد الأقسام في هذا الفصل لتفسير المبادئ الأساسية للنحو التوليدي التشومسكي تفسيرا غير تقي "انظر 4 - 6"، وفي فصل تال سنلقي نظرة على ما سأطلق عليه اسم "التوليدية" في سياقها التاريخي "انظر 7 - 4".

والتوليدية في مقابل البنائية، والوظيفية، والتاريخية تتوارد إلى ذهن معظم الناس بصورة مباشرة عندم يشيرون إلى الثورة التشومسكية، ومثل

(153/1)

كل الثورات سبق نقطة بزوغها فترة أخذت فيها صورتها التامة قبل أن يدركها أصحاب الثورة أنفسهم أو معاصروها، والفلسفة الأرسطوطاليسية أيضا لا يمكن أن تفهم إلا في سياق الفلسفة الأفلاطونية، ولا يمكن أيضا أن يفهم ديكارت دون الرجوع إلى التقليد المدرسية التي كان رد فعله ضدها وإلى ما سلم بقبوله منها بنفس درجة الرجوع إلى ما رفضه منها، وكذلك الأمر فيما يتعلق بأفكار تشومسكي التي حاز بها شهرة عظيمة بفضل دربته الخاصة في علم اللغة وعلم النفس والفلسفة التوليدية التشومسكية إذن

يحددها السياق الثقافي والعقلي -الخاص إلى حد بعيد- الذي تطورت فيه، وهذه القضايا الأعم سوف نمسك الآن بأحد جوانبها.

(154/1)

ثالثا: أجزاء الكلام وأصناف الصيغ والفصائل النحوية

يلعب ما يشار إليه بصورة تقليدية وغامضة إلى حد ما باعتباره أجزاء الكلم -الأسماء، والأفعال، والصفات، وحروف الجر... إلخ- دورا حاسما في صياغة القوانين النحوية للغات، ومن الأهمية أن ندرك مع ذلك أن القائمة التقليدية التي تتكون من عشرة أجزاء أو نحو ذلك غير متجانسة إلى حد بعيد فيما تتركب منه وفيما تعبر عنه في كثير من تفصيلات التعريفات التي تصاحبها، كما أنها تختص باللامح المميزة للغتين الإغريقية واللاتينية التي هي أبعد من أن تكون عالمية، وأكثر من ذلك فالتعريفات نفسها معيبة عادة من الناحية المنطقية، وبعضها دائري، ويضم أغلبها معايير تصنيفية، ونظمية، ودلالية ينتج عنها -إذا ما طبقت على إطار واسع من أمثلة معينة في لغات عديدة- نتائج متضاربة، وفي الواقع إذا ما أخذنا القيمة الحقيقية لهذه التعريفات

(154/1)

التقليدية فإنها لا تعمل بشكل مطلق حتى في اللغتين الإغريقية واللاتينية، وهي مثل معظم التعريفات في النحو التقليدي تعتمد اعتمادا كبيرا على الفهم الجيد والتساهل من قبل أولئك الذين يطبقونها والذين يفسرونها.

ومن السهولة -بما فيه الكفاية- أن نتصيد الأخطاء للتعريفات التقليدية: "فالاسم ما يطلق على شخص أو مكان أو شيء" و"الفعل كلمة تدل على حدث"، و"الصفة تغير الاسم"، و"الضمير يقف إزاء الاسم.... إلخ"، ورغم ذلك لا يزال معظم اللغويين يتعاملون مع مصطلح "اسم"، و"فعل"، و"صفة".... إلخ، ويفسرونها -صراحة أو ضمنا- بطريقة تقليدية إلى حد ما، وهم على صواب فيما يفعلونه، ومن الحقائق الهامة حول بنية اللغات الطبيعية أن اللغويين قادرين على إصدار أحكام يمكن تأكيد صحتها تجريبيا عن حقيقة أن بعض اللغات تتميز فيها الصفات عن الأفعال من الناحية المنطقية "الإنجليزية الفرنسية، الروسية... إلخ" بينما هناك لغات أخرى "اللغة الصينية،

والمالايوية، واليابانية ... إلخ" يمكن إثبات أن الصفات لا تتميز عن الأفعال فيها، وأن معظم اللغات ذات مميز نظمي بين الأسماء والأفعال "الإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والصينية، والمالايوية، واليابانية، والتركية ... إلخ"، غير أن هناك قليلا من اللغات "وبالذات اللغة الأمريكية الهندية نوتكا، Nootka، كما وصفها سابير" يمكن إثبات أن الأسماء فيها لا تتميز عن الأفعال، وأنه في بعض اللغات "اللاتينية، والتركية.... إلخ" تكون الصفات أكثر شبها من الناحية النحوية بالأسماء وأقل شبها بالأفعال مما هو موجود في لغات أخرى "الإنجليزية، والصينية واليابانية ... إلخ".

غير أن هناك جانب آخر من النظرية التقليدية لأجزاء الكلام يجب توضيحه في هذه النقطة، فالمصطلحات "اسم"، و"فعل" ... إلخ

(155/1)

تستخدم في النحو التقليدي مقترنة باللبس الذي نجده في مصطلح "كلمة" وهذا اللبس موجود بشكل أو بآخر في المعالجات الحديثة غير التقليدية لنظم الجملة التي تفضل الحديث عن أصناف الكلمات أكثر من الحديث عن أقسام الكلام، وإذا قررنا أن نحصر مصطلح "أجزاء الكلام" في أصناف المفردات بقولنا إن "boy" اسم، وإن "come" فعل وهلم جرا فإننا نستطيع أن نقول إن "boy"، و"boys"، و"boys"، صيغ الاسم، وأن "come"، و"comes"، و"coming"، و"came" صيغ الفعل وهلم جرا.

وفيما يتصل بهذه القضية فإن هناك ما هو أكثر من الرغبة في المطابقة الاصطلاحية، ومن المشكلات المتصلة بالنظرية التقليدية لأقسام الكلام أن الفشل في رسم مميز بينها يجبرها على اعتبار كلمات معينة "وقد راوغت هنا عن عمد باستخدام مصطلح كلمة" تنتسب في وقت واحد إلى نوعين من أقسام الكلام، وهذه هي الحالة الأكثر شهرة مع اسم الفاعل أو اسم المفعول به "حيث إن مسماهما التقليدي "participle" يشير إلى كلا الحالين"، فبالنظر من زاوية الصرف التصريفي فإنها صيغ للفعل، وبالنظر من زاوية أخرى من خلال وظيفتها النظمية فإنها صفات "انظر "dancing" في "the dancing girls" وتأويلها "the girls who dance are dancing"، وبالمثل ما يطلق عليها بصورة تقليدية المصدر "أو بشكل أكثر إحياء الاسم الفعلي" تكون صيغا للفعل لها الوظيفة النظمية المميزة للأسماء "انظر:

dancing في "shoes for dancing" وفي نقلة أخرى يكون اسما مستخدما
استخداما وصفيا في "dancing shoes".

والأكثر إثارة -إذا كان ذلك لا يعود إلا إلى أنه ليس مسلما به على نطق واسع سواء
في النحو التقليدي أو في النظرية النحوية الحديثة- حقيقة

(156/1)

أن صيغ اسمية معينة تكون من وجهة نظر نظامية وصفية أو ظرفية على نحو مميز، فعل
سبيل المثال الملكية "bishops" في "bishops mitre"؛ 1 "تأويلها: " the
"metre of the kind that bishops wear" ولا نستطيع أن نصدر
تقارير متماسكة حول حقائق كهذه ما لم نرسم حدا فاصلا بين تخصيص مفردة من
المفردات لنوع معين من أقسام الكلام ومطابقة الوظائف النظامية لصيغها في السياقات
المختلفة.

وتتكلم أعمال حديثة عديدة عن أصناف الصيغ أكثر مما تتكلم عن أقسام الكلام،
وتخصص مصطلح "أقسام الكلام" لأصناف المفردات، ونستطيع أن نخصص بشكل
تقليدي مصطلح "صنف الصيغة" بمعنى من المعاني التي يحدد بها "لأصناف الصيغ التي
لها وظيفة نظامية واحدة، ونستطيع أن نطرح آنذاك ما يطلق عليه التفسير التوزيعي
للوظيف النظامية فالصيغتان لا يكون لهما وظيفة نظامية واحدة ما لم يكن لهما توزيع
واحد "أي: إذا اتصفتا بإمكانية الاستبدال الداخلي: "انظر 3 - 4"، في كل الجمل
الصحيحة نحويا "وليس بالضرورة ذات المعنى" في اللغة، والتعريفات التوزيعية من هذا
النوع لعبت دورا حاسما في المحرلة الأخيرة لعلم اللغة البلومفيدي المتقدم ومهدت الطريق
لتطوير النحو التقليدي التشومسكي.

ويتضح لنا بشكل مباشر أن الصيغ المختلفة من الناحية التصريفية لمفردة واحدة ليس
لها -بصفة عامة- توزيع واحد، وهو السبب في أن نظم الجملة والتصريف جزاء
متكاملان للنحو، فعلى سبيل المثال boy، وpoys تختلفان من الناحية التوزيعية من
وجوه مختلفة لكن أكثر هذه الوجوه وضوحا أن الأول -لا الثاني- يمكن أن يذكر في
مجموعة من السياقات تشمل:

1 تاج الأسقف.

2 التاج الأسقفي.

(157/1)

The----is here -1

وأن الثاني -لا الأول- في مجموعة من السياقات تشمل:

The----are here -2

وبفضل الوظيفة الدلالية التي تميز boy عن boys في معظم السياقات نشير إلى boy باعتبارها صيغة مفرد، وإلى boys باعتبارها صيغة جمع لـ "bey"، وإذا كان ما يميز بينهما لا يرتبط باختلاف التوزيع "أي: إذا كانت صيغة المفرد وصيغة الجمع للمفردات يمكن استبدالهما استبدالاً داخلياً في كل الجمل الإنجليزية دون تغييرات من أي نوع تنشأ عن ذلك في المعاني نفسها"، فلن يكون هناك قانون نظمي يعتمد على ذلك في اللغة الإنجليزية، وعلى الرغم من وجود علاقة جوهريّة بين معنى الصيغ وتوزيعاتها فإن النحو لا يعنى عناية مباشرة إلا بتوزيعاتها، ومن يرغب في فهم النظرية النحوية الحديثة في أكثر تطوراتها تميزاً وإثارة يجب أن يكون قادراً على الاعتقاد بأن توزيع الصيغ مستقل عن معناها.

وحيث إن مصطلح "صيغة" أكثر اتساعاً ويشمل مصطلح "صيغة الكلمة"، فإن مصطلح "صنف الصيغة" بالمثل أكثر اتساعاً من مصطلح "صنف الكلمة" أو "قسم الكلام" والمورفيمات "أي: الصيغ الدنيا" يمكن أن تصنف إلى أصناف صيغ على أساس معيار إمكانية الاستبدال الداخلي ولهذا يمكن أيضاً أن تتركب التعبيرات من كلمات عديدة، وفي النحو المؤسس على الوحدة الصرفية "المورفيم" يجب أن ينسب بالدرجة الأولى مسمى قسم الكلام الذي تخصصه للمفردات إلى ما يشار إليه بشكل تقليدي باعتباره جذوع الكلمات أو حتى جذورها، "والاختلاف بين الجذوع والجذور أن الجذور لا يمكن تحليلها تحليلًا صرفيًا بينما الجذوع قد تشتمل بالإضافة إلى جذورها على لاصقة اشتقاقية أو أكثر" فعلى سبيل المثال تصنف الصيغة boy على أنها اسم بفضل كونها جذعاً لمجموعة كاملة من صيغ الكلمات المتصرفة

(158/1)

وتشمل boy، و boys، و boys ومع ذلك فثمة حقيقة محتملة تماما في البنية النحوية الإنجليزية إذ إن جذوع الأسماء وجذوع الأفعال، وجذوع الصفات ... إلخ تكون عادة صيغ كلمات "وصيغ استشهادية انظر 4 - 1"، وثمة حقيقة محتملة تماما أيضا إذ إنه في اللغة الإنجليزية "كما في اللغة الصينية وليس في اللغة التركية" صيغ كثيرة إلى حد بعيد يمكن أن تستخدم جذورا للأسماء أو جذورا للأفعال "انظر man، و turn، و walk، و table.. إلخ" وفيما يتصل بهاتين الناحيتين فإن اللغة الإنجليزية أبعد من أن تكون نموذجاً للغات العالم، والصور الشائعة للنحو التوليدي الذي يعتمد على الوحدة الصرفية "المورفيم" تتعامل مع تعريفات "الاسم" و"الفعل"، و"الصفة" ... إلخ التي تنطبق بالدرجة الأولى على جذوع المفردات وتنطبق بشكل ثانوي على صيغ أكثر اتساعاً تشملها أو تكافئها من الناحية النظامية.

وكما يتكامل التصريف مع نظم الجملة في النحو التقليدي المؤسس على الكلمة تتكامل أيضا الفصائل النحوية والتصريفية مع أقسام الكلام، فعلى سبيل المثال "المفرد" و"الجمع" مصطلحان في فصيلة العدد، والحاضر، والماضي، والمستقبل مصطلحات في فصيلة الزمن، والأخبار، والشرط أو التمني أو الدعاء والطلب.... إلخ مصطلحات في فصيلة صيغة الفعل، والفاعلية، والمفعولية، والديتيف "مثل المفعول غير المباشر"، والإضافة ... إلخ مصطلحات في فصيلة الحالة وهلم جرا، ومسميات تقليدية مثل المتكلم المفرد الخبري المضارع لفعل الكينونة "Be" تمثل الطريقة التي تكون فيها "مع استخدام المصطلحات التقليدية" أقسام معينة من الكلام متصرفة لمجموعة معينة من الفصائل النحوية.

وثمة نقطتان يمكن إثارتهما فيما يتصل بالفصائل التصريفية في النحو

(159/1)

التقليدي، النقطة الأولى أنه لا شيء منها عالمي بحق بمعنى أن يكون موجوداً في جميع اللغات، فهناك لغات بدون الزمن، ولغات بدون الحالة، ولغات بدون الجنس، وهناك لغات ليس فيها أي فصيلة من هذه الفصائل التقليدية جميعاً بلا استثناء، ومن الناحية الأخرى هناك فصائل تصريفية كثيرة لم تعرف في النحو التقليدي، موجودة في اللغات التي بحثها اللغويون مؤخراً.

والنقطة الثانية أن ما توصف بصورة تقليدية باعتبارها فصائل نحوية يرجى معالجتها بصفة

عامة في النحو المؤسس على المورفيم باعتبارها مجموعات من المورفيمات النحوية "وفي مقابل المورفيمات المعجمية تدرج في قائمة باعتبارها جذوع أسماء، وجذوع أفعال ... إلخ في المفردات"، وتضبط القوانين النظامية توزيعها بصورة مباشرة، وهو ما يعد -في جوهره- المعالجة المتبناة في الصور الشائعة للنحو التوليدي.

(160/1)

رابعا: بعض التصورات النحوية الإضافية

وظيفة القوانين النحوية للغة ما أن تذكر بالتفصيل محددات الصواب النحوي لهذه اللغة "انظر 4 - 2"، ويفعل ذلك النحو التوليدي عن طريق توليد "بمعنى تفسير" جميع الجمل "فحسب في لغة ما، وتخصيص وصف بنيوي لك جملة منها في جميع خطوات توليدها وذلك كما سنرى فيما بعد، وفي هذا القسم سندرج عددا من المفاهيم النحوية وسنشرحها شرحا مختصارا وقد أسهب اللغويون فيها وهم بصدد صياغة محددات الصواب النحوي وأنواع المعلومات التي يجب أن يتضمنها الوصف البنيوي للجمل الخاصة بلغات معينة، والخاصة باللغة عموما.

ولا يمكن أيضا التأكيد بقوة على أن اللغوي -على الأقل في هذه الأيام- لا يعنى بالتصنيف ويغمض عينيه على غرضه الخاص، فهو يعنى كما رأينا في البداية بالسؤال: "ما اللغة؟" ويعنى كذلك -بشكل مباشر أو غير مباشر- بمقدرة المتكلم الأصلي على إنتاج عدد هائل غير محدود من الأقوال -واللائهائي من حيث الإمكانيات- وفهمها، وهذه الأقوال يختلف الواحد منها عن الآخر في الشكل والمعنى، وشرح تصور الصواب النحوي محور مهمة تفسير مقدرة المتكلم الأصلي على القيام بالإنتاج والفهم، "وتفسير اكتساب الطفل لهذه المقدرة"، وتعد أحد الموضوعات الرئيسية التي تتضمنها أي إجابة عقلانية مرضية يمكن أن تكون للسؤال: "ما اللغة؟".

والقائمة التالية من التصورات النحوية ليست شاملة على الرغم من طولها الواضح، وقد نشأ كثير منها في النحو التقليدي وبعضها طور حديثا، ولم ترد جميعها في الأقسام الأخيرة من هذا الكتاب، ويرجع ذلك جزئيا إلى أن التفسير الذي سيقدم هنا للبنية اللغوية وللنحو التوليدي لا مفر من أن يكون تفسيرا أوليا إلى حد بعيد وانتقائيا بدرجة عالية، لكن هناك سببا أكثر أهمية، ففي الحالة الراهنة للنظرية النحوية ليس من الواضح تماما كم عدد المفاهيم المستقلة منطقيا أو الأولية التي تتطلبها مواصفات محددات

الصواب النحوي في أي لغة معينة ناهيك عن أن تكون في اللغات جميعها، وإذا كانت مجموعة من المفاهيم مختارة على أنها أولية -بالمعنى المنطقي للمصطلح- فإن مجموعة أخرى يمكن أن تعين من خلالها، لكن هناك احتمالات كثيرة أمام اللغوي في حكمه على ما هو أولى وما هو مأخوذ من غيره، والصورة الشائعة للنحو التوليدي - لأسباب تاريخية بحتة - صاغت مجموعة مختارة من الأوليات

(161/1)

دون غيرها، وربما لم يقيم الدليل على أنها المجموعة المختارة الصحيحة، وفي الحقيقة يجب أن يطرح السؤال عما إذا كانت هناك مجموعة مختارة صحيحة أي صحيحة لجميع اللغات الإنسانية.

ولا يعد ذا أهمية كبيرة إذا ما فشل القارئ في تذكر معظم هذه القائمة التالية من الأفكار النحوية غير المألوفة له، وأي فرد يباشر دراسة علم اللغة على مستوى متخصص عليه بطبيعة الحال ألا يفهم تلك القائمة فحسب، ولكن عليه أيضا أن يكون قادرا على التمثيل لها وأن يكون قادرا - بما لا يقل أهمية - على الإضافة إلى هذه القائمة وعلى أن يوضح كيف تتحول فكرة تدريجيا إلى فكرة أخرى أو كيف يمكن توضيحها من خلال فكرة أخرى، ويرجع السبب في تقديمي هذه القائمة الطويلة إلى حد مناسب من التصورات النحوية فيما أردت له أن يكون كتابا أساسيا وعاما إلى حد بعيد في اللغة وعلم اللغة أن معظم الأعمال المشابهة فشلت في أن تجعل من هذه النقطة التي أثرتها في الفقرة السابقة شيئا أساسيا، وحتى الكتاب الأساسي يجب أن يقدم لقراءه فكرة عن إطار الموضوع الذي يتناوله وكذلك عن تعقيداته، ولم تقصر معالجة للنظرية النحوية في إيضاح أنه على الرغم من التقدم العظيم الذي أحرزناه حديثا فإننا لم نزل بعيدين عن حيابة نظرية عامة مرضية للبنية النحوية.

ويمكن أن تصنف الجمل "وقد صنفنا هكذا في النحو التقليدي" وفق بعدين هامين: "أ" البنية "ب" الوظيفة، فالجمل تنقسم من حيث البنية إلى جمل بسيطة تقابل جملا غير بسيطة، والجمل غير البسيطة تنقسم إلى جمل معقدة تقابل جملا مركبة، ومن ناحية الوظيفة تنقسم الجمل إلى خبرية، واستفهامية، وطلبية ... إلخ، وتتكون الجملة البسيطة من عبارة مفردة "مع منحني تطريزي مناسب"، والجملة المعقدة الصغرى تتكون من عبارتين تتبع إحداهما الأخرى، والجملة المركبة الصغرى تتكون من عبارتين أو

أكثر تكافئ الواحدة منها الأخرى، "وقد أدخلت مصطلح جملة مؤلفة ليغطي كلتا الجملتين المركبة والمعقدة وهو ما يتلائم مع الشرح" وفكرة التبعية، وفكرة التكافؤ اللتان توسلنا بهما هنا - كما سنرى بعد- فكرتان عامتان إلى حد بعيد لا يصح تطبيقهما على تصنيف الجمل ولكن يصح تطبيقهما داخل الجمل.

ويمكن أن تثار نقطتان تتصلان بتصنيف الوظيفة للجمل، النقطة الأولى أننا لو ميزنا بين الجمل الإخبارية والتصريحات، وبين الجمل الاستفهامية والأسئلة، وبين الجمل الطلبية والأوامر والطلبات ... إلخ فإننا نستطيع القول بأن الجملة الخبرية هي الجملة ذات البنية النحوية التي تستخدمها الجمل استخداما مميزا لصياغة الأخبار وهلم جرا، وهو ما يمكننا من المحافظة على التمييز بين البنية النحوية للجمل والوظيفة الاتصالية للأقوال مع أنهما مترابطان "انظر 5 - 5"، وسوف نتوقف عند هذا المميز في الفصل الخاص بالدلالة، والنقطة الثانية أن الطلي - بخلاف الإخباري والاستفهامي - يستخدم تقليديا مع الصيغة الإخبارية وصيغة الشرط أو التمني أو الدعاء ... إلخ لتمييز أحد المصطلحات في الفصيحة النحوية الخاصة بصيغة الفعل، وهذا الاستخدام المزدوج يجب أن يلاحظ إذا كان بسبب قدرا من اللبس في النظرية النحوية الحديثة.

وفي إطار الجمل البسيطة منها وغير البسيطة أنواع مختلفة من علاقات الجزء - الكل أي: علاقات الاحتواء، فعلى سبيل المثال كل العبارات في الجمل المعقدة أو المركبة مكونات للجمل ككل، وفي الجملة البسيطة تكون كل صيغ الكلمات "دعنا نفترض" مكونات لها، ومجموعات الكلمات يمكن أن تشكل تعبيرات تكون أيضا مكونات للجملة، "والكلمات بدورها مكونات للتعبيرات، ومن ثم فهي مكونات بصورة غير مباشرة فقط للجمل

التي تكون فيها التعبيرات مكونات لها"، وفكرة الاحتواء هذه كما سنرى في الأقسام التالية مقترنة مع رؤية أعم إلى حد ما للمفهوم التقليدي للتعبير في القلب من صياغة البنية النحوية في النحو التوليدي التشومسكي. والتبعية نوع آخر من العلاقة النظامية يقيم لها النحو التقليدي أهمية خاصة، وهي علاقة

غير متناسقة تربط "ولنستخدم مصطلحا حديثا" بين المتحكم أو الموجه وتابع أو أكثر، فعلى سبيل المثال يقال إن الفعل يحكم مفعوله "إذا كان له مفعول واحد" في صيغة دون أخرى فالفعل "see" مثل كل الأفعال المتعدية في اللغة الإنجليزية تحكم مفعولها فيما يوصف تقليديا بحالة المفعولية "انظر I saw him في مقابل I saw he * ففصيلا الحالة he في مقابل him ... إلخ فصيلا تصريفية للضمائر وليس للأسماء في اللغة الإنجليزية"، وبصورة أعم نستطيع أن نقيم علاقة تبعية داخل بنية معينة كلما كان ذكر وحدة واحدة "المتحكم" شرط مسبق لذكر وحدة أو أكثر "توابعها" في صيغة مناسبة، وما يشار إليه بشكل تقليدي على أنه حكم نحوي وقد مثلنا له من قبل -يمكن وضعه في إطار تصور أعم للتبعية لا يفترض مسبقا وجود تنوع تصريفي، وبقدر ما تشكل مجموعة المتحكم والتوابع ضمنا علاقة جزء-كل بين كل وحدة من ناحية والمجموعة نفسها من ناحية أخرى فإن علاقة الاحتواء وعلاقة التبعية ليستا مختلفتين إلى درجة الاستقلال التام، وقد أثر النحو التوليدي التشومسكي علاقة الاحتواء متبعا في ذلك بلومفيلد وأتباعه، وجعل النحو التقليدي لعلاقة التبعية أهمية خاصة.

وقد أشرنا في الفقرة السابقة إلى الأفعال المتعدية، والمميز التقليدي بين الأفعال المتعدية، والأفعال اللازمة يمكن أن يعمم في اتجاهين الأول بمحصر الأفعال في إطار أصناف أكثر اتساعا من المسانيد، وبعد ذلك تصنيف

(164/1)

المسانيد إلى أصناف فرعية من خلال التكافؤ الخاص بها أي: من حيث عدد الوحدات التابعة ومن حيث طبيعة هذه الوحدات، ولا نحسب المفعول المباشر وغير المباشر فحسب بل نحسب كذلك المسند إليه فيما يتعلق بالفعل بين توابعه، ويمكن أن نقول إن فعلا لازما مثل "die" له تكافؤ 1، وفعل متعدى مثل "eat" له تكافؤ 2، وأفعال مثل "give"، و "put" لها تكافؤ 3 وهلم جرا.

ويجب أن نتذكر أن فكرة التكافؤ لا تفترض سلفا أن توابع المسانيد تعبيرات اسمية بالضرورة، وما يعرف بصورة تقليدية بالمكمالات الظرفية للزمن أو المكان ... إلخ تقع أيضا في إطار تعريف التكافؤ، ويجب أن نسمح كذلك بوجود المسانيد مع التكافؤ zero فعلى سبيل المثال الفعلان "rain"، و "snow" في اللغة الإنجليزية يمكن إثبات أنهما من هذا النوع، والصيغة it is raining/ snowing ... إلخ

ليست أكثر من مسند إليه وهمي.

ومصطلح "تكافؤ" مستعار من الكيمياء غير مستخدم حتى الآن استخدما شائعا في الأعمال البريطانية والأمريكية في علم اللغة، لكن الفكرة كامنة في قدر كبير من النظرية النحوية التي لا تستخدم بالفعل هذا المصطلح، والجانب الأكثر إثارة للجدل والأكثر انتفاء للتقليدية من فكرة التكافؤ كما طرحناها الآن هو تقليدها للفوارق التقليدية بين المسند إليه والخبر "في العبارة" من ناحية والمسند إليه والمفعول "للفعل" من جهة أخرى، ويجب أن نلاحظ أن وجهي الخلاف مستقلان من الناحية المنطقية، ويعتمد الأول على تقسيم العبارة "طبقا للافتراضات التقليدية" إلى قسمين متكاملين والثاني ليس كذلك، والمسند إليه الخاص بالفعل هو الوحدة التي تحدد صيغة الفعل فيما يطلق عليه بصفة عامة "المطابقة النحوية بين المسند إليه والفعل" على الرغم من أنه يعتمد على الفعل بنفس الدرجة التي يعتمد فيها على المفعول "انظر: **The boy is runniag** في مقابل **The boy are running***" و **The poys are running** في مقابل **The boys are running**" ويمكن أن تقترح معايير أخرى لتحديد مفهوم أعم للمسند إليه النظمي الذي يمكن تطبيقه على اللغات جميعها، لكن القضية الخاصة بعالمية أي نوع من نوعي المسند إليه النظمي "أو بعض المفاهيم الأعم للمسند إليه الذي يندرج تحتها"، مثار جدل هذه الأيام كما كانت تبدو عندما تجادل حولها باندفاع وحماسة اللغويون في أواخر القرن التاسع عشر.

(165/1)

خامسا: مكونات للبنية

سوف نركز في هذا القسم على ذلك الجانب من البنية النحوية الذي يمكن تناوله من خلال مفهوم الاحتواء، وسنفعل ذلك في إطار النحو المؤسس على المورفيم ومن وجهة نظر التوزيعيين التي تميز الفترة الأخيرة من علم اللغة البلومفيلدي المتقدم "انظر 7 – 4"، وبتبني وجهة النظر هذه نستطيع أن نضرب عصفورين بحجر واحد أي: نستطيع أن نوضح بالإضافة إلى ذلك تطبيق الأفكار الهامة التي أدخلناها من قبل، وترتبط هذه الأفكار بالمصطلحات: "وحدة صرفية"، و"صرف"، و"تصريف"، و"الاشتقاق"، و"صنف الصيغة"، و"التوزيع"، ولا نذكر "الاحتواء" نفسه، ونستطيع أن نمهد الطريق لمعالجة النحو التوليدي في القسم التالي.

على الرغم من أن تصور البلومفيلدي لمكونات البنية تصور نظمي بصفة أساسية فإننا سنبدأ ببيان كيف ينطبق على أصناف الصيغ، ولنتذكر أن النحو في علم اللغة البلومفيلدي ينقسم إلى الصرف ونظم الجملة "انظر 4 - 1"،

(166/1)

يتناول الصرف البنية الداخلية لصيغ الكلمة، ويتناول نظم الجملة توزيع صيغ الكلمات خلال الجمل صحيحة البنية في لغة ما، غير أن الصرف البلومفيلدي المتقدم - في حد ذاته - نوع من صرف نظم الجملة، فهو يطبق المبادئ نفسها في التحليل النحوي لصيغ الكلمات مثلما يفعل فيما يتصل بالتحليل النظمي لوحداث أكثر اتساعا مثل التعبيرات والجمل، ولغويو البلومفيلية المتقدمة من حيث المبدأ - إن لم يكن ذلك مطردا في الممارسة - اتجهوا مؤخرا إلى التخلي عن الفارق المميز بين الصرف ونظم الجملة مع توسيع ناتج عن ذلك لتعريف "نظم الجملة، وأصبح نظم الجملة دراسة توزيع الوحدات الصرفية "المورفيمات" أكثر من صيغ الكلمات، ولم تعد صيغ الكلمات وحدات نحوية بحتة بل وحدات يمكن "مع نمط تنغمي مناسب" أن تكون أصغر الأقوال، كما أنها في لغات معينة يمكن أن تعد مجالا لملامح فونولوجية تطريزية معينة "انظر: 3 - 6" وهو ما يعد - في جوهره - وجهة النظر التي يتبناها النحو التوليدي التشومسكي باعتبارها جانبا من ميراثه البلومفيلدي المتقدم.

وفي هذا القسم وفي القسم التالي سنتعامل مع مصطلح "كلمة" على أنها تشير إلى صيغ الكلمات، والكلمات بهذا المعنى يمكن أن تمثل سلاسل من مورفيم واحد أو أكثر أي: إن المورفيمات أصغر الصيغ، والكلمة في التعريف الكلاسيكي البلومفيلدي "على الرغم من أنه ليس مرضيا إلا بشكل جزئي" أصغر الصيغ الحرة "أي: الصيغ التي لا تتكون كلية من صيغ حرة أصغر"، والصيغة الحرة في مقابل الصيغة المقيدة هي تلك الصيغة التي يمكن أن تكون مع منحنى تطريزي مناسب قولاً "وليس بالضرورة جملة تامة" في بعض السياقات المعتادة الاستعمال، ولا تعد كل الصيغ في اللغة الإنجليزية بصورة تقليدية كلمات، وكون المسافات تفصل بينها في الوسيلة المكتوبة يرضى هذا التعريف، ولن

(167/1)

نستخدم من الأمثلة إلا ما يكون كذلك، ومن ثم فإن cat مورفيم "أصغر صيغة" وكلمة "صيغة حرة" و cats ليست مورفيما حيث تتركب من صيغتين صغيرين cat و S لكنها كلمة "مع أن cat صيغة حرة، و" S ليست كذلك"، وتعد:

unfriendliness كلمة مركبة من أربع وحدات صرفية "مورفيمات" - un - frind - ly - ness كلها فيما عدا friend صيغ مقيدة، والصيغ المقيدة التي هي مكونات للكلمات تكون سوابق إذا سبقت الصيغة الأساسية التي تلحق بها، وتكون لواحق إذا تلتها.

غير أن هناك مما يتصل بمكونات بنية الكلمات أكثر من التفسير التام لها من جهة المورفيمات المكونة لها، فكثير من الكلمات في اللغة الإنجليزية واللغات الأخرى لها بنية متسلسلة داخلية يمكن تمثيلها صوريا عن طريق فكرة التقويس الرياضية "لتجزئة الجملة"، فعلى سبيل المثال مكونات البنية للكلمة: unfriendliness يمكن تمثيلها كما يلي:

1-[un - friend - ly - ness] .

أو ما يكافئه بواسطة الرسم الشجري الآتي:

ومن الأهمية أن ندرك أن 1، 2 متكافئان من الناحية الشكلية، فكلاهما يخبرنا بما لا يزيد ولا ينقص عما يلي: إن المكونات المباشرة 1

1 الوحدات النحوية المباشرة "immediate constituents" مصطلح يستخدم في التحليل النحوي ليشير إلى التقسيمات الرئيسية التي تكون في إطار بنية=

(168/1)

"ICs" لكلمة unfriendliness هي: "unfriendly" و "ness"، وأن المكونات المباشرة ل unfriendly هي un و friendly وأن المكونات المباشرة ل friendly هي friend و Ly وليس هناك تحليل إضافي ممكن على المستوى النحوي للوصف، فالمكونات الصغرى للوحدة النظمية بأكملها هي: un، friend، ly، و ness ويمكن أن نخبرنا بدلا من ذلك أن friend، ly ويمكن أن يتركبا معا "مع الاحتفاظ بالترتيب" ليشكلا المكون friendly ويمكن أن تكون un سابقة لها لتشكلا مكونا وسيطا أكبر unfriendly، ويمكن أن تكون

ness لاحقة لها لتشكيل صيغة الكلمة بأكملها، لكن طريقي التمثيل 1، 2 كليهما محايدة بين تحليل الوحدات النظامية وتركيبها.

ولم أعرض لأبرر - بالتفصيل - التقويس المعين لـ unfriendliness المخصص لها في 1، 2 ومن حيث المبدأ يعتمد "وفقا لافتراضات الاتجاه التوزيعي للبلومفيلدية المتقدمة" على معياري إمكانية الاستبدال والعمومية، وتتعلق صيغة "unfriendliness" بصنف الصيغة "أي: مجموعة الصيغ التي يمكن استبدالها داخلها" الذي سنطلق عليه - مستخدمين مصطلحا تقليديا - الأسماء المجردة، ونرمز إليها بـ Na، والكثير منها يصاغ في اللغة الإنجليزية بإضافة اللاحقة، ness، إلى ما يطلق عليه تقليديا الصفات "أو بشكل أكثر إيضاحا الصيغ الأساسية للصفات"، وبالمثل فإن إضافة السابقة un على صيغة الصفة "A" عملية صرفية عالية الإنتاج في اللغة الإنجليزية،

= نحوية على أي مستوى، فالوحدات المباشرة على سبيل المثال في الجملة The boy is walking هي: The boy و is walking وهذه الوحدات المباشرة تحلل بدورها إلى وحدات نحوي مباشرة هي: is + walking the boy، وتستمر هذه العملية حتى نصل إلى ما لا يمكن تحليله من الوحدات، وتعرف هذه العملية ككل بتحليل المكونات الأساسية، وبعد ذلك سعة أساسية في علم اللغة البنيوي البلومفيلدي.

(169/1)

وفي المقابل فإن إضافة السابقة un إلى صيغ الأسماء "للأصناف الفرعية Na" ليست عملية إنتاجية، ويتبع ذلك أنه حتى لو كانت هناك كلمة "friendliness" في الإنجليزية فلن نرغب في اعتبار [friend - Ly] - ness - ولا نذكر [friend - Ly - ness] مكونا لكلمة "unfriendliness"، وبالمثل ما يتعلق بالتقويس الأعمق [friend - ly]، وهو ما نبرره عملية صرفية إنتاجية محدودة تتشكل بواسطتها الصفات من الأسماء لنقل التي من الصنف الفرعي Nc بإضافة لاحقة ly "انظر: ly - n&m إلخ".

والتفسير التوزيعي لمكونات البنية المخصص لصيغة الكلمة "unfriendliness"

تفسير مباشر بشكل واضح، وهذا أبعد من أن يكون الحالة التي تتعلق بكل صيغ الكلمات في اللغة الإنجليزية خصوصا إذا تحولت المعايير التوزيعية إلى إجراءات كشفية آليه "انظر 7 - 4"، وعلى كل حال فإننا لا نعني بإثبات المذهب التوزيعي ولكننا نعني فقط بتوضيح ما نعنيه بمكون البنية، والقضية ما إذا كان تحليل معين تقرر بشرعيته معايير توزيعية بحتة أم لا، واستخدام مصطلح أو رمز معين مثل "اسم" أو Nc كإشارة إلى صنف الصيغة يعني ضمنا أن كل أفراد صنف الصيغة يمكن استبدالها استبدالاً داخلياً في كل السياقات التي يغطيها أي قانون يستخدم هذه الإشارة التي نحن بصدددها، فعلى سبيل المثال دعنا نخصص بشكل عشوائي الإشارة Ax لمجموعة معينة من الصيغ الناتجة عن إضافة اللاحقة Ly لأفراد صنف الصيغة Nc ويمكننا الآن توضيح منطق القانون التالي:

$$Nc + Ly \text{ Ax } -3$$

فهو يخبرنا في الواقع بأن كل الصيغ الخاصة بالصنف الفرعي Nc يمكن استبدالها داخلياً على الأقل في إطار السياقات التي يغطيها القانون 3، ويتضمن أيضاً أن كل أفراد الصنف الفرعي Ax يمكن استبدالها داخلياً في

(170/1)

السياقات التي تغطيها قوانين أخرى مثل 4، و 5.

$$Ax + ness_Na -4$$

$$un + Ax_Ax -5$$

وحقيقة أن الاتجاه التوزيعي بالشكل الذي طوره أتباع البلومفيلدية المتقدمة قد أصبح مشكوكاً فيه لا يعني فكرة التوزيع في حد ذاتها لم تعد مناسبة في التحليل النحوي، بل على العكس تعد الفكرة الحاسمة في صياغة النحو.

وقبل أن نتابع كلامنا يمكن أن نذكر نقطة، فالقانون "5" في مقابل القانوني "3"، و"4"

تكراري بصورة كامنة أي: إنه إذا سمح بتطبيقه على الناتج الخاص به "Ax" فسوف

ينتج عنه عدد غير محدود من الوحدات النظامية ذات التعقيد المتزايد - un -]

[friendly] ؛ [friendly-un "friendly-un".... إلخ، ومن المفترض

ألا نرغب في اعتبار -ununfriendly- ودعنا من ununfriedly صيغة

صحيحة من الناحية النحوية، لذا فإن القانون "5" معيب من الناحية الفنية فالصيغتان

friendly، و **unfriendly** ليستا من أفراد صنف الصيغة ذاته، ومن الناحية الأخرى يوجد كثير من الأبنية النظامية إن لم تكن الصرفية في اللغة الإنجليزية تكرارية تماما، ومن المحتمل أن يكون في كل اللغات الطبيعية مثل ذلك، ولهذا السبب فإن جمل لغة ما مع أن كل جملة منها محدودة في طولها إلا أن هذه الجمل قد تكون غير محدودة في عددها "انظر تعريف تشومسكي للغة الذي اقتبسناه في 1 - 2، 3 - 6". وتنطبق فكرة مكونات البنية ذاتها انطباقا تاما على تتابعات الكلمات - "التعبيرات" بمعنيها التقليدي والدارج- كما تنطبق هذه الفكرة "تبعا

(171/1)

لتصور أتباع البلومفيلدية وما بعدها عن الصرف" في إطار الكلمات، فعلى سبيل المثال **"on the wooden table"** هو ما يطلق عليه بشكل تقليدي شبه جملة "تعبيرة الجر" التي تتركب من حرف الجر **"on"** وما يطلق عليه بصورة تقليدية التعبير الاسمية **"the wooden table"** التي تتكون من أداة التعريف **"the"**، والتعبيرة **"wooden table"** التي تتركب من الصفة **"wooden"** والاسم **"table"**، ويمكن توضيح التحليل الذي أوردناه آنفا بدون الإشارات التقليدية المستخدمة عن طريق **"6"**، **"7"**:

6-on the wooden table.

أو الرسم الشجري

وكل من 6، و7، مثل 1، 2 ممثلات بلا إشارات 1 لمكونات البنية.

ومن المعتاد مع ذلك أن نتعامل مع فكرة الممثلات ذات الإشارات، والإشارات تستخدم كما سبق للإشارة إلى أفراد صنف الصيغة، ودعنا نحول لهذا السبب 6، و7 إلى التقويس ذي الإشارات والرسم الشجري ذي الإشارات 8، و 9 على الترتيب ونجعل رموز الحروف الأولى للإشارات أي: **NP** للتعبيرة الاسمية **"noun phrase"**، و **p** لحروف الجر **"preposition"**، **pp** لتعبيرة الجر **"prepositional phrase"**، و **A** للصفة

1 الإشارة أو العنوان **"Label"** مصطلح في التحليل النحوي للعلامة المحددة للأجزاء أو المراحل الموجودة في التحليل البنيوي لجملة ما.

"adjjective"، وArt لأداة التعريف "definete" article"، وسنذكر أن "8":

Np "Art the" N" A wooden "N table" " " "

Pon pp8 "Np"

و9 متكافئان من الناحية الشكلية، وما دام التقويس ذو الإشارات -على الرغم من أنه أكثر تعقيدا- صعب القراءة فإن اللغويين يتعاملون عموما مع الرسوم الشجرية ذات الإشارات.

ويمكن أن نتناول نقطتين تتعلقان بـ 8، و9 النقطة الأولى أنهما يمثلان التعبير wooden table كما لو كانت من صنف صيغة الكلمة "N" table ذاته، وهو ما يمكن تبريره بشكل توزيعي، وعلى الرغم من وجود مبادئ معينة تحدد تتابع الصفات التي تسبق الأسماء في إطار التعبير الواحدة في اللغة الإنجليزية، وليس هناك نهاية لعدد من الصفات التي قد تذكر في ذلك الموضع، فهناك على كل حال مجال للشك حول البنية الداخلية لسلاسل الصفات في تلك المواضع. والنقطة الثانية تتعلق بالمصطلحين: "التعبير الاسمية"، و"تعبير الجر" وقد اقتبس هذان المصطلحان من النحو التقليدي، وقد وجد هذان المصطلحان تفسيرهما هما ليس في فكرة الاحتواء ولكن في فكرة التبعية "انظر

4 - 4" فتعبير الاسم في النحو التقليدي عبارة ذات مركز هو الاسم، وتعبير الجر عبارة ذات مركز هو حرف الجر، وتمثيل مكونات البنية في 8 و9 لا تقول شيئا عن التبعية، والمصطلحان "تعبير الاسم"، و"تعبير الجر" ليسا مشجعين هن، وإذا فهم منهما بدلا من ذلك أن "تعبير الاسم" و"تعبير الجر" لهما توزيع واحد باعتبارهما أسماء وحروف جر على الترتيب فإن ذلك بوضوح ليس كذلك بقدر ما تلقى تعبيرات الجر من اهتمام، ويبدو من الوهلة الأولى أن مصطلح "تعبير اسمية" أكثر ملائمة من وجهة النظر هذه، وفيما يتعلق ببعض اللغات -من ضمنها اللغتين اللاتينية والروسية- التي لا تحتوي على أداة تعريف "بخلاف اللغة الإنجليزية" يمكن أن تستخدم ما يعرف بالاسم "بمعناه العام" في المفرد بدون أداة تعريف أو تنكير أو أي نوع آخر من أصناف الصيغ التي

يشار إليها في هذه الأيام كمحددات، لكن قليلا من التأمل سوف يظهر أنه على الرغم من أن "the wooden tabl"، و"the table" لهما توزيع واحد كأسماء أعلام وضمائر فليس لهما توزيع واحد كأسماء "بالمعنى العام" مثل table. والأمثلة التي استخدمت هنا لإيضاح فكرة مكون البنية سهلة بما فيه الكفاية وهي بعيدا عن نقطتين تفصيليتين ليست موضع خلاف، وعندما نأتي إلى تحليل مجموعة نموذجية من جمل اللغة الإنجليزية واللغات الأخرى من وجهة النظر التي تبينها في هذا الفصل تنشأ كل أنواع المشكلات، ومن الصعوبة بصفة خاصة أن ندمج مكون البنية الخاص بصيغ الكلمات مع مكون البنية الخاص بسلسلة من الوحدات الأكثر اتساعا والتي تكون فيها صيغ الكلمات نفسها مكونات، والقليل من اللغويين -إن وجدوا- في هذه الأيام يعتقدون أنه من الممكن أو من المرغوب فيه أن نصف نظم الجملة في لغة ما داخل

(174/1)

الإطار الذي عرضنا له هنا عرضا عاما دون أن نتوسل بأفكار تقليدية، وفي الوقت نفسه من الواضح أن هناك شيئا مثل مكون البنية في بعض اللغات الطبيعية، ومن المفترض أن يكون فيها جميعا، وعلى المستوى النظري تقدم البحث في نظم الجملة تقدما ملحوظا بفضل محاولة البلومفيلدية المتقدمة صياغة فكرة مكون البنية بعبارات توزيعية. وفي الختام يجب أن نتناول من ناحية ما يعرف بصفة عامة "على الرغم من أن ذلك قد لا يكون مناسباً" بالمكونات المنفصلة، ومن ناحية أخرى قضية الترتيب التسلسلي، وتقدم لغات كثيرة أمثلة للمكونات النهائية أو الوسيطة ذات المكونات التي يفصل بينها سلسلة من صيغة أو أكثر، فعلى سبيل المثال التصريف الثالث في معظم الأفعال الألمانية تصاغ عن طريق إضافة السابقة -ge واللاحقة، -أو on- لصيغة أساسية مناسبة مثل t - job - ge "ممدوح"، en - sproch - ge "منطوق أو متكلم به"، والانفصالية في إطار الكلمة ليس أمرا غير شائع في اللغات التصريفية وهو من الشائع إلى حد بعيد في الواقع في سلاسل الوحدات الأكثر اتساعا على سبيل المثال up.... ooked في:

he desnt like bananas He looked the wore up in
be ing, has en ,He evidently doesnt like في dictionary
.banssn has bean sining

ومبدأ الانفصال ينتقض مبدأ التجاور أي: مبدأ أن الوحدات "أو مكونات الوحدات" المتصلة من الناحية النظامية ينبغي أن توضع الواحدة منها بعد الأخرى في الجمل، وفي بعض اللغات لا يكون هذا المبدأ أكثر من اتجاه أسلوبى، وفي بعض اللغات الأخرى تستخدم المجاورة نفسها كطريقة لإظهار

(175/1)

الصلات النظامية فعلى سبيل المثال walking down the road توضح

المجاورة أو التقاربية اتفاقها مع john أكثر من mary في كل من:

1- walking down the road john met Mary

2- john walking down the road met Mary

"عندما تنطق كلتاها بنبر وتنغيم عاديين" ومن الأهمية أن ندرك أن فكرة مكونات البنية لا تتضمن في حد ذاتها مجاورة المكونات المتشاركة.

كما لا تتضمن الفكرة أن المكونات المتشاركة يجب أن تظهر في ترتيب تسلسلي ثابت، ويحدث كذلك أن كثيرا من الترتيب التسلسلي للصبغ -وليس جميعه على الإطلاق- في اللغة الإنجليزية يكون موضوع قانون نحوي أكثر منه اتجاه أسلوبى فليست صيغ الكلمات التي مثل:

ness - frind - un - ly و friend - un - ness - ly إلخ ...

ولا التعبيرات مثل:

on table the wooden wooden table on إلخ.

صحيحة البنية، وليس من شك في أن الحالة النحوية في معظم الكلمات في كل اللغات الطبيعية يحكم الترتيب التسلسلي للمورفيمات المكونة لها قانون معين، لكن هناك اختلافا ملحوظا فيما بين اللغات فيما يتصل باستخدامها للترتيب التسلسلي في إطار سلاسل الوحدات الأكثر اتساعا، وصياغة تشومسكي لمكونات البنية وللبنية النحوية بصفة عامة جعلت من التجاور والترتيب التسلسلي -بالضرورة- مجالا للقانون.

سادسا: النحو التوليدي.

مصطلح النحو التوليدي الذي أدخله تشومسكي في علم اللغة في منتصف الخمسينات يستخدم اليوم لمعنيين مختلفين إلى حد ما. المعنى الأصلي الأضيق والأكثر تقنية يشير إلى

القوانين التي تحدد أنواعا مختلفة من النظم اللغوية، وهو ما نعينه بالنحو التوليدي في هذا القسم.

(176/1)

والمعنى الثاني الأكثر اتساعا الذي سنستخدم له مصطلح "التوليدي" يشير إلى الهيكل الكلي للافتراضات المنهجية والنظرية حول بنية اللغة وسنرجئ، مناقشته حتى الفصل السابع، ولا يعد تشومسكي مؤسس النحو التوليدي في شكله المستخدم بصورة أكثر اتساعا في علم اللغة فحسب ولكنه يعد أيضا المتحدث الرسمي باسم التوليدي، ولم يقتصر دوره المؤثر على علم اللغة وإنما تعداه إلى تخصصات أخرى، وجدير بالذكر أنه من الصعوبة أن تكون من أتباع التوليدي دون أن تهتم بالنحو التوليدي لكن من الممكن تماما أن تكون مهتما بالنحو التوليدي دون أن تقر بمبادئ النظرية اللغوية والمنهج اللذان يعدان أهم ما يميز التوليدي.

والنحو التوليدي مجموعة من القوانين التي تجري على مفردات محدودة من الوحدات تولد مجموعة "محدودة أو غير محدودة" من سلاسل الوحدات "كل سلسلة تتركب من عدد محدود من الوحدات" ومن ثم تعين كل سلسلة من الوحدات تكون صحيحة التركيب في اللغة التي يميزها هذا النحو، ونظم النحو التوليدي موضع اهتمام اللغويين سوف تخصص أيضا لكل سلسلة من الوحدات صحيحة البنية "وبصفة أخص لكل جملة" تولدها هذه النظم وصفا بنيويا مناسباً، وتعريف "النحو التوليدي" الذي عرضناه هنا أعم في جانب من جوانبه إذ ما قورن بتعريف تشومسكي، فهو يستخدم مصطلح "سلسلة وحدات" "syntagm" بينما يستخدم تشومسكي مصطلح "سلسلة" "string" أو تسلسل "sequence"، وسلسلة الوحدات تركيب من الوحدات النحوية "أو من العناصر في الفونولوجيا" وليس من الضروري أن تكون مرتبة ترتيباً تسلسلياً، وبرغم ذلك عرف تشومسكي الجمل والتعبيرات بأنها سلاسل ذات بنية وهو منطقي تماماً ويتطابق في الواقع مع التصورات التقليدية،

(177/1)

الجملة تعد كما لو كانت سلاسل من الوحدات أي: مجموعات من الوحدات جمعت معا في بنية معينة، وما يسميه النحو التقليدي اختلافا في البنية يحدده في النحو التوليدي الاختلاف الموجود في الوصف البنيوي المرتبط به.

ومصطلح يولد "generate" يستخدم هنا بمعناه المطابق لاستخدامه في الرياضيات، ولكي نوضح ذلك هب أن \times يمكن أن تأخذ قيمة أي عدد من الأعداد الطبيعية "1، 2، 3...."، فإن وظيفة $1+*$ التي يمكن أن نعتبرها مجموعة من القوانين أو العمليات تولد المجموعة "3، 7، 13 ... 1"، وهذا بالمعنى التجريدي، أو الثابت للمصطلح الوارد في "إن قوانين نحو توليدي ما تولد جملة لغة ما، ولسنا في حاجة إلى التعمق في الرياضيات، والنقطة الهامة أن "يولد" بهذا المعنى لا يرتبط بأي خطوة من خطوات إنتاج الجملة في وقت حقيقي من قبل المتكلم "أو الماكينات"، فالنحو التوليدي هو المواصفات الواضحة وضوح الرياضيات للبنية النحوية الخاصة بالجملة التي يولدها. ولا يحصر التعريف السابق إمكانية تطبيق النحو التوليدي على اللغات الطبيعية، فهذا التعريف في الواقع لا يعني ضمنا أن النحو التوليدي له أي ارتباط وثيق على الإطلاق بوصف اللغات الطبيعية، ومجموعات سلاسل الوحدات التي يصورها النحو التوليدي على أنها لغات هي ما يدعوها المناطق اللغوية الشكلية، وكل سلسلة ممكنة إما تكون صحيحة التركيب أو غير صحيحة التركيب، وليس هناك سلاسل من الوحدات ذات حالة وسطى، وأكثر من

$$\begin{aligned}
 1 \text{ فعندما تكون } \times &= 1 \text{ فإن } 1 \times + 2 \times + 1 = 1 + 1 + 1 \\
 3 = & \text{ وعندما تكون } \times = 2 \text{ فإن } 2 \times + 2 \times + 1 = 1 + 2 + 2 \\
 7 = & \text{ وعندما تكون } \times = 3 \text{ فإن } 3 \times + 2 \times + 1 = 1 + 3 + 3 \\
 13 = & \text{ وهكذا.}
 \end{aligned}$$

(178/1)

ذلك فإن كان سلسلة من الوحدات صحيحة البنية لها بنية محددة بشكل تام يحددها الوصف البنيوي الذي يخصه لها النحو، وليس من الواضح أن اللغات الطبيعية لغات شكلية بهذا المعنى، وكثير من اللغويين يقولون إنها ليست كذلك.

ولا يعني هذا أن اللغات الشكلية لا يمكن أن تكون نماذج للغات الطبيعية، وبكفي أن

خاصة الصحة النحوية إن لم تكن محددة تماما فإنها من الممكن أن تحدد بطريقة استقرائية داخل حدود مقبولة، ومثل هذه الخصائص البنيوية تعد أيضا مبنى لنموذج يجب أن يميز في أي لغة طبيعية تكون اللغة الشكلية موضع البحث نموذجاً لها، وكلمة نموذج هنا تستخدم بالمعنى الذي يمكن أن يتحدث به خبير الاقتصاد عن نموذج ما لنقل نموذج المنافسة غير السليمة أو الذي يمكن أن يتحدث به كيميائي عن نموذج البنية الذرية، وفي كلتا الحالتين يتضمن النموذج تجريداً، ومثالية، وكذلك الأمر في علم اللغة، وعلم اللغة البحث التزامني النظري الذي يهتم بالخصائص الأساسية للنظم اللغوية يمكن أن يتحمل إهمال الكثير من التفاصيل وما يتصل بالفروع الأخرى لعلم اللغة "انظر 2 - 1"، ولذلك فإن حقيقة أن اللغات الطبيعية قد لا تكون لغات شكلية لا تقف حائلاً دون تطبيق النحو التوليدي في علم اللغة.

وثمة نقطة هامة نذكرها عن تعريف النحو التوليدي المذكور سلفاً، فهو يسمح بوجود أنواع كثيرة من النظم النحوية وقضية علم اللغة النظري: أي نوع من تلك الأنواع الكثيرة بغير حدود من نظم النحو التوليدي يعد أفضل نموذج للبنية النحوية في اللغات الطبيعية؟ وطرح مثل هذه القضية يفترض ضمناً أن اللغات الطبيعية كلها يمكن أن يكون لها نموذج واحد من نوع واحد من النظم النحوية، وهذا الافتراض يثار بشكل عام هذه الأيام في علم اللغة النظري، وهو أحد الأسباب التي جعلت التوليد بين

(179/1)

يذهبون إلى أن جميع الكائنات الإنسانية قادرة من حيث الظاهر على اكتساب أي لغة طبيعية، لكن من المحتمل من حيث المبدأ أن تناسب أنواع مختلفة تماماً من النحو التوليدي وصف أنواع مختلفة من اللغات الطبيعية لكن إلى الآن ليس هناك سبب يدعونا للاعتقاد بأن ذلك كذلك.

وقد برهن تشومسكي في عمله الأول على أن بعض أنواع النحو التوليدي أقوى في الحقيقة من غيرها أي: إنها تستطيع توليد كل اللغات الشكلية التي يستطيع النحو الأقل فعالية أن يولدها وكذلك التي لا يستطيع توليدها، وقد برهن بشكل خاص على أن نظم النحو "ذات الإنتاج المحدود" أقل فعالية من نظم "النحو التحويلي" 1، والاختلاف بين تلك الأنماط الثلاثة لنظم

1 التحويل "transformation" عملية لغوية شكلية تمكن مستويين من التمثيل
البنوي من أن يكونا في موضع تناظر، ويتكون القانون التحويلي
"Transformational rule" من سلسلة من الرموز التي أعيد كتابتها
باعتبارها سلسلة أخرى وفقا لتقاليد وأعراف معينة، والطرف الأيمن للقانون يعد وصفا
بنويا أو تحليلا بنويا، والنحو الذي يعمل مستخدما هذه القوانين هو النحو التحويلي
التوليدي، ويرمز له بـ "T. G. G" وناقشه لأول مرة تشومسكي في كتابه
"Syntactic Structures" الصادر عام 1957 باعتباره صورة توضيحية
للأداة التوليدية وهو أكثر فعالية من النوعين phrase structure
grammars Finite – state grammars وقد قدمت نماذج عديدة
من النحو التحويلي منذ أول تخطيط رئيسي له بيد أن النموذج القياسي قدمه
تشومسكي في كتابه "Aspects of the theory of syntax" ويتكون من
ثلاثة مكونات:

- 1- المكون النحوي ويتضمن مجموعة أساسية من قوانين البنية النظامية أو قواعد تركيب
أركان الجملة "phrase structure grammar"، وتقدم مع المعلومات
المعجمية المعلومات الخاصة بالبنية التحتية للجملة ومجموعة القوانين لتوليد الأبنية
السطحية. =

(180/1)

النحو التوليدي "التي عدها تشومسكي ثلاثة نماذج - ومعنى نموذج هنا مختلف إلى حد-
لوصف اللغوي" لن نتعمق فيه هنا فهناك تفسيرات سهلة المنال في مستويات تقنية
مختلفة، وكل ما نحتاج قوله في النحو "ذي الإنتاج المحدود" أنه في ظل افتراضات معينة
معقولة عن البنية النظامية للغة الإنجليزية واللغات الطبيعية الأخرى أوضح تشومسكي
أن اللغات الشكلية التي يولدها هذا النحو من غير الملائم أن تكون نماذج لبعض
اللغات الطبيعية على الأقل، ونظم النحو "ذي الإنتاج المحدود" ليس فعالا من حيث
المبدأ بما فيه الكفاية ويرجع ذلك على نطاق واسع إلى أن نماذج الإنتاج المحدود التي
أسسها علماء النفس السلوكيين في الخمسينات من هذا القرن قد عني تشومسكي
بإثبات أنه من غير المناسب أن تعد نماذج للبنية النحوية للغة.
والنحو التحويلي -على الجانب الآخر- فعال بشكل مؤكد من حيث المبدأ بما فيه

الكفاية لأن يكون نماذج للوصف النحوي في نظم اللغات الطبيعية، لكن هناك كل أنواع النحو التحويلي، والمفارقة التي يمكن أن تبدو من الوهلة الأولى أن بعضها -وربما كلها- ذات فعالية كبيرة، وهي تسمح بصياغة قوانين لا تستخدم أبدا -حسب علمنا- في وصف أي لغة من اللغات الطبيعية، وما يعد مثاليا -وهو محور التوليدية- أن المرء يرغب في نمط النحو التوليدي الذي هو من القوة الكافية لأن يعكس بصورة مباشرة وواضحة خصائص البنية النحوية للغات الطبيعية المتفق بشكل عام على أنها جوهرية

= 2- المكون الفونولوجي ويحول تنابعات العناصر النحوية إلى قول يمكن النطق به.
3- المكون الدلالي ويقدم تمثيلا لمعنى المفردات المعجمية كيما تستخدم في الجملة.
والطرق التي تترايط بها هذه المكونات ترابطا داخليا موضع جدل منذ ظهور كتاب تشومسكي وقد طورت نماذج تحليلية بديلة.

(181/1)

بالنسبة لها، ورغم أن نمطا معينا من النحو التحويلي قد صاغه تشومسكي في منتصف الخمسينات وعدل مرات عديدة منذ ذلك الوقت وما زال مهيمنا على نظم الجملة النظري لعشرين عاما فإن دور القوانين النحوية كانت دائما محدودة، ومستقبل النحو التحويلي في حد ذاته "وليس النحو التوليدي" موضع شك في الوقت الراهن.
وقد وجه تشومسكي اهتماما معينا منذ البداية إلى خاصيتين في اللغة الإنجليزية واللغات الطبيعية الأخرى يجب وضعهما في الاعتبار عند البحث عن النوع الصحيح للنحو التوليدي، وهاتان الخاصتان هما: التكرار ومكون البنية "انظر 4 - 5" وكلتاها تنعكس بشكل واضح ومباشر في نحو البنية النظامية، "وتنعكسان كذلك في النحو التحويلي التشومسكي الذي يمكن وصفه بشكل تقريبي بأنه نحو البنية النظامية مع إضافة تحويلية، وفي الواقع إن القانونين "3"، و"5" في "4-5" إضافة في تصميم قوانين البنية النظامية، ووظيفتهما، توليد سلاسل الرموز ويخصص لكل واحد منهما تقويس ذو إشارات من النوع الذي أوضحناه من قبل انظر "6"، "8" في "4-5"، ومثل هذه التقويسات ذات الإشارات يشار إليها باعتبارها علامات التعبير، وحيث إن نظم نحو البنية النظامية صيغت في إطار أعم من نظم "نحو السلاسل" "أي: نظم النحو التي تولد سلاسل من

الوحدات" فإن علامة التعبير لا تمثل فقط مكون البنية في سلسلة الوحدات وصنف الصيغة في كل مكون لكنها تمثل أيضا ترتيبها المتسلسل الذي يربط الواحد منها مع الآخر.

وما دنا بصدد كتاب أساسي بهذه الطبيعة فلن نتمتع في الاختلافات الفنية بين نوع وآخر من النحو التوليدي، ومن ثم لن نطور صياغة النحو المعروف باسم نحو "البنية النظامية" أو طريقة عمله، وما نحتاج التأكيد

(182/1)

عليه هنا أنه ربما كانت هناك فوائد لنوع من النحو التوليدي لا تكون للآخر، وأنه ليس من الواضح -حتى الآن على الأقل- أي: نوع من أنواع النحو التوليدي التي تم تصميمها وبحثها يعد أفضل نموذج للوصف النحوي في اللغات الطبيعية، وعلى الرغم من وجود وجهة نظر شاعت لسنوات عديدة مؤداها أن بعض أشكال النحو التحويلي تؤدي هذا الغرض بأفضل ما يكون الأداء "حتى إن المصطلحين: "النحو التوليدي"، و"النحو التحويلي" اعتبرا -على نحو متكرر- مترادفين" فإن العمل الحديث يبدى تشككه في صحة المناقشات التي قادت تشومسكي وغيره إلى هذه النتيجة.

(183/1)

الفصل الخامس الدلالة.

أولاً: اختلاف المعنى

علم الدلالة هو دراسة المعنى، لكن ما المعنى؟ ناقش الفلاسفة هذا السؤال خاصة فيما يتعلق باللغة لفترة تزيد على ألفي عام، ولم يقدم واحد منهم إجابة مرضية عليه، وقد يكون أحد أسباب ذلك أن هذا السؤال بالصيغة التي طرح بها لا يمكن الإجابة عنه، فهو يضع افتراضين سبقيين أقل ما يقال عنهما أنهما مشكلان، الافتراض الأول أن لما نشير إليه في اللغة الإنجليزية بكلمة "meaning" "معنى" نوع ما من الوجود أو الواقع، والافتراض الثاني أن ما يشار إليه باعتباره معنى يتشابه -إن لم يتطابق- في طبيعته، ويمكن أن نطلق عليهما حسب ترتيبهما: الافتراض المسبق للوجود، والافتراض المسبق للتجانس.

ولا أقول إن هذين الافتراضين المسبقين غير حقيقيين لكنهما ببساطة موضع جدال فلسفي، وكثير من الدراسات التمهيدية لعلم الدلالة تعامل هذه الحقيقة معاملة خشنة، وسنحرص فيما بعد على ألا نلزم أنفسنا بأي من هذين الافتراضين المسبقين، وسوف نتجنب -بصفة خاصة- القول بما تذهب إليه كتب أساسية عديدة في علم اللغة من أن اللغة تقيم جسرا بين الصوت والمعنى، وتقاريرات مثل هذه يمكن -وهذا صحيح- أن تأخذ تفسيراً معقداً إلى حد ما يجعلها أكثر قبولا عما تبدو عليه من الوهلة الأولى، وهي على كل حال

(184/1)

-بمراعاة قيمتها الظاهرية -مضللة وذات نزعة فلسفية، وتشجعنا على الاعتقاد بأن المعنى مثل الصوت يوجد بشكل مستقل في اللغة وأنه متجانس في الطبيعة. والتفكير في المعنى بهذه الطريقة تقليدي -بطبيعة الحال- بما فيه الكفاية، والمعاني تبعا للنظرية التي حازت القبول الأكثر اتساعا في علم الدلالة أفكار أو تصورات يمكن أن تنتقل من عقل المتكلم إلى عقل المستمع بتجسيدها -إن جاز التعبير- في صيغ لغة أو أخرى.

وتحديد المعنى بالتصورات لن يساعدنا في الإجابة على السؤال: "ما المعنى؟" ما لم يحدد مصطلح "تصور" تحديدا واضحا، وهذا المصطلح -كما هو مستخدم بشكل عام- غير واضح أو عام أكثر مما ينبغي لأن ندعم الثقل الذي يقتضيه دوره كحجر الزاوية في النظرية التصويرية التقليدية للمعنى، ما القاسم المشترك الموجود فيما بين التصورات المرتبطة بالكلمات الآتية: "ال" و"ل"، و"أنا"، و"أول" و"سنة"، و"قليل"، و"يكتب"، و"ثلاثة"، و"مدرسة"، و"ولد"، و"تطور"، و"اسم"، و"كل شيء" **"everything"**؟ ويمكن في بعض الحالات -بشكل معقول- أن نقول إن التصور المرتبط بالكلمة خيال مرئي من نوع ما لكننا لا نستطيع -بكل تأكيد- أن نحفظ بهذه الرؤية فيما يتصل بكلمات مثل: "ال"، و"ل"، و"كل شيء"، أو حتى "اسم"، وحتى في الحالات التي يكون من المقبول أن نعد التصور خيالا مرئيا فإن ذلك يخلق من المشكلات أكثر مما يحل، والتخيلات العقلية التي يربطها أناس مختلفون بكلمة مثل مدرسة" متنوعة، وملبئة بالتفاصيل، ويوجد عادة قاسم مشترك ضئيل، وقد لا يوجد قاسم مشترك بين هذه

التفصيلات والتخييلات العقلية الشخصية إلى حد بعيد، ومع ذلك ما نزال نرغب في القول بأن الناس -بشكل عام- يستخدمون الكلمات

(185/1)

بنفس معانيها إلى حد ما، ولا يوجد ما يدعونا إلى افتراض أن التخييلات المرئية التي ترتبط بكلمات معينة جزء أساسي من معنى تلك الكلمات أو أنها ضرورية للاستخدام اليومي لهذه الكلمات.

ولا يوجد -في الحقيقة- ما يدعونا إلى افتراض أن تلك التصورات -بأي معنى محدد بوضوح لمصطلح تصور- وثيقة الصلة ببنية نظرية دلالية لغوية من الممكن تبريرها من الناحية التجريبية، ومن الواضح أننا لن نكسب شيئاً من وراء استخدامنا لمصطلح "تصور" المغرق في غموضه حسبما يفسر عادة ونحن بصدد المحافظة على نظرية دلالية تعتمد على هذا المصطلح من التنفيذ والدحض، ولن نلجأ إلى التصورات عند مناقشتنا للمعنى.

وبدلاً من أن نسأل: "ما المعنى؟" نطرح سؤالاً مختلفاً إلى حد ما: "ما معنى 'المعنى'؟" وغيّر محور الاهتمام من الحديث عن المعنى إلى الحديث عن مصطلح "المعنى"، ولهذا التحول فوائد عديدة، أولها أنه لن يلزمنا بالافتراض المسبق للوجود فيما يتعلق بالكلمة الإنجليزية "meaning" "معنى"، بيد أن ذلك خال من السلبيات بما فيه الكفاية، فالفائدة الإضافية لهذا التحول من الحديث عن الأشياء إلى الحديث عن الكلمات "إذا أمكن أن أصوغ مميزاً -صياغة فجأة إلى حد ما- بين عبارة الكلمات وعبرة الأشياء" أنه يجعلنا بصورة حاسمة ضد احتمال أن تكون الكلمة الإنجليزية "meaning" "معنى" مختلفة من حيث التطبيق عن أي كلمة مفردة أخرى في اللغات الأخرى، والأمر كذلك، فهناك سياقات يمكن أن تترجم فيها كلمة "meaning" إلى كلمة "signification" أو "sens" في اللغة الفرنسية، وهناك سياقات لا يمكن فيها ذلك، وبالمثل فإن الفارق بين الكلمتين الألمانية "Bedeutung" و"sinn" في اللغة الألمانية في الاستخدام المعتاد لا يتناظر

(186/1)

مع الفارق بين الكلمتين الفرنسييتين "signification" و "sens" أو الفارق بين الكلمتين الإنجليزيتين "meaning" و "sneq"، ومن الممكن أن ندرك على الأقل أنه بصياغة سؤالنا: ما معنى "المعنى"؟ في اللغة الإنجليزية أكثر منه في لغة أخرى نؤثر مهما كان تأثيرنا ضئيلا في بناء النظرية الدلالية، وفيما يخص علم الدلالة فقد ذكرنا أنه دراسة المعنى أي: كل ما تغطيه كلمة "معنى"، وليس لدينا سبب يجعلنا نفترض أن كلمة مستخدمة استخداما يوميا مثل "معنى" تختلف عن كلمة مستخدمة استخداما يوميا مثل قوة أو طاقة يمكن اقتباسها دون تهذيب أو إعادة تعريف للأغراض العلمية.

وقد ذكرت أن السؤال: "ما معنى" "المعنى"؟ " لا يلزمنا بالافتراض المسبق للتجانس، وثمة حقيقة هامة عن معظم الكلمات اليومية فهي ليس لها معنى مفرد واضح المعالم أو حتى مجموعة من المعاني يمكن تمييز كل معنى منها عن غيره تمييزا قاطعا، وكلمة معنى نفسها ليست مستثناة من هذه الحقيقة، ولذلك فليس مفاجئا أن نجد قدرا ضئيلا من الاتفاق بين اللغويين والفلاسفة فيما يتعلق بحدود الدلالة، وهناك من يتخذ وجهة نظر واسعة في الدلالة كما سأفعل هنا، وهناك آخرون يجعلون مجال الدلالة أكثر ضيقا.

وليس الأمر ببساطة مسألة اختيار سواء أكان اختيارا عشوائيا أم غير عشوائي فيما يتعلق بالتفسير المتسع نسبيا، والتفسير الضيق نسبيا للمعنى، وكما قلت منذ لحظات فإن المعاني التي يمكن تمييزها لكلمة "معنى" يمكن أن يتحول الواحد منها إلى الآخر، وسيتفق الجميع على أن استخدامات معينة لمصطلح "معنى" تقع في بؤرة اهتمام علم الدلالة اللغوية أكثر من استخدامات أخرى فعلى سبيل المثال:

(187/1)

1 "life" what is the meaning of

يوضح استخداما لكلمة "معنى" أقرب إلى الاستخدام الرئيسي من:

2 what is the meaning of life

واستخدام الفعل "mean" "يعني" من وجهة النظر الدلالية اللغوية - من ناحية

أخرى - في 3، 4 أكثر مركزية منه في "5"

3 "The french word "fenetre" means "window"

4 "The french word "fenetre" means the same as the 4"

English word "window"

5.5 He is clumsy but he means well

والمشكلة أن هناك استخدامات وسيطة لكل من "meaning" "معنى"، و mean "يعني" تعد مجالا لعدم الاتفاق، وقد أثبت بعض الفلاسفة أن الاستخدامات اللغوية الأكثر وضوحا التي تتعلق بمعنى الكلمات، والجمل، والأقوال لا يمكن تفسيرها تفسيراً مرضياً بطريقة أخرى تختلف عن اشتقاق هذه الاستخدامات أو المعاني اللغوية الواضحة من الاستخدامات الوثيقة التي لا يبدو أنها تنطبق على اللغة وحدها بل تنطبق أيضاً على أنواع أخرى من السلوك السيميولوجي "انظر 1 - 5".

1 ما معنى "الحياة"؟

2 ما معنى الحياة؟

3 كلمة "fenetre" الفرنسية تعني: window في اللغة الإنجليزية.

4 الكلمة الفرنسية "fenetre" لها معنى الكلمة الإنجليزية "window" ذاته.

5 هو ثقيل لكنه يعبر بطريقة جيدة.

(188/1)

ولا أستطيع أن أتعلم في هذه القضية في هذه الدراسة التمهيديّة المختصرة المختارة للدلالة اللغوية، ومع ذلك فمما يهم أي فرد يعني على أية حل ببنية اللغة ووظائفها أن يعرف أن هناك تقليداً فلسفياً غنياً ومعقداً يتكئ في نقاط عديدة على قضايا أساسية في دراسة اللغويين للمعنى، وسأستمر في استخدام مصطلح "معنى" "meaning" خلال هذا الكتاب دون تعريف على أنها كلمة غير اصطلاحية في اللغة الإنجليزية اليومية، بيد أني سأركز على أنواع معينة من المعنى أو على جوانب معينة منه ذات أهمية خاصة في علم اللغة، وسندخل بعض المصطلحات الأكثر تقنية لنشير إليها عند الاقتضاء. ومن المميزات الواضحة المرسومة تلك التي تميز بين معنى الكلمات أو المفردات بصورة أكثر وضوحاً ومعنى الجمل أي: بين المعنى المعجمي ومعنى الجملة، وإلى عهد قريب كان اللغويون يوجهون اهتماماً للمعنى المعجمي أكبر بكثير مما يوجهونه لمعنى الجملة، ولم يدم ذلك طويلاً فقد أصبح من المسلم به الآن - بشكل عام - أن المرء لا يستطيع أن يفسر الواحد منهما دون أن يفسر الآخر، ويعتمد معنى جملة ما على معنى مفرداتها المكونة لها "بما فيها المفردات التعبيرية إن وجدت انظر 5 - 2"، ويعتمد معنى بعض المفردات -

إن لم يكن كلها- على معنى الجمل التي تذكر فيها، بيد أن البنية النحوية للجمل - كما هو واضح بداهة وكما سنبرهن على ذلك فيما بعد- وثيقة الصلة أيضا بتحديد معانيها أي: يجب أن نأخذ أيضا في حسابنا المعنى النحوي باعتباره مكونا إضافيا لمعنى الجملة " انظر 5 - 3"، وبقدر ما يهتم علم اللغة اهتماما أساسيا بوصفه النظم اللغوية "انظر 2 - 6" يقع المعنى النحوي والمعنى المعجمي ومعنى الجملة بشكل واضح في مجال الدلالة اللغوية.

ومكانة معنى القول مثار جدل كبير إلى حد ما، ولم نحدد إلى هذه اللحظة

(189/1)

الفارق المميز بين الجمل والأقوال رغم ذكره في الفصل السابق "انظر 4 - 4"، فمعنى قول ما يشتمل على معنى الجملة المنطوقة إلا أن معناها لا يستنفد معناه، ويرجع بقية معناه إلى عوامل متنوعة يمكن أن نعرفها بشكل تقريبي بالعوامل السياقية، ويذهب كثير من الباحثين إلى أن معنى القول يقع خارج نطاق الدلالة اللغوية في حد ذاته وداخل ما يصلق عليه البراكمانية أو دراسة الأقوال الفعلية "انظر 5 - 6"، وهو مثار جدل كما رأينا من قبل وذلك لأن مفهوم معنى الجملة يمكن إثبات أنه يعتمد على مفهوم معنى القول من ناحيتين المنطقية والمنهجية لدرجة أن المرء لا يستطيع أن يقدم تفسيراً كاملاً لمعنى الجملة دون ربط الجملة - من حيث المبدأ- بسياقات القول المحتملة. وثمة مجموعة أخرى تتعلق بتنوع الوظائف الاتصالية والسيمولوجية التي تستخدم اللغات من أجلها، ولا يتعلق كل الناس مع الاقتراح الذي قدمه وتجنستين **witgensteine** "واحد من أعظم فلاسفة اللغة تأثيراً في عصره" من أن معنى كلمة ما أو قول ما يمكن بشكل مألوف أن يتحدد باستخدامه، غير أن هناك - بشكل واضح- أنواعاً من العلاقة بين المعنى والاستخدام وكان لتأكيد وتجنستين على هذه العلاقة وعلى تعدد الأغراض التي تفي بها اللغات الأثر المفيد في تشجيع الفلاسفة واللغويين في الخمسينات والستينات على مناقشة -أو التخلي التام عن- الافتراض التقليدي الذي يذهب إلى أن دور اللغة أو وظيفتها الأساسية توصيل المعلومات الافتراضية أو الحقيقية، ولا يمكن بطبيعة الحال أن ننكر أن اللغات لها ما سوف أشير إليه باعتباره وظيفة وصفية، ويمكن أيضاً أن يكون الأمر أنه لا يمكن استخدام نظام سيميولوجي آخر بهذه الطريقة لصياغة

الأخبار التي إما أن تكون حقيقية أو زائفة تبعا لما إذا كان الوضع الذي يفهم من الوصف موجودا أم لا، ومع ذلك فللغات وظائف سيميولوجية أخرى.

(190/1)

وترتبط بعض هذه الوظائف ارتباطا نظميا بالوظيفة الوصفية أو وظيفة الإدلاء بالتصريحات، وترتبط بعلاقة متبادلة -وفقا لما سبق- مع الاختلافات البنيوية فيما بين الجمل، فعلى سبيل المثال - كما ذكرنا من قبل - الاختلافات الوظيفية بين التصريحات "أو الأخبار"، والأسئلة، والأوامر ترتبط بعلاقة متبادلة في لغات كثيرة مع الاختلاف البنيوي بين الجمل الخبرية، والاستفهامية، والطلبية، وقد أدرك ذلك الفلاسفة والنحاة منذ عهد طويل، وعلى كل حال نالت طبيعة هذه العلاقة المتبادلة اهتماما كبيرا منذ فترة قريبة، وأكثر من ذلك فمن المعروف أن الأخبار، والأسئلة، والأوامر ليست سوى قليل من كثير من الأحداث الكلامية التي يمكن تمييزها من الناحية الوظيفية التي تتبادل الارتباط معا بطريقة نظامية بطرق مختلفة، وواحدة من أكثر المناقشات حيوية في السنوات الأخيرة في الدلالة اللغوية والفلسفية تركزت على قضية ما إذا كانت الأخبار ليست سوى نوع من الأنشطة الكلامية ضمن أصناف كثيرة، وليس لها أي نوع من الصدارة المنطقية أم أنها تؤلف الصنف الخاص والأساسي من الناحية المنطقية الذي يمكن أن تشتق منه -بمعنى أو بآخر- الأحداث الكلامية الأخرى، وما زالت هذه النقطة الخلافية بلا حل، وسنلقي نظرة عليها فيما بعد "5 - 4، 5 - 6".

نستطيع إذن أن نرسم فاصلا بين المعنى الوصفي للأخبار، والمعنى غير الوصفي للأنواع الأخرى من الأحداث الكلامية، ونستطيع أيضا أن نحدد -مؤقتا على الأقل- المعنى الوصفي لقول ما بالخبر المؤكد عليه في التصريحات، ويمكن أن يكون في أحداث كلامية أخرى لا سيما الأسئلة إلا أنه لا يكون مؤكدا، فعلى سبيل المثال القولان التاليان 6، 7، وهما خبر وسؤال على الترتيب حسب المقصود والمفهوم منهما.

(191/1)

John gets up late1 -6

Dees John get up late2 -7

يمكن أن يقال بوجود أو استمرار خبر واحد فيهما مع أن 6 وحدها هي التي تؤكد، ومن ثم تصف -أو يفهم منها من حيث الظاهر أنها تصف- وضعاً معيناً، فهي تحدد خاصة الإخبار من حيث إنها ذات قيم صدق محددة أي: إنها إما أن تكون حقيقية أو زائفة، ولذلك يوجد ارتباط جوهري بين المعنى الوصفي والصدق، وهذا الارتباط -كما ستري فيما بعد- يعد في بؤرة علم الدلالة المتصفة بشروط الصدق 3، وهو -كما ستري فيما بعد- يحصر مجال مصطلح "الدلالة" بحيث لا يغطي سوى المعنى الوصفي "انظر 5 - 6".

ومما سبق يتضح أن بعض الأقوال -على الأقل- لها كلا المعنيين الوصفي وغير الوصفي، وفي الحقيقة يمكن إثبات أن الأغلبية العظمى للأقوال اليومية إما تصريحات أو غير تصريحات، فإن كانت غير تصريحات سواء أكانت ذات معنى وصفي أم لا فإنها تحمل ذلك المعنى غير الوصفي المعروف -بشكل عام- بالمعنى التعبيري، والاختلاف بين المعنى التعبيري والمعنى الوصفي أن الأخير بخلاف الأول ليس خبرياً ولا يمكن شرحه بواسطة الصدق، فعلى سبيل المثال

1 استيقظ جون متأخراً.

2 هل استيقظ جون متأخراً؟

3 علم الدلالة المتصفة بشروط الصدق conditional - th semattics

مدخل إلى علم الدلالة يؤكد على أن المعنى يمكن أن يحدد من خلال الشروط الموجودة في العالم الحقيقي التي يمكن أن تستخدم في ظلها الجملة لتصنع تصريحاً حقيقياً، ويمكن تمييزها عن مداخل تحدد المعنى من خلال الشروط الموجودة في استخدام الجمل في عملية الاتصال وذلك مثل وظيفة الجملة من خلال الأحداث الكلامية أو ما يعتقد المتكلم في الجملة.

(192/1)

إذا هتف شخص ما "يا للسماء!" بنبر وتنغيم يعبران عن الدهشة فإننا من الممكن أن نقول إنه مندهش "أو غير مندهش"، وبناء عليه فإن: "جون مندهش" على فرض أن جون اسمه "تصريح حقيقي" أو زائف"، بيد أنه من السخف أن نقرر أن "يا للسماء" تصف مشاعر المتكلم أو حالته الذهنية كما تفعل "جون مندهش"، وإذا ما فعلنا ذلك

نكون قد ارتكبنا ما يعده بعض الفلاسفة مغالطة وصفية أو طبيعية و"يا للسماء" "Good heavens" -بطبيعة الحال- مثال واضح لما يعد في النحو التقليدي تعجبا، ويعالج بشكل متكرر على أنه صنف من الأقوال التي تتميز عن التصريحات والأسئلة، والأوامر، وأكثر من ذلك فهو التعجب الذي لا يمكن ربطه مع تصريح مناظر بالمعنى الوصفي ويختلف لنقل عن:

oh Granny what big teeth yuo ve got1

لكن من الممكن أن توجد تصريحات تعجبية، وأسئلة تعجبية، وأوامر تعجبية وهلم جرا، وفي الحقيقة لا يتعدى التعجب طريقا واحدا يعبر "أو يكشف" فيه متكلم "أو كاتب" عن انفعالاته، ومواقفه، ومعتقداته، وشخصيته، وبقدر ما لا نستطيع -في الملاذ الأخير- أن نرسم مميزا بين شخص ما وشخصيته أو مشاعره يكون من المنطقي أن نفسر مصطلح "التعبير عن الذات" تفسيرا أدبيا، ويرتبط المعنى التعبيري بكل الأشياء التي تقع في مجال "التعبير عن الذات" ويمكن أن ينقسم إلى أنواع أصغر بطرق متنوعة لأغراض معينة، ومن هذه الأنواع المعنى الانفعالي "أو العاطفي"2 ويوليه

1 جرائي ما هذه السنة الكبيرة.

2 المعنى الانفعالي للتعبير يشير إلى الأثر الانفعالي على المستمع كما في المحتوى الانفعالي للكلام الدعائي "Propaganda speech" ولغة الإعلام "advertising language" ... إلخ.

(193/1)

نقاد الأدب والفلاسفة العقلانيون اهتماما خاصا.

ويختلف المعنى الاجتماعي إلى حد ما عن المعنى التعبيري مع أن الواحد منهما -كما سنرى فيما بعد- يندمج مع الآخر، ويمكن أن يعد كل منهما معتمدا على الآخر، وهو ما يتعلق باستخدام اللغة في تأسيس الأدوار والعلاقات الاجتماعية وتدعيمها، وكثير من أحاديثنا اليومية لها هذا الدور باعتباره الغرض الرئيسي لها، ويمكن أن تندرج تحت مصطلح المشاركة الانتباهية "أي: المشاركة عن طريق الكلام"، وهذا التعبير الموفق صاغه مالينوفسكي "Malinowski" العالم الأنثروبولوجي في العشرينات من هذا القرن واستخدمه اللغويون استخداما واسعا منذ ذلك الوقت، ويؤكد على فكرة

المشاركة والممارسة في الطقوس الاجتماعية التي تشترك فيها مجموعة، ومن ثم كانت
"المشاركة" "communion" أفضل من "الاتصال"
"communication".

وأكثر الأقوال الطقسية وضوحاً -التحايا والاعتذارات والأُنخاب.... إلخ وهي تلك التي
تنحصر وظيفتها في تزييت عجلات التعامل الاجتماعي، وهذه الأقوال ثانوية إذا ما
نظرنا إليها من وجهة النظر التي يمكن أن تميز -على نحو صحيح- أكثر الوظائف
أساسية للغة بالمقارنة مع الوظائف الأخرى بما فيها وظيفتها الوصفية، وفي العادة يكون
السلوك اللغوي ذا هدف، حتى التصريحات العلمية الهادئة الخالية من العاطفة والحماس
والتي يكون المعنى التعبيري المرتبط بها في حده الأدنى يكون من أهدافها -عادة-
كسب الأصدقاء والتأثير على الناس، وعموماً فإن ما يقال والطريقة التي يقال بها
تحددها -في أي سياق تستخدم فيه اللغة وبصورة أوضح في المحادثات اليومية-
العلاقات الاجتماعية التي تسود فيها بين المشتركين والأغراض الاجتماعية الخاصة بهم،
وسوف نلقى نظرة على المعنى الاجتماعي بصورة أكثر تحديداً في الفصلين التاسع
والعاشر

(194/1)

بيد أن النقطة التي تتولد مباشرة في أذهاننا من خلال هذا الفصل أن اللغات تختلف من
حيث الدرجة التي يجوز -أو يجب- فيها أن ينتقل المعنى الاجتماعي في الجمل باختلاف
أنواعها، وبناءً على ذلك يجب ألا نعتقد أن المعنى الاجتماعي يمكن أن يترك لعالم الاجتماع
اللغوي ولا يكون موضع اهتمام اللغوي البحت الذي تحدد آفاقه العقلية التعريف
الضيق عن عمد للنظام اللغوي باعتباره مجموعة من الجمل "2 - 6".
ويمكن أن نتعرف على أنواع أخرى للمعنى، وسنذكر بعض هذه الأنواع فيما بعد في هذا
الفصل، وفي غرضنا الآن أن نقول إن المعنى ينقسم إلى ثلاثة أقسام: وصفي وتعبيري
 واجتماعي، وتبقى ملاحظتان تتصلان به، الملاحظة الأولى أنه ما دام الإنسان كائنًا
اجتماعيًا، وما دامت بنية اللغة يحددها ويدعمها استخدامها في المجتمع فإن التعبير عن
الذات بشكل عام، والتعبير عن الذات بواسطة اللغة بصفة خاصة يحكمه على نطاق
واسع إلى حد كبير القواعد السلوكية والطبقية المفروضة المتعارف عليها من الناحية
الاجتماعية، ومعظم مواقفنا ومشاعرنا ومعتقداتنا -معظم ما نعتقد أنه شخصي أو

ذاتي- نتاج مشاركتنا الاجتماعية، وإلى هذا الحد يعتمد المعنى التعبيري على العلاقات والأدوار الاجتماعية، وفي نفس الوقت يساهم ما يمكن أن نعهده تعبيراً عن الذات في تأسيس أو تدعيم أو تغيير هذه العلاقات والأدوار الاجتماعية، وهو ما قصدته عندما قلت من قبل إن المعنيين التعبيري والاجتماعي يعتمد كل منهما على الآخر. والملاحظة الثانية أنه بينما يختص المعنى الوصفي باللغة فإن المعنى الاجتماعي، والمعنى التعبيري -بلا ريب- لا يختصان بها، فهما موجودان في النظم السيميولوجية الطبيعية الأخرى الإنسانية وغير الإنسانية، ومن المثير -في هذه القضية-

(195/1)

أن نعود إلى مناقشتنا لبنية اللغة من وجهة النظر السيميولوجية "انظر 1 - 5" وقد رأينا هناك أن المكون الشفهي لإشارات اللغة هو الذي يميزها بشكل أكثر وضوحاً عن أنواع أخرى من الإشارات الإنسانية والإشارات غير الإنسانية، ويمكن الآن أن نشير إلى أن المعنيين التعبيري والاجتماعي محمولان في العنصر غير الشفهي للغة على نحو مميز على الرغم من عدم اقتصاريهما عليه بينما يقتصر المعنى الوصفي على المكون الشفهي، ومع هذا فوظائف اللغات ليست أقل اندماجاً بصورة وثيقة من مكوناتها البنيوية التي يمكن تمييزها الأمر الذي يعزز ما قلناه عن العلاقة بين اللغة واللغة سواء أكد المرء على أوجه الشبه أو أوجه الخلاف وسواء اعتمد على وجهة نظر شخصية أو متخصصة، وسنعي في هذا الفصل بالدلالة اللغوية أي: دراسة المعنى في اللغات الطبيعية ويخضع لقيود إضافية تقتضيه ضمناً الأشياء المسلم بها في النظام اللغوي "انظر 2 - 6" ومن الممكن تبني وجهة نظر أكثر اتساعاً.

(196/1)

ثانياً: المعنى المعجمي "التجانس وتعدد المعنى والترادف"
كل لغة تحتوي على مجموعة المفردات "أو المعجم" التي تتكامل مع النحو حيث إن مجموعة المفردات لا تسجل مفردات اللغة فحسب "وتفهرس هذه المفردات بواسطة صيغها الاستشهادية أو جذوع الصيغ أو من حيث المبدأ بأي طريقة أخرى تميز المفردات الواحدة منها عن الأخرى" لكنها تربط بكل مفردة جميع المعلومات التي

تقضي بها قوانين النحو، وهذه المعلومات النحوية نوعان: معلومات نظامية، ومعلومات صرفية فعلى سبيل المثال المفردة الإنجليزية "go" ينبغي أن يرتبط بها في مدخلها المعجمي معلومات تفيد أنها تنسب إلى صنف فرعي واحد أو أكثر من الأفعال اللازمة، وكل المعلومات الضرورية، بما فيها الجذع أو الجذوع لاختيار صيغها أو بنائها "go, goes, going, went, gone"

والمفردات ليست جميعها مفردات كلمات "أي: مفردات صيغها صيغ كلمات"، فكثير منها مفردات تعبيرية "أي: المفردات التي صيغها تعبيرات بالمعنى التقليدي لهذا المصطلح" فعلى سبيل المثال فيما بين مفردات التعبير في اللغة الإنجليزية التي نتوقع أن نجد لها مدرجة في أي قاموس لها:

put up with¹

pig in a Poke²

red herring³

draw a bow at a venture⁴

go for a song⁵

وتميل مفردات التعبير لأن تكون اصطلاحية⁶ من الناحية النحوية أو الدلالية

1 يعاني دون شكوى أو ضجر.

2 يشتري شيئاً دون أن يراه أو يعرف قيمته.

3 رنجة.

4 يتهور "ببالغ في المخاطرة".

5 يخرج من أجل الغناء.

6 مصطلح يستخدم في النحو والدلالة يشير إلى سلسلة كلمات مقيدة على المستويين

النحوي والدلالي ومن ثم توظف باعتبارها وحدة مفردة، ومن وجهة النظر الدلالية لا

تستطيع معاني الكلمات المفردة أن تحصل أو تجمع لإنتاج معنى التعبير الاصطلاحية،

ومن وجهة النظر النحوية لا يسمح للكلمات في التعبير الاصطلاحية بالتنوعات

الموجودة في السياقات الأخرى، فعلى سبيل المثال لا تسمح التعبير الاصطلاحية: its

its raining a cat and a raining cats and dogs بما يلي:

dog dogs and eats

أو من كلتا الناحيتين أي: إن توزيعها خلال جمل اللغة أو معناها لا يمكن التنبؤ به من الخصائص النظامية والدلالية لمكوناتها، ومفردات التعبير - كما يتضح من "red herring" وربما اتضح في "pig in a poke"، و "draw a pow at a venture" يمكن بصفة عامة أن تناظر تعبيرات غير اصطلاحية "بعض صيغها أو جميعها تتطابق مع مفردات التعبير المناظرة"، ومثل هذه التعبيرات غير الاصطلاحية ليست مفردات أي: ليست جزءا من مفردات اللغة، وعندما يمكن أن توضع مفردة تعبيرية اصطلاحية من الناحية الدلالية مع تعبير غير اصطلاحية فمن التقليدي أن نقول إن الأخيرة ذات معنى حرفي في مقابل المعنى الاصطلاحي أو الاستعاري أو المجازي للأولى.

ولن نضيف شيئا إلى ما قلنا عن المفردات التعبيرية في حد ذاتها أو عن الأنواع والدرجات المختلفة للاصطلاحية التي توجد في اللغة، لكننا سوف نرجع إلى الفارق المميز بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي الذي يرسم أحيانا فيما يتعلق بالمعاني التي يمكن تمييزها في كلمات المفردات وأيضا فيما يتعلق بمعاني التعبيرات المعجمية، والتعبيرات غير المعجمية المناظرة، ويجب أن نؤكد هنا أنه على الرغم من أننا نتكلم بشكل غير دقيق عن معجم لغة ما باعتباره يتألف من الكلمات "أي: مفردات الكلمات" في تلك اللغة فإن مفردات الكلمات لا تشكل سوى جانب من مجموع المفردات في أي لغة طبيعية، ومصطلح "معنى معجمي" الذي استخدم عنوانا لهذا القسم يفسر على أنه "معنى المفردات" ويمكن أيضا أن نذكر هنا أنه على الرغم من وجود قدر كبير من الحالات الواضحة لمفردات التعبير في أي لغة فمن المحتمل أن تكون هناك تعبيرات كثيرة يمكن أن يدور جدل حول كونها مفرداتية أو غير مفرداتية، وليس هناك بصفة عامة معيار مقبول يمكننا من رسم فارق مميز بين مفردات التعبير

(198/1)

من ناحية والمسكوكات أو التراكيب الثابتة من ناحية أخرى، وما هو إلا سبب واحد وراء كون مجموع مفردات أي لغة طبيعية على الرغم من أنها محدودة العدد إلا أنها غير محدودة الشكل.

وهناك سبب آخر يتعلق بصعوبة التمييز بين التجانس، وتعدد المعنى، ويطلق التجانس

بشكل تقليدي على الكلمات "أي: المفردات" المختلفة ذات الصيغة الواحدة، وحيث إن المفردات يمكن أن يكون لها أكثر من صيغة واحدة، وليس من غير الشائع أن تشترك مفردة أو أكثر -لكن ليس جميع المفردات- في صيغها "ولا تشتمل الصيغ المشتركة-بالضرورة- على الصيغة الاستشهادية أو الصيغة الأساسية" ويحتاج التعريف التقليدي للتجانس -بصورة واضحة- إلى تحسين يسمح بأنواع مختلفة من التجانس الجزئي، وأي تحسين يتطلب أن نأخذ في اعتبارنا احتمال عدم التطابق بين وحدات اللغة المنطوقة ووحدات اللغة المكتوبة أي: إمكانية وجود مشتركات صوتية ليست مشتركات هجائية والعكس بالعكس "انظر 3 - 2"، وعلى كل حال فليس من الصعوبة أن نصنع أدوات ضبط ضرورية للتعريف التقليدي للمشارك اللفظي "التجانس" على أساس ما قيل في الفصول الأولى، وسأفترض أن القارئ يستطيع أن يفعل ذلك وأن يقدم من اللغة الإنجليزية أمثلة مناسبة توضح أنماطاً فرعية مختلفة من التجانس التام والتجانس الجزئي، ولا يعيننا هذا الجانب من مشكلة التمييز بين الاشتراك اللفظي "التجانس"، وتعدد المعنى.

وتعدد المعنى صفة للمفردات الأحادية وهو ما يفرق -من حيث المبدأ- بينه وبين التجانس فعلى سبيل المثال "bankl"، و"bank2" "وتعنيان على الترتيب "جانب النهر"، و"مؤسسة مالية"، تعدان عادة كلمتين متجانستين، بينما يعالج الاسم "meek" في المعاجم النموذجية للغة الإنجليزية كمفردة أحادية

(199/1)

مع معان عديدة يمكن التمييز بينها أي: باعتبارها متعددة المعنى، وتضبط رموزنا الفارق بين التجانس وتعدد المعنى انظر "bankl": "bank2" وكل منهما يمكن أن تكون في الواقع متعددة المعنى لكن "neck" لها -على وجه التقريب- المعاني الآتية: "neckl" = الرقبة، "neck2" = ياقة القميص أو الثوب، و"neck3" = عنق الزجاجة، و"neck4" = شريط ضيق من الأرض ... إلخ، وتحترم كل المعاجم القياسية الفاصل المميز بين التجانس وتعدد المعنى لكن كيف تفرق بينهما؟. والتأثيلية أحد المعايير، فعلى سبيل المثال "meall" "وتعني وجبة أو وليمة" و"meal2" "وتعني دقيق أو طحين" تعدان مفردتين مختلفتين في معظم المعاجم ويرجع السبب الأساسي -إن لم يكن الوحيد- إلى أنهما مشتقان من الناحية التاريخية من

مفردتين غير متجانستين في اللغة الإنجليزية القديمة، ولا يتصل المعيار التأيلي - كما رأينا من قبل - بعلم اللغة الوصفي "انظر 2 - 5"، ولا يعتبر الاختلاف في أي حالة - على الرغم من أن المعجميين قد يتمسكون بأنه يشكل شرطاً كافياً للتجانس - الشرط الضروري أو حتى الأكثر أهمية في تمييز التجانس عن تعدد المعنى. والاعتبار الرئيسي قرابة المعنى، فالمعاني العديدة للمفردة الواحدة المتعددة المعنى "على سبيل المثال. "neck1"، "neck2"، "neck3" .. إلخ" تعتبر معان ذات قرابة، وإذا لم يتحقق هذا الشرط فإن صانع المعجم يفضل أن يجعله من قبيل التجانس أكثر من أن يكون من قبيل تعدد المعنى، ويضع مداخل معجمية مختلفة عديدة في المعجم "neck1"، و"neck2"، و"neck3" إلخ"، وهناك بعد تاريخي لقرابة المعنى وهو ما يعقد هذه المسألة، فعلى سبيل المثال يمكن أن يتضح أن معنى "pupil"،

(200/1)

"تلميذ"، ومعنى "pupil2" "بؤبؤ العين أو إنسانها" ذوا قرابة تاريخية مع أحدهما قد اختلفا عبر الزمن إلى الدرجة التي لا يعتقد متكلم بالإنجليزية في قرابتهما التزامنية، وهي القرابة التزامنية التي سنكون بصدددها فيما بعد. ومن السهولة أن نرى أنه بينما تكون مسألة التطابق في الصيغة مسألة قاطعة "هناك تطابق أو ليس هناك تطابق" فإن قرابة المعنى مسألة تقريبية، ولهذا السبب فإن التفرقة بين التجانس وتعدد المعنى - على الرغم من سهولة صياغتها - صعبة التطبيق بثبات وثقة.

واقترحت بعض المعالجات الحديثة للدلالة أن يحسم المرء المعضلة ويفترض التجانس - مفضلاً إياه على تعدد المعنى - في كل الأمثلة، وعلى الرغم من جاذبية هذا الاقتراح التي تبدو من الوهلة الأولى فإنه لا يحل المشكلات اليومية التي تواجه مؤلف المعجم حلاً عملياً، كما أنه - وهو الأكثر أهمية - يغفل الجانب النظري، فالمفردات ليس لها عدد محدد من المعاني المميزة، وخاصة التمايز في اللغة تختص بالصيغة ولا تختص بالمعنى "انظر 1 - 5"، وجوهر اللغات الطبيعية أن تتحول المعاني المعجمية فيها من معنى إلى آخر، وأن تقبل الاتساع بغير حدود، والطريق الوحيد لحل المشكلة التقليدية الخاصة بالتجانس وتعدد المعنى - أو ربما التغلب عليها - يكون بالتخلي التام عن المعيار الدلالي عند تحديد المفردة ولا نعتمد إلا على المعيارين النظامي والصرفي وهو ما يكون له الأثر

في تقسيم "bank1"، و"bank2" إلى معنيين "يمكن تمييزهما بسهولة" لمفردة واحدة متعددة المعنى من الناحية التزامنية، ومعظم اللغويين لا يفضلون مثل هذا الحل الراديكالي، وحتى الآن فإن إمكانية الدفاع -نظريا وعمليا- عن هذا الحل أكبر من إمكانية استبداله له، وربما ظللنا قانعين بحقيقة أن مشكلة التمييز بين ظاهري التجانس وتعدد المعنى غير قابلة للحل من حيث المبدأ.

(201/1)

والمعنى - كما رأينا في القسم السابق - يمكن أن يكون وصفيا، ويمكن أن يكون تعبيريا، ويمكن أن يكون اجتماعيا، وكثير من المفردات تجمع بين نوعين للمعنى أو بين الأنواع الثلاثة له، وإذا عرف الترادف بتطابق المعنى فإن المفردات لا يمكن أن نقول إنها مترادفات تامة "في إطار محدد من السياقات" إلا إذا كانت لها المعاني الوصفية، والتعبيرية، والاجتماعية ذاتها "في إطار السياقات التي نحن بصدددها"، ولا يمكن القول بأنها مترادفات مطلقة إلا إذا كان لها التوزيع ذاته وكانت مترادفات تامة في كل معانيها وفي كل سياقات ذكرها، ومن المعروف بصفة عامة أن الترادف التام للمفردات نادر نسبيا في اللغات الطبيعية وأن الترادف المطلق - كما عرفناه هنا - غير موجود تقريبا، وفي الحقيقة من المحتمل أن ينحصر الترادف المطلق في مفردات خاصة إلى حد بعيد تكون وصفية بحتة، والمثال النموذجي له "typhlitis": "caecitis" وتعني التهاب المصران الأعور"، لكن كم من متكلمي اللغة الإنجليزية الأصليين على معرفة بهاتين الكلمتين؟ وما يلاحظ حدوثه في حالات كهذه أنه على الرغم من أن زوجا أو مجموعة من المصطلحات قد تتواجد معا فيما بين المتخصصين لفترة قصيرة فإن أحد هذه المصطلحات يجوز القبول باعتباره المصطلح النموذجي للمعنى المقصود، والتحدي الذي تلقاه سائر المصطلحات إما الاختفاء أو التطور إلى معنى جديد، ويمكن أن نلاحظ الخطوات ذاتها في اللغة اليومية فيما يتصل بالمفردات التي تخلق لمخترعات أو مؤسسات جديدة فكلمة "radio" أزاحت تقريبا كلمة "wireless" رغم أنهما اشتركتا في الوجود لفترة كانتا فيها بديلين لكثير من متكلمي اللغة الإنجليزية البريطانية، وعلى الجانب الآخر تختلف الكلمات: "aerdro ne" و"airfield"، و"airport" الآن في معانيها الوصفية.

وسياحظ أنني "بخلاف معظم من كتب في الدلالة" وضعت فارقا مميذا

بين الترادف المطلق، والترادف التام، وهو أمر هام من وجهة نظري، فالترادف المقيد بالسياق قد يكون نادرا نسبيا لكنه موجود بالتأكيد، فعلى سبيل المثال كلمة "broad" وكلمة "wide" ليستا مترادفتين ترادفا مطلقا ما دامت هناك سياقات لا تستخدم فيها عادة سوى إحدهما، واستبدال الواحدة منهما بالأخرى -إذا كان مقبولا- قد يحدث اختلافا ما في المعنى "انظر: He has broad Shoulders" عريض المنكبين، و"she has a lovely broad smile" ذات ابتسامة عريضة فاتنة، و"The door was three feet wide" الباب ثلاث أقدام عرضا، لكن هناك سياقات تظهران فيها مترادفتين ترادفا تاما "انظر: They painted a wide/ broad stripe right across the wall".

والقارئ مدعو لأن يفكر في أمثلة مشابهة في اللغة الإنجليزية وفي اللغات الأخرى وأن يلحقها بما، واعتقد أنه سيجد أنه حتى عندما توجد بعض الاختلافات في المعنى بصورة محددة فمن الصعوبة أن نتأكد من ماهية هذا الاختلاف، وسيجد أيضا أنه لا يتضح دائما متى يوجد اختلاف في المعنى ومتى لا يوجد هذا الاختلاف، وقد يغويه -مثل الدالين والكتاب المعياريين في مجال الاستخدام الصحيح الذي لا يشوبه شك- أن يفترض وجود فروق دقيقة تميز كلمة عن أخرى. وهذه الاكتشافات مفيدة فهي تدعم ما أثرناه من قبل حول الغموض الجزئي للمعنى المعجمي، وتبين في الوقت نفسه أن كثيرا من معلومات الفرد عن اللغة -بقدر ما يكون النظام اللغوي محددًا- خارج مجال الاستيطان الذي يمكن الاعتماد عليه، وكذلك الأمر مع القوانين النحوية للغة ما، وبالمثل مع القوانين والمبادئ التي تحدد معنى الكلمات والتعبيرات إلى المدى الذي يتحدد فيه المعنى المعجمي، وقد أثبتنا -بمعنى من المعاني- أننا نعرفها

باستخدامنا اللغة أي: إنها تظهر في السلوك اللغوي ونستطيع بدرجة يمكن الاعتماد عليها أن نلاحظ إخلالا بما وبمعنى آخر نحن لا نعرف بوضوح ما هي هذه القوانين

والمبادئ فعندما يطلب منا تحديدها فمن الصعوبة أن نفعل ذلك وعادة ما نخطأ. وتكتمل المشكلة بالوجود الذي لا يشوبه شك لما يشار إليه -بصورة شائعة- بالظلال الدلالية للمفردات، "وهناك أيضا استخدام أكثر تقنية لمصطلح "ظلال دلالية" في علم الدلالة، وهو ما لا يعيننا هنا" والاستخدام المتكرر لكلمة ما أو تعبير ما في إطار سياقات دون أخرى يميل إلى خلق مجموعة من الضمائم بين هذه الكلمة أو هذه التعبير وما يمكن أن يميز سياقاتها النموذجية، فعلى سبيل المثال هناك اختلافات في الظلال الدلالية -فضلا عن الاختلافات في المعنى الوصفي- بين كلمتي **church** "كنيسة" و**chapel** "كنيسة صغيرة" في إنجلترا وويلز، وعندما يكون الاختلاف واضحا مثل هذا الوضوح فإن سؤالا مثل: **"Are they church or chapel"** له تفسير واضح تماما، ومع ذلك فإن الظلال الدلالية يكون تحديدها عادة أقل سهولة، وعلى كل حال فهي حقيقة بما فيه الكفاية على الأقل بالنسبة لمجموعات معينة من المتكلمين، ويستترشد بها -بصورة واضحة- الخطباء والشعراء بل يستترشد بها كل منا في أوقات ملاحظة أغراضنا اليومية، وما إذا كنا نرى أن الظلال الدلالية المحددة سياقيا لمفردة ما جزء من معناها أم لا يعتمد على نطاق واسع على مدى اتساع التفسير الذي نحن على استعداد لتخصيصه للمعنى، وكثيرا -وليس دائما- ما يقع ما نشير إليه بالظلال الدلالية لمفردة ما في إطار المعنى التعبيري أو الاجتماعي. والترادف غير التام ليس نادرا بآية حال وهو موجود في مفردات معينة قد

(204/1)

تترادف من الناحية الوصفية دون أن يكون لها المعنى التعبيري أو الاجتماعي ذاته، وقد تكون هذه هي الحالة الوحيدة التي يتطابق فيها أحد أنواع المعنى ولا تتطابق الأنواع الأخرى التي يمكن تمييزها بشكل واضح ومفيد في حد ذاته، والترادف الوصفي "ومن الشائع أن يطلق عليه اسم الترادف الإدراكي أو العام" هو ما يعتبره كثير من الدلالين المراد بالترادف على نحو لائق، ومن أمثلة المترادفات الوصفية في اللغة الإنجليزية ما يلي: **"father"**، و**"dad"**، و**"daddy"**، و**"pop"**.... إلخ، فكل من هاتين المجموعتين مترادفان وصفية توضح حقيقة أنه ليس من الضروري أن يستخدم كل المتكلمين هذه الكلمات المترادفة رغم أنهم قد يكونون على معرفة بها، ويوضح المثال الثاني -بصورة أوضح من المثال الأول- حقيقة إضافية إذ قد توجد تابوهات "كلمات معينة تكشف

الانتماء إلى مجموعات معينة في الجماعة، ومنذ سنوات كان الفارق بين مفردات الطبقة الراقية "U- vocabulary" ومفردات الطبقات الأخرى "non-U vocabulary" موضع حوار يومي في بريطانيا، وقد أصبح هذا الفارق في متناول الجماهير على يد نانسي متفورد "Nancy Mitferd" على الرغم من أنه لم يخترعه، ولقد كان وما زال موضوعا حساسا على الأخص بالنسبة لأفراد الطبقات الوسطى المتشبهين بأفراد الطبقة العليا "على الرغم من أن المصطلحين: "U" و "non-U أصبحت الآن عتيقين".

والدور الذي تلعبه التابوهات الاجتماعية في السلوك اللغوي شيء ما يقع في مجال علم اللغة الاجتماعي، وقد ذكرناه هنا؛ لأنه ذو تأثير على المعنيين التعبيري والاجتماعي للمفردات، وقد لا يستبعد المرء أن يجازف بإقامة الدعوى القانونية إذا ما استخدم فرد كلمة من الكلمات التي يطلق عليها اسم

(205/1)

الكلمات ذات الأربعة حروف¹ بيد أنه ما زالت هناك اختلافات في المعنيين الاجتماعي والتعبيري تميز لنقل "prick2" أو "ceck3" عن "penis4" أو "breast5" أو "tit6" أو "bosem7" أو "bosom8" والبحث التاريخي للمفردات يوضح مدى أهمية عامل لطف التعبير "عن شيء بغيض" -تجنب كلمات التابوه- في تغيير المعنى الوصفي للكلمات، وهو ما يتضمن اعتمادا تزامنيا متبادلا بين كل من المعنى الوصفي والمعنى غير الوصفي.

وأخيرا فإن كلمة ما يجب أن تقال عن الترادف بين مفردات تتعلق بلغات مختلفة، فحتى الترادف الوصفي عبر اللغات أقل شيوعا إلى حد بعيد مما تشجعنا على الاعتقاد به المعاجم الثنائية باستثناء الجوانب الفرعية المتخصصة إلى حد ما من مفرداتها، ومن السخف أن نؤكد أنه لا يوجد شيء يعد ترادفا داخل اللغة "أو في الحقيقة داخل اللهجة" وعلى الجانب الآخر يجب أن ندرك أن الترجمة الحرفية غير ممكنة بشكل عام بين أي لغتين طبيعيتين، والأهمية النظرية لهذه الحقيقة ستشغلنا فيما بعد.

1 الكلمات ذات الأربعة حروف كلمات تتصل بالجنس.

2 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8 ألفاظ تتصل بالأعضاء الجنسية لدى المرأة والرجل.

ثالثا: المعنى المعجمي "المعنى والدلالة الذاتية"

سنعنى في هذا القسم بالمعنى الوصفي وحده، ويشتمل -على الأقل- على مكونين يمكن التمييز بينهما: المعنى "sense" والدلالة الذاتية "denotation1" والمصطلحان مؤخوذان من الفلسفة أكثر من علم اللغة، وحتى وقت قريب كان اللغويون يميلون إلى عدم الاهتمام بالقضايا الفلسفية التي تؤدي إلى معرفة الفوارق التي ستوضح هنا، والفلاسفة فيما يتصل بما يخصهم لم يعنوا دائما -كما يجب على اللغويين- بالإطار الكلي للغات الإنسانية وبالاختلافات البنيوية فيما بينها التي تتصل بالفوارق التي نحن بصدددها، ويجب أن يسلم أيضا بأن مصطلحي "معنى"، و"دلالة ذاتية" قد استخدمهما لغويون وفلاسفة آخرون استخداما مختلفا، ولن أعمق في هذه الاختلافات لكنني سأقدم ببساطة وجهة نظري الخاصة في القضايا التي تتضمنها، وهي مثيرة للجدل من

1 المعنى الحقيقي أو الدلالة الذاتية "denotation" مصطلح يستخدم في علم الدلالة كجانب من تصنيف أنواع المعنى ويقابل المعاني الضمنية أو الظلال الدلالية "connotation" والمعنى الحقيقي يشتمل على العلاقة بين الوحدة اللغوية -وعلى الأخص اللفظ المعجمي- والكيونات غير اللغوية "non - Linguistic entities" التي نشير إليها، ومن ثم يكافئ المعنى العام المقصود أو المعنى المرجعي "refeentiag meaning" فعلى سبيل المثال المعنى الحقيقي أو الدلالة الذاتية لكلمة "dog" في اللغة الإنجليزية هو ما يعرفها به المعجم "ذلك الحيوان ذو الأربع" وتشمل معانيها الضمنية أو ظلالها الدلالية معاني مثل الصديق، والمعين.... إلخ.

بعض الجوانب، وهي أيضا متاحة تماما وهناك الكثير ما يمثلها في التاريخ الطويل للدراسات الدلالية الفلسفية. ومن الواضح أن بعض المفردات -إن لم يكن المفردات كلها- ترتبط بالمفردات الأخرى في اللغة ذاتها "فعلى سبيل المثال ترتبط "بقرة" بـ "حيوان" و"ثور"، و"عجل"، وترتبط

بالكينونات، والخصائص، والموقف، والعلاقات.. إلخ في العالم الخارجي "فعلى سبيل المثال ترتبط "بقرة" بصنف معين من الحيوانات"، وسنقول إن المفردة التي ترتبط "بطريقة وثيقة الصلة" بمفردات أخرى ترتبط بها من جهة المعنى، وإن المفردة التي ترتبط "بطريقة وثيقة الصلة" بالعالم الخارجي ترتبط به عن طريق الدلالة الذاتية، فعلى سبيل المثال "بقرة"، و"حيوان" و"ثور"، و"عجل".... إلخ، "أحمر"، و"أخضر"، و"أزرق" ... إلخ، و"يحصل"، و"يحرز"، و"يستعير"، و"يشترى"، و"يسلب" ... إلخ تشكل مجموعات من المفردات يوجد فيما بينها علاقات دلالية بمختلف أنواعها، وتشير "بقرة" إلى صنف من الكينونات وهو صنف فرعي مناسب لصنف من الكينونات التي تشير إليها "حيوان" وتختلف عن صنف الكينونات التي يشير إليها "ثور" أو "حصان" أو "شجرة" أو "بوابة" التي تتشابه مع صنف آخر تشير إليه "عجل" وهلم جرا. ومن الواضح أن المعنى والدلالة الذاتية يعتمد كل منهما على الآخر، وإذا كانت العلاقة بين الكلمات والأشياء -أو بين اللغة والعالم- علاقة مباشرة وثابتة كما يفترض أن تكون عادة فسيكون متاحا لنا أن نتخذ من المعنى أو الدلالة الذاتية أساسا أو قاعدة ثم نعرف الثاني من خلاله، فعلى سبيل المثال يمكن أن نأخذ بوجهة النظر التي تجعل من الدلالة الذاتية أساسا أي: إن الكلمات

(208/1)

أسماء أو عناوين لأصناف الكينونات "مثل بقر أو حيوان" الموجودة في العالم خارج اللغة ومستقلة عنها، وأن تعلم المعنى الوصفي للمفردات يعد -ببساطة- تعرفا على ما تعزي المسميات إليه من أصناف الكينونات، وتتضح وجهة النظر هذه في المذهب الواقعي التقليدي للأنواع الطبيعية "أي: الأصناف الطبيعية والمواد الطبيعية" وتكمن خلف كثير من الدراسات الدلالية الفلسفية الحديثة ذات المسحة التجريبية، ومن المتاح أيضا أن نأخذ بوجهة النظر التي تجعل المعنى أساسا أي: من الممكن إثبات أنه سواء أكانت أنواع طبيعية موجودة أم لا "أي: تصنيف الأشياء اعتمادا على اللغة" فإن الدلالة الذاتية للمفردة تحددها معنى هذه المفردة، ومن الممكن -من حيث المبدأ- أن نعرف معنى المفردة دون معرفة دلالتها الذاتية، وقد تروق وجهة النظر هذه في حد ذاتها للعقلاني أي: ذلك الشخص الذي يختلف عن التجريبي فيتمسك بأن العقل أكثر من الخبرة الحسية- مصدر المعرفة "انظر 2 - 2"، ويمكن أن يبرر ذلك من الناحية الفلسفية عن

طريق المطابقة التقليدية لمعنى الكلمة مع الفكرة أو التصور الذهني المتربط بها "انظر 5 - 1".

وكل ما نحتاج إلى قوله هنا أن البدائل البسيطة الواضحة المعالم الواردة في الفقرة السابقة تصطدم بصعوبات فلسفية لا يمكن التغلب عليها، وهناك وسائل أكثر تعقيدا للدفاع عن الأولوية السيكلوجية أو المنطقية للمعنى أو للمدلول غير أننا لسنا بحاجة إلى الاهتمام بها، وما يجب أن يؤكد عليه اللغوي الحقيقتان التاليتان: الحقيقة الأولى أن معظم المفردات في اللغات الإنسانية كلها لا تشير إلى أنواع طبيعية، والحقيقة الثانية أن اللغات الإنسانية لا تتماثل - إلى حد بعيد - من الناحية المعجمية "أي: إنها تختلف في البنية المعجمية" فيما يتعلق بالمعنى والدلالة الذاتية، ولنتناول تباعا كل نقطة على حدة.

(209/1)

فبعض المفردات في اللغة الإنجليزية وفي لغات أخرى تشير في الواقع إلى أنواع طبيعية وذلك مثل أصناف الكائنات الحية، والمواد الطبيعية مثل "بقرة"، و"رجل" و"ذهب"، و"شجرة ليمون" ... إلخ، ولا تشير الأغلبية العظمى من الكلمات إلى مثل ذلك، وأكثر من ذلك - وهي نقطة حاسمة - فإن المفردات التي تشير إلى الأنواع الطبيعية تفعل ذلك بصورة عرضية غير مباشرة إن جاز التعبير، ويعد ذلك بصفة عامة فوارق هامة من الناحية الثقافية فيما بين أصناف الكينونات، وكتلة المادة المتجانسة إلى حد ما وذلك مثل الماء، والصخر، والذهب التي تحدد البنية المعجمية للغات، وهي فوارق قد تتوافق أو لا تتوافق مع الحدود الطبيعية، فعلى سبيل المثال - تبعا لبلومفيلد ذي الاتجاه التجريبي القوي - الكلمة الإنجليزية salt تشير بصورة مألوفة إلى كلوريد الصوديوم "NaCl"، ومن المسلم به أن هذه هي دلالتها الذاتية وإن لم تكن كامل معناها، وأن كلوريد الصوديوم مادة توجد بصورة طبيعية، ولا يرجع ذلك إلا إلى الدور المميز الذي يلعبه الملح في ثقافتنا "وبسبب أنه لدينا دائما مناسبة لأن نشير إليه" إذ إن لكلمة "ملح" الدلالة الذاتية التي لها، وحقيقة أن "ملح" يشير إلى مادة طبيعية نظرة لا تتصل باللغة.

وفيما يتعلق بعدم التماثل المعجمي فإن أكثر اختبارات مفردات اللغات الإنسانية اتصافا بالسطحية تكشف سريعا عن أن المفردات في لغة ما لا تميل إلى أن يكون لها نفس الدلالة الذاتية للمفردات في لغة أخرى فعلى سبيل المثال الكلمة اللاتينية

"mus" تشير إلى كل من الفئران والعُرس "ولا نذكر بعض الأصناف الأخرى من الحيوانات القارضة" والكلمة الفرنسية "sing" تشير إلى كل من الغوريلا والقردة وهلم جرا، ويوجد بطبيعة الحال أمثلة

(210/1)

كثيرة من التكافؤ الدلالي الذاتي بين اللغات، وبعض هذه الأمثلة نشأت نتيجة الانتشار الثقافي من الناحية التاريخية، وبعضها الآخر يفسره ثبات احتياجات واهتمامات إنسانية معينة عبر الثقافات، ويمكن أن تعزى أمثلة قليلة نسبياً إلى بنية العالم المادي كذلك، وسيكون لدينا الكثير مما نقوله في هذا الموضوع في الفصل العاشر.

وقد افتتن كثير من اللغويين في السنوات الأخيرة بما يطلق عليه التحليل العنصري للمعنى، وبصفة خاصة بوجهة النظر التي تذهب إلى أن معاني كل المفردات في كل اللغات مركبة من تصورات عامة متناهية الصغر يمكن تشبيهها بالملاحم العامة المزعومة في الفونولوجيا "انظر 3 - 5"، ومن الواضح الآن مع ذلك أن عددا قليلا للغاية من مكونات المعنى التي يستشهد بها عادة في هذا الموضوع عامة حقا، وأكثر من ذلك فإن عددا قليلا نسبياً من المفردات مرشحة بصورة مقبولة للتحليل العنصري، ونستطيع في معظمها أن نمثل بعض المعاني الخاصة ببعض المفردات من خلال ما يمكن أن يكون مكونات دلالية عامة، فعلى سبيل المثال حسب الافتراض المعقول الذي يذهب إلى أن [إنسان] ، و [مؤنث] ، وربما [بالغ] مكونات عامة للمعنى يمكن أن تحلل "امرأة" إلى المجموعة: [إنسان] [أنثى] ، [بالغ] ، و [رجل] إلى المجموعة. [إنسان] [غير أنثى] [بالغ] و بنت إلى المجموعة: [إنسان] ، [أنثى] ، [غير بالغ] ، و "ولد" إلى المجموعة: [إنسان] [غير أنثى] ، [غير بالغ] و قليل من التدبر يظهر أن هذا التحليل ترك بلا تفسير حقيقة أن العلاقة بين "بنت" و "امرأة" في معظم السياقات تختلف عن العلاقة التي تربط بين "ولد" و "رجل".

وقد تبين من قبل أثناء مناقشة تعدد المعنى أن ارتباط المعنى شيء نسبي،

(211/1)

وهو ما ينطبق في الواقع على جانب المعنى الوصفي "sense"، لكننا لا نستطيع أن نتعرف بصورة مفيدة على مختلف أنواع علاقات المعنى في مفردات اللغات الإنسانية كلها، ويمكن بصفة خاصة أن نتعرف على ما يعرف بشكل تقليدي بالتضاد "الضد في المعنى"، وما يشار إليه في هذه الأيام عموماً بالعموم والخصوص، ويوجد في الواقع أنواع عديدة للتضاد في المعنى يمكن التمييز بينها "انظر: أعزب/ متزوج، وحسن/ سيئ، وبعل/ زوج، وفوق/ تحت ... إلخ"، ومصطلح "التضاد" يمكن أن يأخذ تفسيراً أوسع أو أضيق، وبعض المؤلفين يوسعون هذا المصطلح ليغطي كل أنواع عدم التكافؤ في المعنى فيذهبون على سبيل المثال إلى أن أحمر، وأزرق، وأبيض... إلخ متضادان، ومهما كانت المصطلحات التي نستخدمها، ومهما كان تحديدنا لمصطلح تضاد، ومهما كانت المصطلحات التي نستخدمها، ومهما كان تحديدنا لمصطلح تضاد، واسعا أو ضيقا فإن النقطة الهامة من الناحية النظرية أن عدم التكافؤ وعلى الأخص التضاد في المعنى من العلاقات النبوية الأساسية في مفردات اللغات الإنسانية، وتستوي معها علاقة العموم والخصوص "والمصطلح حديث لكن ما يشير إليه يعرفه منذ فترة طويلة المعجميون والمناطق واللغويون" أي: تلك العلاقة التي تربط بين مفردة أكثر عمومية وأخرى أكثر خصوصية "تربط بين التوليب والورد.. إلخ والزهور، وتربط بين الصدق والنقاء... إلخ والفضيلة وهلم جرا. والتضاد، والعموم والخصوص علاقتان استبداليتان للمعنى، والعلاقات الأفقية التي تربط بين المفردات ليست أقل أهمية "انظر 3 - 6" كتلك العلاقة التي تربط بين "يأكل"، و"الطعام"، وبين "أشقر"، و"شعر" وبين "يركل"، و"قدم" وهلم جرا، وعلاقات المعنى الاستبدالية والأفقية "بمختلف أنواعها" تقدم لمجالات معجمية معينة بنيتها الدلالية الخاصة، ومن

(212/1)

الممكن عادة تحدد مجالات دلالية عبر اللغات "وذلك مثل مجال الألوان، ومجال القرابة، ومجال الأثاث، ومجال الطعام" وأن نثبت أن المجالات ليس متماثلة، وفي السنوات الأخيرة استرشدت بحوث دلالية كثيرة بالمبدأ الذي يذهب إلى أن معنى المفردة تحددها شبكة العلاقات الاستبدالية والأفقية التي تربط المفردة موضع البحث بجيرانها في المجال المعجمي الواحد، والآراء النظرية لمن أطلق عليهم أصحاب نظرية المجال "مثل أولئك

الذين يقومون بعملية التحليل العنصري" عادة ما تكون موضع خلاف فلسفي أو غير قابلة التصديق إلى درجة كبيرة، لكن النتائج التجريبية التي حصلوا عليها وهم ومن تابعهم طورت فهمنا للبنية المعجمية بغير حدود.

وكان لتأكيدهم على الأولوية المنطقية للعلاقات البنيوية في تحديد معنى المفردة أهمية خاصة، فبدلاً من القول بأن مفردتين مترادفتان من الناحية الوصفية؛ لأن كل منهما له معنى كذا وكذا وأن المعنيين متطابقان فإنهم سيقولون إن ترادف المفردتين جزء من معناهما، وبالمثل فيما يتصل بالتضاد، والعموم والخصوص، وفيما يتصل بسائر علاقات المعنى الاستبدالية والأفقية ذات الصلة، فنحن لكي نعرف المفردة يجب أن نعرف علاقات المعنى العديدة التي تربطها بغيرها.

وهذا العرض كما سنرى فيما بعد في الأقسام التالية يتطلب تكملة، فليست المفردات وحدها هي التي يكون لها معنى وصفى "sense" بل إن التعبيرات التي تتركب من أكثر من مفردة واحدة قد يكون لها معنى وصفى أيضاً، والعلاقات الأفقية والاستبدالية الواحدة تربط المفردة والتعبيرة غير المفردة "الأكثر تعقيداً" أو بين تعبيرتين أكثر تعقيداً كما تربط مفردتين، ويبدو أنه من المعقول أن نقول إن معرفة معنى مفردة يتضمن أيضاً معرفة

(213/1)

كيفية ارتباطها بالتعبيرات غير المعجمية، فعلى سبيل المثال معرفة أن **apinster** "آلة" معناها **"woman unmarried"** "المرأة غير المتزوجة" أو ربما كانت بمعنى **"woman who has never been married"** "المرأة التي لم تتزوج من قبل"، ومن الواضح أن المرء لا يستطيع أن تكون لديه تلك المعرفة الإضافية دون أن يعرف أيضاً القوانين النحوية للغة وما تسهم به -إن كان هناك ما تسهم به- في صياغة معنى التعبيرات المعقدة من الناحية النظامية، ومن أوجه القصور التي تعانيها كثير من الأعمال المبكرة في الدراسات الدلالية أنها لم تحصر نفسها فحسب في البنية المعجمية لكنها فشلت في إدراك أن معنى المفردات لا يمكن وصفه وصفاً مناسباً إذا لم نضع في حسابنا كذلك علاقات المعنى التي تربط بين المفردات والتعبيرات الأكثر تعقيداً.

(214/1)

رابعاً: الدلالة والنحو

معنى جملة ما حاصل كلا المعنيين المعجمي والنحوي أي: معنى المفردات المكونة للجملة، ومعنى الأبنية النحوية التي تربط مفردة بأخرى من الناحية الأفقية "انظر 5 - 1" ومصطلح "نحو"، ومصطلح "نحوي" يذكرنا بأنهما مستخدمان بالمعنى الضيق خلال هذا الكتاب "انظر 4 - 1".

ويتضح المعنى النحوي بمقارنة أزواج الجمل التي تشبه ما يلي:

الكلب أمسك بساعي البريد 1- The dog bit the postman

ساعي البريد أمسك بالكلب. 2- The postman bit the dog

فهاتان الجملتان مختلفتان في المعنى لكن هذا الاختلاف لا يمكن أن يعزى إلى أي مفردة من المفردات المكونة للجملتين كما هو الأمر في الاختلاف بين 1، 3

الكلب أمسك بالصحفي 3- The dog bit the journalist

أو بين 2، 4.

ساعي البريد ربت على الكلب 4- The postman pacified the dog

والاختلاف الدلالي بين 1، و 2 يفسره تقليدياً القول بأنه في 1 تكون "The dog" فاعل، و "postman" مفعول به، بينما في 2 تكون الأدوار النحوية منعكسة. والاختلاف الدلالي بين 1، و 2 اختلاف في المعنى الوصفي أي: يمكن تفسيره - كما سنرى فيما بعد- من خلال شرط الصدق الخاص بما "انظر 5 - 6"، ومع ذلك فإن المعنى النحوي ليس بالضرورة معنى وصفيًا، فالجملتان الخبرية والاستفهامية المتناظرتان 1، 5.

5- Did the dog bite the postman

يمكن أن يقال بشكل معقول إن لهما معنى وصفيًا واحداً لكنهما مختلفتان في بعد آخر، وهذا البعد الآخر هو ما سنناقشه في القسم الذي خصصناه للعلاقة التي تربط بين الجمل والأقوال "5 - 5"، ويمكن أن تندرج الحالة تحت المعنيين التعبيري والاجتماعي وتوجد اختلافات نحوية أخرى بين الجمل التي ترتبط بعلاقة متبادلة مع اختلافات المعنى غير الوصفي.

فعلى سبيل المثال تؤدي رتبة الكلمة وظيفية تعبيرية في لغات كثيرة، وتحدد أيضاً - في حالات معينة- اختيار "صيغة من صيغ الأفعال" دون أخرى "وذلك على سبيل المثال صيغة الشرط أو التمني أو الدعاء بخلاف الصيغة الخبرية في أبنية معينة في اللغة الفرنسية، واللغة الألمانية، واللغة الأسبانية" وفيما يتصل بالمعنى الاجتماعي فمن

المعروف جيداً أن معظم اللغات الأوروبية – رغم أن اللغة الإنجليزية النموذجية ليست كذلك – تفرض على مستخدميها أن يميزوا بين ضميري الخطاب "في اللغة الفرنسية voug" و "tu"، وفي اللغة الألمانية

(215/1)

"sie"، و "du" وفي اللغة الأسبانية "usid" و "tu" وفي اللغة الروسية "vy" و "ty".... إلخ، وأن استخدام أحدهما دون الآخر تحدده – جزئياً – الأدوار والعلاقات الاجتماعية "انظر 10 – 4"، واستخدام ضمير دون آخر يرتبط في كل حالة بعلاقة متبادلة مع اختلاف العدد "الأفراد" في مقابل الجمع" أو الشخص "المخاطب في مقابل الغائب"، وهذا الاختلاف النحوي يمكن أن يكون الاختلاف الوحيد بين جملتين لهما معنى وصفي واحد، ويوجد كذلك في لغات كثيرة ما يطلق عليه اسم ضمير الجمع للمتكلم المعظم وهو ما تمثله في اللغة الإنجليزية الجملة رقم 6.

we have enjoyed ourselves – 6

التي تختلف في المعنى الوصفي عن رقم 7.

we have enjoyed ourselrve – 7

وتختلف كما تطعننا على ذلك الملكة فيكتوريا – "انظر:

we are not amused 8 عن

we heve enjoyed myself – 8

في كل من المعنيين التعبيري والاجتماعي، وسيقال المزيد عن وسيلة نقل المعنيين التعبيري والاجتماعي في الفصول الأخيرة، وما يهمنا هنا أنؤكد على الاختلاف بين المعنى المعجمي والمعنى النحوي لا يتطابق مع الاختلاف بين المعنى الوصفي والمعنى اللا وصفي.

ويعتمد الاختلاف بين المعنى المعجمي والمعنى النحوي – من حيث المبدأ – على الاختلاف بين المفردات "أو المعجم" والنحو، وحتى الآن كنا نتعامل وفق الافتراض الذي يذهب إلى أن هذا الاختلاف واضح المعالم، لكن الأمر ليس كذلك، ويرسم اللغويون أحياناً فارقاً بين كلمات تامة تنتمي إلى معظم أقسام الكلام "الأسماء، والأفعال، والصفات، والأحوال"، وكلمات معروفة بالكلمات الوظيفية بمختلف أنواعها تشمل أداة التعريف "the"،

وحروف الجر "of، at، for" ... إلخ" وأدوات الربط "and، but" ... إلخ"، وأداة النفي "not" ليبينوا الفارق المميز بينهما من اللغة الإنجليزية، وتتميز مثل هذه الكلمات الوظيفية بأنها تنتسب إلى أصناف تتكون من مجموعة أفراد قليلة العدد، ويميل توزيعها إلى أن تحدده القوانين النظامية للغة تحديدا قويا إلى حد بعيد، وتلعب عادة الدور الذي يؤديه التنوع التصريفي في لغات أخرى، فعلى سبيل المثال "for" في "for three days" في مقابل "in" في "in three days" يمكن مقارنته من الناحية الدلالية مع استخدام حالة المفعولية دون حالة الأبلتية¹ في اللغة اللاتينية "ress diss: tribus diebus" ومما هو مقبول -بصفة عامة- أن الكلمات الوظيفية أقل اتصافا بالمعجمية التامة من الأسماء والأفعال، والصفات، والظروف، وأكثر من ذلك فإن بعض الكلمات الوظيفية أكثر اتصافا بالمعجمية من بعضها الآخر، وفي حالات محدودة لا يمكن للكلمة الوظيفية إلا أن ترد في تركيب نظامي معين دون أن يكون لها معنى معجمي على الإطلاق: لاحظ "to" في "He wants to go" أو "of" في "three pounds of butter" لكن بين الحالات المحدودة للكلمات النحوية البحتة غير ذات المعنى المعجمي من ناحية والمفردات التامة من الناحية الأخرى توجد كثير من الأنواع الفرعية للكلمات الوظيفية التي تسهم -دون أن تكون مفردات تامة- إلى حد ما في المعنى المعجمي للجمل

1 الأبلتية "Ablative" مصطلح يوجد في اللغات التي تعبر عن علاقاتها النحوية عن طريق التصريف، ويشير هذا المصطلح إلى الصيغة التي تأخذها الكلمة "تكون عادة اسما أو ضميرا" التي تستخدم للتعبير عن المكان، ولا توجد هذه الحالة التصريفية في اللغة العربية ولا في اللغة الإنجليزية بينما توجد في اللغة اللاتينية.

التي تذكر فيها، وما يشار إليه هنا باعتباره اختلاف بين الكلمات التامة والكلمات الوظيفية يناظره في النحو المؤسس على المورفيم الاختلاف بين المورفيمات النحوية والمورفيمات المعجمية "انظر 4 - 3".

وبناء على ما قيل الآن حول صعوبة وضع فارق حاسم بين نحو لغة ما ومفرداتها فما يمكن أن نؤكد عليه باعتباره قضية نظرية هامة أن ما يكون في إطار مفرداتي في لغة يمكن أن يكون في إطار نحوي في لغة أخرى فعلى سبيل المثال الفارق المعجمي بين "kill" و"die" في اللغة الإنجليزية الذي يرتبط أيضا بعلاقة متبادلة مع الاختلاف النحوي الخاص بالتكافؤ "انظر 4 - 4" يناظره في لغات كثيرة أخرى الفارق النحوي بين الفعل المتعدي والفعل غير المتعدي المناظر له، أو مرة أخرى فإن ما يمكن أن تنقله بعض اللغات عن طريق الفصيصة النحوية الخاصة بالزمن "وذلك مثل الماضي في مقابل المضارع" يجب أن تنقله لغات أخرى بدون زمن عن طريق مفردات معناها لنقل "في الماضي" في مقابل "الآن"، وهذان المثالان - مع ذلك - يكشفان عن نقطة إضافية يجب أن تثار عند وصف الأساس الذي يكون الفارق الدلالي الواحد وفقا له إما معجميا أو نحويا.

ومعنى المفردات كما رأينا من قبل يتجه إلى أن يكون غير محدد بدرجة أو بأخرى "انظر 5 - 2"، لكن حتى المعنى المرتبط بالميزات التي تقع في إطار فصائل نحوية مثل السببية، والزمن، وصيغة الفع.. إلخ أكثر اتصافا بعدم التحديد، ونتيجة لذلك فمن المعتاد أن يكون من الصعوبة البالغة أن نقرر ما إذا كان فارق معجمي في لغة ما مكافئا دلاليا دقيقا لفارق نحوي في لغة أخرى، والصيغ السببية للفعل التركي "olmek" "يموت" تستخدم بشكل عام لترجمة الفعل الإنجليزي "kill" لكن المرء يمكن أن يثبت أنهما

(218/1)

ليسا بمعنى واحد على نحو دقيق كما يمكن أن يثبت المرء أن التعبير الإنجليزي المعقد من الناحية المعجمية "caue to die" يختلف عن المفردة "kill"، وفيما يتصل بالمعنى فمما له مغزاه أن أحدا لم ينجح في تقديم تفسير مرض عن معنى الأزمنة 1 "التي تحدد تحديدا تقليديا من خلال مصطلحات مثل "الماضي"، و"الحاضر"، و"المستقبل" في اللغة الإنجليزية أو أي لغة مدروسة دراسة جيدة، والزمن - من بين الفصائل النحوية التقليدية - يبدو من الوهلة الأولى أكثرها سهولة من حيث إمكانية تحديده من وجهة نظر دلالية، وقد ذكر من قبل أن هناك بلا شك أساس دلالي للتمييز بين أقسام الكلام، والفصال النحوية "انظر 4 - 3".

وإذا سلمنا بذلك فيجب أن نسلم أيضا بأن طبيعة العلاقة المتبادلة بين البنية النحوية والبنية الدلالية من الصعوبة البالغة أن نوضحها فيما يتصل بهذه الناحية، وعلى وجه العموم كلما درست لغة ما أكثر كلما ظهر تعقيد هذه العلاقة أكثر، ومن الأفضل أن يضع المرء هذه النقطة في الاعتبار عندما يقرأ تفسيرات لمعنى الفصائل النحوية في لغات غير مدروسة دراسة جيدة، وكل المسميات التقليدية للفصائل النحوية في اللغات الأوروبية المشهورة -تقريبا- ملبسة، فالزمن الماضي لا يشير بالضرورة إلى الوقت الماضي، والمفرد يستخدم على نطاق أوسع مما يوحي به المصطلح، وصيغة الطلب

1 شكلت مسألة الزمن على الدوام قضية محورية أثارت قدرا كبيرا من الجدل بين الفلاسفة حيث ذهب بعضهم إلى أن الزمن أمر حقيقي بينما ذهب آخرون إلى أن الواقع يخلو من الزمن وأن الزمن مضاف من فهمنا على الواقع، ولا يشكل الزمن برأي العلم جزءا من العالم المادي بل هو فكرة يفترضها الفهم كعلاقة بين الأشياء.

(219/1)

تستخدم في أبنية كثيرة لا علاقة لها بالأوامر وهلم جرا، وليس هناك سبب للاعتقاد في أن الموقف يختلف بأي شكل من الأشكال فيما يتعلق بالمسميات التي يتسخدمها اللغويون في الوصف النحوي للغات أخرى.

ولنتناول الآن باختصار جانبا آخر من العلاقة بين الدلالة والنحو: قضية إفادة المعنى والصواب النحوي، وقد ذكرنا من قبل أن هاتين الخاصيتين للجمل لا يجب أن تكونا متطابقتين "انظر 4 - 2"، وفي أحوال كثيرة لا يكون الإعلان عن مبدأ عام أسهل من تطبيقه، وتوجد عوامل عديدة معقدة، فليس كل شيء موضع قانون نحوي يبدو هكذا من الوهلة الأولى، فعلى سبيل المثال اللغة الإنجليزية بخلاف ما يكون عادة لا تشمل على فصيلة نحوية خاصة بالجنس، وما يوصف بشكل عام على أنه موافقة جنسية في اللغة الإنجليزية لا يعتمد -بقدر ما يلقي الرجوع إلى الكائنات الإنسانية البالغة من اهتمام- إلا على الجنس الذي يعزى إليه المقصود بالكلمة "أي: إلى الكيان المشار إليه انظر 5 - 5" في وقت النطق بواسطة المتكلم، "والجنس الفعلي في الحياة الواقعية الخاصة بالمقصود بالكلمة غير ذي صلة من حيث المبدأ، وإذا أخطأت رجلا فجعلته امرأة أو أخطأت امرأة فجعلتها رجلا، واستخدمت ضميرا خطأ للإشارة إليه أو إليها

فلن أنتهك نتيجة ذلك أي قانون في اللغة الإنجليزية" فجملة مثل:

My brother had a pain in stomach –9

يمكن أن تبدو على نحو معاكس ما ذكرناه منذ لحظات حول ما يعرف بالتوافق في النوع، لكن "9" ليست شاذة من الناحية النظمية، ولا من الناحية الدلالية فعلى سبيل المثال إذا عرف "أو باستخدام الكلام على نحو دقيق إذا ظن" من أن ص فتاة، وأنها تلعب دور الزميل له في مرحلة فإن

(220/1)

9 تكون جملة يمكن أن يكون من المقبول تماما أن ينطق بها س، ومما يقبل المناقشة أن هذه الجملة يمكن أن تختلف في المعنى عن:

My brother had a pin in his stomach

إذا ما قيلت في ظروف مماثلة، ولكن ذلك وضع آخر، ويمكن أيضا أن يكون من المناسب لـ س أن ينطق الجملة 9 إذا كان ص متغير من الناحية الجنسية: الارتياح في الحقائق، قبول س للموقف.... إلخ يفترض أن يحدد بشكل مسبق ملائمة 9 أو عدم ملائمتها، واختلافها فيما يتعلق بأناس مختلفين، وعلى الجانب الآخر فإن:

He had a pain in her stomach 10

شاذة شذوذا لا شك فيه، لكنها لا تنتهك أي قانون من القوانين النظمية البحتة في اللغة الإنجليزية، وفي الواقع يمكن للمرء أن يثبت على نحو معقول أنها أيضا جملة صحيحة التركيب من الناحية الدلالية، والغرابة في 10 أن القول فيها يتضمن -بافتراض أن he و her تشير إلى شخص واحد- أن القول فيها يتضمن تناقضا "أو تغييرا ذهنيا في سياق القول" لدى المتكلم، وثمة قضية أخرى هامة تنشأ هنا، الاختلاف بين صحة التركيب الدلالي والملائمة السياقية، وسوف نعود إلى هذه القضية عند مناقشتنا للعلاقة بين معنى الجملة، ومعنى القول، وقد قدمنا مثالا واحدا لتوضيح قضية أن سلاسل الكلمات التي يقال عموما إنها تنتهك قوانين نحوية للغة من اللغات يمكن في الحقيقة أن تكون جملا صحيحة التركيب من الناحيتين النحوية والدلالية، ويمكن تقديم أمثلة أخرى كثيرة بلا حدود تشتمل على أمثلة عديدة مأخوذة من أعمال حديثة في الدلالة والنحو تبدو عجلة مؤلفيها إلى حد ما في نعتهم لسلاسل الكلمات التي استشهدوا بها بعدم الصحة النحوية.

وهناك عامل معقد يتصل بقضية الفصل فيما إذا كانت مصاحبة معينة شاذة "أي مجموعة مفردات مترابطة من الناحية النحوية"، يرجع شذوذها إلى معنى المفردات المكونة والأبنية النحوية التي تجمع هذه المفردات الواحدة بالأخرى أو إلى أسباب أخرى، فعلى سبيل المثال: "coured" the blond 1 boy 2 borse "haired" the "haired colored" the bay blond hors ليست كذلك، هل يرجع ذلك إلى معنى أو بالأخص المعنى الوصفي والدلالة الذاتية لكلمتي "boy"، و"blond"، فحتى لو كان شعر شخص ما باللون البني المائل إلى الحمرة مثله في ذلك مثل جلد فرس كميث اللون "bay" فإننا بكل تأكيد لن نستخدم المفردة "bay" في وصفه أو وصف شعره، وبالعكس إذا كان شعر رأس حصان ما أو جلده يكافئ تماما لون شعر شخص أشقر "blond" فإننا سنظل نمانع في أن ننسب إليه الصفة "blond" موضع المناقشة التي في الفرس، والقصد أن هناك مفردات كثيرة للغاية في كل اللغات لها معان لا يمكن أن تعد مستقلة تماما عن المصاحبات التي ترد فيها بشكل أكثر تميزا. والملاذ الأخير أن يكون الفارق بين اتجاه المصاحبة والقانون النحوي من المستحيل أن يظهر شيئا سوى العشوائية. وفي النهاية هناك مشكلة عامة عاناها لغويون كثيرون، واحتار بها فلاسفة فترة طويلة تتعلق برسم الحدود بين المحددات اللغوية والمحددات غير اللغوية للصواب النحوي، ويصوغ القضية عادة أولئك الذين يؤيدون الأفكار

1 الولد الأشقر الشعر.

2 الحصان كميث اللون.

التوليدية عن طريق وضع فارق مميز بين معرفة اللغة ومعرفة العالم أو فيما يمكن إثبات أنه إساءة لاستعمال فارق تقني مفيد بين القدرة والأداء "انظر 7 - 4"، فعلى سبيل المثال يمكن أن نفترض أن سلسلة الكلمات التالية "مع منحني تطريزي مناسب مركب عليها".

The president of the united states has just elapsed 1

يحكم عليها معظم متكلمي اللغة الإنجليزية بأن لا معنى لها، لكن هل هي عليلة التركيب من الناحية النحوية؟ وإذا كان الأمر كذلك فإن عدم صوابها النحوي يتضح بسهولة من خلال تكافؤ "elapse1" والفعل "elapse" يمكن أن نقول إنه واحد من صنف معين من الأفعال اللازمة التي يجب أن يكون المسند إليه معها متعلقا بالزمن مثل سنة، شهر، يوم، قرن ... إلخ.

وإذا كانت 11 ننتهك هذا القانون المفترض ومن ثم لا تكون جملة إنجليزية متفقة مع القواعد النحوية فإن الجملة 12.

**Three presidents have elapsed and nothing and
nothing has changed**

يجب ألا تكون جملة كذلك، غير أن 12 لا يمكن تفسيرها بشكل مؤكد، وبطبيعة الحال يمكن إثبات أنه لكي نفسرها -أو نقدم معنى لها- علينا أن نأخذ كلمة "president" أو كلمة "elapse" بمعناها غير الحرفي أو المجازي، وربما كانت أكثر التفسيرات وضوحا أن نأخذ كلمة "president2"

1 انقضى.

2 رئيس.

(223/1)

بمعنى "presidency" 1 "انظر: thee president إلخ"، الأمر الذي يعده النحاة ذوو الاتجاه التقليدي إما مجازا مرسلا أو كناية، والمصطلحان قليلا الاستعمال في هذه الأيام، والإطار المعقد لما يعرف بالصور البيانية "مثل التصنيف التقليدي لأجزاء الكلام" يكشف عن كل أنواع النقد المفصل، والقضية إذن هي حقيقة أننا نستطيع بسهولة أن نفسر 12 اعتمادا على فهمنا للاعتماد المتبادل لمعنى elapse وتكافؤها النحوي، وما إذا كانت 11، 12 مطابقتين للقواعد النحوية أم لا يتعدى كونه حكما نظريا أو منهجيا، ونستطيع إذا قررنا أن نعددهما جملتين مطابقتين للقواعد النحوية أن نستمر في توضيح حالتيهما الشاذتين، وإمكانية تفسير 12 أكثر سهولة من تفسير 11 على الأساس الدلالي.

والطريقة التي ترتبط بها البنية النحوية للغات معينة ولغة عموماً بالعالم قضية فلسفية شاقة في الواقع، وسنعود إليها في الفصل العاشر، ولقد ذكرنا هذه القضية هنا بسبب ما تتضمنه فيما يتصل بالعلاقة بين الدلالة والنحو، وعموماً فإن اللغويين يميلون إلى الحديث بثقة كبيرة إلى حد ما عن الفارق بين المعرفة اللغوية، والمعرفة غير اللغوية، وأقل ما يقال عن كثير من سلاسل الكلمات التي تصنف باعتبارها غير صحيحة نحوياً أن عدم صحتها يقبل الأخذ والرد، وثمة سلاسل أخرى مثل 11، 12 يقال إن معناها غير حرفي وربما قيل أيضاً إنها غير مطابقة للقواعد النحوية وهي أمثلة مثيرة للاهتمام من الناحية النظرية، لكن كثير من سلاسل الكلمات التي استشهدت بها المقالات والكتب الأساسية لا يحوم شك حول صحتها النحوية والدلالية رغم ما قاله عنه مؤلفو تلك المقالات والكتب.

وقد بدأنا هذا القسم بقولنا إن معنى جملة ما محصلة المعنيين المعجمي والنحوي، ونرى الآن أنه على الرغم من وجود فارق مميز بين هذين النوعين من المعنى في حالات واضحة فإن الحدود بينهما ليس من السهل دائماً تحديدها كما نريد أن تكون، وقد رأينا أيضاً أن التمييز بين صفة إفادة المعنى والصواب النحوي للجملة بعيدة - لأسباب عديدة - عن القطع والحسم، ولننظر الآن عن قرب فكرة معنى الجملة.

1 رئاسة "فترة الرئاسة".

(224/1)

خامساً: معنى الجملة ومعنى القول

أول ما يجب عمله أن نضع فارقاً مميزاً بين معنى الجمل ومعنى الأقوال، وكثير من اللغويين والمناطق الذين يتعاملون مع مصطلح دلالة بتفسير أضيق مما هو متعارف عليه في علم اللغة ومما نأخذ به في هذا الكتاب يذهبون إلى أنه بينما يقع معنى الجملة في مجال علم الدلالة فإن بحث معنى القول يعد جزءاً من البراكمانية¹ "دراسة الأقوال الفعلية" "انظر 5 - 6"، ويميل التوليديون التشومسكيون إلى المطابقة بين كل من الفارق المميز بين الجملة والقول، والفارق

1 البراكمانية: أحد أقسام ثلاث في السيميوتية "علم الرموز" مع الدلالة، ونظم الكلام.

وينطبق المصطلح في علم اللغة على دراسة اللغة من وجهة نظر مستخدميها وعلى الأخص الاختيارات التي يقومون بها والقيود التي يواجهون بها عند استخدامهم لها في صلاتهم الاجتماعية، وتأثير استخدامهم للغة فيمن يشاركونهم عملية الاتصال، ويرى بعض الدالين الآن أن البراكمانية تقابل علم الدلالة المتصفة بشروط الصدق ويفترض أن الصعوبات التي تنشأ فيما يتعلق بالثاني "مثل كيفية معالجة مفهوم الافتراض المقدم سلفاً" تكون أكثر سهولة من حيث قابلية الشرح والتفسير إذا ما رجعنا إلى الأول.

(225/1)

المميز بين الدلالة ودراسة الأقوال الفعلية من ناحية، والقدرة والأداء من ناحية أخرى "انظر 7 - 4".

ويتفق الذين يميزون بين الجمل والأقوال -بشكل عام- على أن الأولى بخلاف الثانية كيانات تجريدية مستقلة عن السياق أي: إنها لا ترتبط بزمان معين أو بمكان معين فهي وحدات في النظام اللغوي الذي تنتمي إليه، ولا يكون مثيراً للاعتراض بقدر ما يتسع ذلك، ومصطلح قول "utterances" لسوء الحظ "مثل كلمات إنجليزية أخرى كثيرة مشابهاة لها من الناحية النحوية" ملبس فهو قد يستخدم ليشير إلى النشاط ذاته أو إلى إنتاج هذا النشاط أي لجانب من السلوك اللغوي أو للعلامة التي يمكن تفسيرها والتي أنتجها الجانب السلوكي موضع الملاحظة، وتمر من المرسل إلى المستقبل عبر قناة الاتصال "انظر 1 - 5"، وليس هناك من يخلط الجمل بأنشطة القول، لكن من السهولة التامة أن تتطابق الجمل سواء أكان ذلك بغير قصد أم لا مع ما ننطقه، وفي الواقع هناك معنى معتاد تماماً لمصطلح "جملة" نجعل فيه ذلك مطرداً في علاقتنا اليومية باللغة، فعلى سبيل المثال يمكن أن نقول إن الفقرة الأولى في هذا القسم تتركب من ثلاث جمل 1 وبهذا المعنى تكون الجمل إما أقوالاً "ويتجه مصطلح قول إلى أن يغطي كلا من اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة" أو أجزاء متصلة لقول مفرد، وبهذا المعنى أي كون جملة ما هو ما ننطقه تكون الجمل -بشكل واضح إلى درجة ما- معتمدة على السياق، لكن من الممكن أيضاً تكرارها في أوقات مختلفة وفي أماكن مختلفة، والاعتماد على السياق لا يتضمن -بناءً على ما سبق- تفرداً زمانياً مكانياً أو تجريداً أي: إنه لا يرتبط بزمان ومكان معينين، ولا يتضمن استقلالاً سياقياً تاماً.

(226/1)

وهناك نقطة إضافية فكثير من أقوال "أي: الأقوال المنتجة" الحديث اليومي وربما معظمها ليست جملا تامة لكنها بشكل أو بآخر جمل موجزة، فعلى سبيل المثال:

1- Next Friday if I can manage it

2- How about peters

3- Youll just have to wont you

نماذج لما يصفه معظم اللغويين "مثل النحوي التقليدي" باعتبارها جملا ناقصة أو موجزة، ومعاني هذه الجمل هي نفس معاني الجمل التامة التي يمكن أن يقال إنها قد اشتقت منها في مناسبات معينة من القول.

ولن نتعمق في مشكلات ارتباط جمل نظام لغوي ما بالأقوال الفعلية والكامنة ونستطيع إذا ما تسامحنا بشأن التعقيدات التي ذكرناها آنفا أن نقول إن معنى القول محصلة معنى الجملة والسياق، وعموما فإن معنى قول ما أكثر ثراء من معنى الجملة "أو الجمل" التي اشتقت منه.

وفي الوقت ذاته يجب أن ندرك تماما أن المتكلمين الأصليين للغة ما ليس لديهم وسيلة للاقترب -قدر علمنا- من معنى الوحدات التجريدية غير ذات الصلة بالسياق الموجودة في النظام اللغوي والتي يسميها اللغويون جملا، والجمل بهذا المعنى -في الواقع- يمكن ألا يكون لها شرعية سيكولوجية على الإطلاق، فهي أبنية نظرية في علم اللغة وبصورة أدق في النظرية النحوية العامة، وعندما نضع أمام المتكلمين الأصليين ما نسميه جملا ونختبر ردود أفعالهم "هل هذه الجملة مقبولة؟"، و"هل هذه الجملة لها معنى تلك الجملة نفسه" فإن ما نفعله في الواقع أننا نطلب منهم أن يدلوا بحكم بدعي أو مسبب على أقوال كامنة، ونستطيع -نحن اللغويين- أن نرسم فارقا مميزا بين معنى الجملة؛

(227/1)

ومعنى القول بأن نجرد الأول "معنى الجملة" وأن ننسب إلى الثاني "معنى القول" الجانب الذي لا يتعلق بالجملة، وهو كل شيء يتعلق بالسياقات الخاصة بالقول مثل معتقدات أشخاص معينين، ومواقفهم، والإشارة إلى كيانات معينة في المجتمع، وتقاليد التعامل المهذب بين جماعات معينة وهلم جرا، لكن لا يوجد سبب يجعلنا نفترض أن متكلمي لغة ما يستطيعون فعل ذلك بفضل قدرتهم اللغوية، فالقدرة اللغوية بمعنيها: "القدرة في لغة ما"، و"القدرة على اللغة" يحددها دائما الأداء.

وقد رأينا أن أنواعا معينة من الجمل ترتبط بأنواع معينة من الأقوال فالجمل الخبرية ترتبط بالتصريحات والجمل الاستفهامية ترتبط بالأسئلة ... إلخ، وطبيعة هذه العلاقة يوضحها الاستشهاد بفكرة الاستخدام المميز، ومن المسلم به -ومن الواجب أن يكون الأمر كذلك- أنه في أي مناسبة مفترضة يمكن أن يستخدم المتكلم جملة على نحو غير مميز ليعني شيئا ما يختلف -أو يزيد- عن معنى ما يستخدم استخدامها مميزا، وهناك مع ذلك ارتباط جوهري بين معنى جملة ما واستخدامها المميز، فعلى سبيل المثال يمكن أن تستخدم الجمل الخبرية استخدامها غير مباشر لتوجيه الأسئلة، ولإصدار الأوامر، وللمنح الوعود، ولبيان مشاعر المتكلم.... إلخ، بيد أنه إذا كانت الجمل ذات البنية النحوية المعنية التي نسميها خبرية لا تشعر بأن المتكلمين للغة يربطون بينها وبين الحدث الكلامي الخاص بصياغة الأخبار -وهذه العلاقة الرابطة بين الشكل النحوي والوظيفة الاتصالية يؤسسها ويدعمها الاستخدام الدائم- فإن هذه الجمل المعنية لا تسمى جملا خبرية، وأكثر من ذلك فإن الاستخدام غير المميز لجملة ما يمكن توضيحه بشكل عام على أساس الاستخدام المميز، ولنأخذ مثلا مشهورا.

(228/1)

4- its cold in here1

فلهذه الجملة الشكل النحوي الخاص بالجملة الخبرية لكن قد يحسن استخدامها في ظروف مناسبة استخدامها غير مميز وغير مباشر بدلا من:

5- "Close the window please"

وذلك لحمل المخاطب على عمل شيء ما أي: على أنها توجيه، وذلك لأن4 تستخدم استخدامها مميزا لصياغة خبر ما، وهذا الخبر يستطيع المخاطب أن يفسره وأن يستنتج منه على ضوء العوامل السياقية المصاحبة له أنه من الممكن أن يستخدم كذلك عند

الاقتضاء استخداما غير مميز وغير مباشر.

ويجب أن نؤكد أن الاستخدام المميز لا يعني الاستخدام الأكثر تكرارا كما أن فكرة الاستخدام المميز لا ترتبط -من حيث المبدأ- بالجمل الفردية بل بجميع أصناف الجمل ذات البنية النحوية الواحدة، وتستخدم جمل كثيرة جدا استخداما غير مميز وغير مباشر بصورة عظيمة التكرار في السلوك اللغوي اليومي فعلى سبيل المثال:

3- Can you tell me the time.

تذكر على الأرجح كطلب أكثر من أن تكون سؤالا، وإذا استجاب المخاطب بقوله: نعم دون أن يشرع في الاستجابة للطلب فهو حينئذ يحاول أن يدفع عن نفسه تهمة الخشونة أو السلوك الفعلي الغريب عن طريق محاولة إثبات أن لديه إجابة على السؤال، ويمكن أن يكون بشكل معقول متهما بالحرفية، ويمكن أن يكون قد تلقى القول بصورة غير مناسبة بمعناه الحرفي أي: بالمعنى الذي يحدده

1 الجو بارد هنا.

2 أغلق الشباك من فضلك.

3 هل يمكنك أن تخبرني ما الوقت؟.

(229/1)

الاستخدام المميز لجمل ذات بنية نحوية معينة "وبذلك يبدو بشكل واضح أنها استفهامية".

والحقيقة الفعلية أن الحرفية موجودة كظاهرة يمكن تعيينها "وتستحق التويخ من الناحية الاجتماعية" وينزع الفلاسفة واللغويون إليها على المستوى المهني وتعد مبررا لافتراض أفكار محددة نظريا عن الاستخدام المميز والاستخدام غير المميز من ناحية، والأحداث الكلامية المباشرة وغير المباشرة من ناحية أخرى، لكن توجد أفكار نظرية، ولا تفترض هذه الأفكار النظرية أنه في كل مناسبة وفي جميع المناسبات الخاصة بالاستخدام المميز -بمعناه الخاص هذا- جملة ما يجب أن يقوم المخاطب بالاستنتاج التدريجي للمعنى المقصود قصدا غير مباشر أو المعنى غير الحرفي على أساس معناه الحرفي أو المباشر، وتوجد درجات من عدم المباشرة فعلى سبيل المثال تتصف 4 بهذه الصفة أكثر من 6 من ناحية كونها طلبا وهي في حاجة إلى دعم سياقي أكثر حتى يؤخذ في الاعتبار أنها

كذلك، وكثير من الجمل -جزئيا أو كليا- متعارف على معانيها التي يقصد إليها بصورة غير مباشرة فعلى سبيل المثال: **would you mind? Can you**؟ خلافا لما يرادفها إلى حد ما: **would it trouble you to? Are you able to**؟

متعارف عليها بدرجة عالية فيما يتصل باستخدامها في الطلب. والنقطة التي أثرت حول العلاقة الجوهرية بين معنى جملة ما واستخدامها المميز في الأقوال يمكن تعميمها، ويرسم بشكل عام فارق مميز بين المعنى والمتأصل لتعبير ما، وما يعنيه المتكلم باستخدامه هذا التعبير "وفي الواقع هناك فوارق عديدة متصلة بهذه المسألة تشمل المعاني المترابطة للمصطلح "معنى" التي ناقشها الفلاسفة لكن هذا الفارق يكفي لغرضنا الحالي"،

(230/1)

ويمكن للمتكلم في أي مناسبة أن يستخدم تعبيرا ما ليعني به شيئا يختلف عن معناه الذي يدل عليه بفضل المعنى المعجمي والنحوي، بيد أنه لا يستطيع أن يفعل ذلك دائما، كما أنه ليس حرا في استخدام تعبير ما مع أي معنى يختار أن يعطيه إياه، وإذا لم يصل إلى اتفاق مسبق إلى حد ما مع المخاطب حول التفسير المقصود للتعبير، وما يعنيه به يجب أن يكون مرتبطا بصورة نظامية بمعناه المتأصل، ومعناه المتأصل يحدده استخدامه المميز، ورغم أننا قد نرفض المطابق المباشرة بين المعنى والاستخدام، ولنفس السبب الذي جعلنا نرفض المطابقة بين معنى الجملة ومعنى القول قد نرغب في التأكيد على أن معنى التعبيرات والجملة يثبت استخدامها المميز، وعلم الدلالة -على النحو المشار إليه- بمعناه الضيق ليس سابقا من الناحية المنطقية على علم دراسة الأقوال الفعلية فكلاهما يعتمد على الآخر.

وحتى نختتم هذا القسم يجب أن يقال شيء ما عن العلاقة بين الكلمة ومقصودها "refernce" والحدوثية "deixis"، وما يسهمان به في معنى القول، فالعلاقة بين الكلمة ومقصودها مثل الدلالة الذاتية "denotation" علاقة تربط بين التعبيرات والكيانات أو الصفات المميزة، أو الأوضاع الموجودة في العالم الخارجي "انظر 5 - 3"، لكن هناك اختلاف هام بين الدلالة الذاتية والعلاقة بين الكلمة ومقصودها فالأخيرة بخلاف الأولى مقيدة بسياق القول، فعلى سبيل المثال التعبير "تلك البقرة" يمكن أن

يستخدم في سياق مناسب ليشير إلى بقرة معينة -وهو المقصود بالكلمة- ويمكن أن يستخدم في سياقات مختلفة ليشير إلى بقر متنوع، والعلاقة بين الكلمة ومقصودها في أي سياق معين يحددها جزئياً المعنى الأصلي للكلمة "ويشمل الدلالة الذاتية للكلمة "بقرة" ويحدده أيضاً جزئياً السياق الذي تنطق فيه، والأغلبية العظمى من التعبيرات الإشارية في اللغات الطبيعية معتمدة على السياق بطريقة أو

(231/1)

بأخرى، وحتى أسماء الأعلام ليست ذات مدلول متفرد مستقل عن السياق، وهذه الحقيقة منسية عادة.

والاعتماد على السياق في معظم التعبيرات الإشارية له نتيجة دلالية هامة إذ إن الخبر الذي يجعله قول ما يميل إلى التنوع وفق سياق القول فعلى سبيل المثال: صديقي وصل لتوه

7- My friend has just arrived.

يمكن أن تستخدم لصياغة خبر عن أفراد مختلفين كثيرين بلا حدود تبعاً لما تشير إليه "My friend" في سياقات معينة للقول، وعندما نتكلم عن العلاقات الدلالية التي تربط بين الجمل بفضل محتواها الخبري فنحن نفعل ذلك وفق الافتراض الصريح أو الضمني الذي يذهب إلى أن مدلول كل التعبيرات الإشارية ثابت لا يتغير. والتعبير الواحد لا يمكن أن يشير إلى كيانات مختلفة في مناسبات مختلفة فحسب بل قد تشير التعبيرات المختلفة إلى كيان واحد، فعلى سبيل المثال الضمير "He" والعلم "جون" وأي عبارة وصفية من العبارات الكثيرة بلا حدود مثل "الرجل الذي يشرب المارتيني"، و"بائع اللبن"، و"بعل ماري" ... إلخ، يمكن أن يكون لها مدلول واحد، أو كما هو الحال في "my friend" في ظروف مناسبة، وهذه الحقيقة يجب أيضاً أن تؤخذ في الاعتبار.

وبناء على ما تقدم فإن المدلول الكامن للتعبيرات لا يحدده معناها المتأصل والعوامل السياقية مثل الافتراضات التي يتقاسمها كل من المتكلم والمخاطب فحسب ولكن تحدده كذلك القوانين النحوية من ناحية، والأعراف أو الاتجاهات الأسلوبية من ناحية أخرى، وتدرس تلك القواعد والأعراف أو الاتجاهات الأسلوبية فعاليتها في إطار الجمل، وعلى امتداد النص أو الكلام،

وهذه القواعد والأعراف أو الاتجاهات بصفة خاصة "وليس من الواضح دائما ما إذا كان ذلك وضعاً نحويًا أو أسلوبياً" تضبط ما أصبح يطلق عليه المدلول المشترك أي: الإشارة إلى كيان واحد "أو مجموعة من الكيانات" بواسطة تعبيرات مختلفة أو الحدوث المختلف للتعبير الواحد فعلى سبيل المثال 8، 9

My friend missed the train and he has just arrived.

Since he missed the train my friend has just arrived.

فكل من "my friend"، و"he" يمكن لكن ليس من الضروري أن تكون ذات مدلول مشترك¹، إلا أنه ليس من المعتاد أن تكون كل منهما ذات مدلول مشترك "بدون ملامح تطريزية وإيمائية إضافية خاصة" في¹⁰

He missed the train and my friend has just arrived.

ومن المعتاد -وربما كان من الصواب- القول بأن وضع القانون النحوي يرتبط بالاختلاف بين الربط المتناسق²

1 المدلول المشترك co - refer - tial أو الاشتراك في المدلول الإشاري "co - referentiality" مصطلح يستخدم في علم اللغة وبصفة خاصة في النحو التوليدي ليشير إلى الوحدات النحوية الموجودة في جملة ما وتحمل مدلولاً واحداً ففي الجملة "I said I would leave" تشترك الأولى والثانية في المدلول الإشاري، وفي الجملة: "he said he would come" ليس من الواضح ما إذا كان هناك اشتراك في المدلول الإشاري إذ إن "he said he would come" "اشترك في المدلول الإشاري" في مقابل:

he said he would come عدم اشتراك في المدلول الإشاري.

2 الربط المتناسق "co - ordination" مصطلح في التحليل النحوي يشير إلى العملية أو النتيجة الخاصة بربط الوحدات اللغوية المتكافئة من حيث الحالة اللغوية مثل العبارات الاسمية، والعبارات الفعلية، والكلمات وتتميز في =

والتبعية¹، ومن الجهة الأخرى لا يوجد قانون نحوي في اللغة الإنجليزية "على الرغم من أن بعض اللغويين يذهبون إلى غير ذلك" يمنع بناء جمل مثل 11.

John love John -11

ويوجد في الأغلب اتجاه أسلوبي يفضل 12 أو 13.

John loes himslf -12

John loves him -13

تبعاً لما إذا كان المسند إليه "subject"، والمفعول "object" ذوي مدلول مشترك أم لا، وظاهرة المدلولية المشتركة الكامنة درست دراسة شاملة في إطار النحو التوليدي في السنوات الأخيرة.

= هذا الشأن عادة عن علاقة التبعية "subordination" حيث لا تتكافأ

الوحدات، وتوضح العبارات الاسمية ذات الربط المتناسق في الجملة:

"John came and Mary left" وعلامة الربط هي: and وهي أداة الربط

المتناسق ويمكن أن تحلل الأبنية أيضاً باعتبارها ذات ربط متناسق بدون علامة واضحة

كما في: there was an awkward depressing silence حيث

يمكن أن تختبر دور النسق المترابط للصفتين بإدخال "and" بينهما.

1 التبعية "subordination" مصطلح يستخدم في التحليل النحوي ليشير إلى

العملية أو النتيجة الخاصة بربط الوحدات اللغوية التي تختلف أوضاعها اللغوية أو التي

تعتمد الواحدة منهما على الأخرى وهو ما يميزها عن علاقة الربط المتناسق وتوضح

علاقة التبعية في الجملة:

John came when Mary left

وعلامة الربط هي when وهي أداة الربط في علاقة التبعية وثمة أدوات أخرى في

اللغة الإنجليزية مثل: although, aftre, while, because, since.

والحدوثية¹ تشبه العلاقة بين الكلمة ومقصودها **reference** من حيث ارتباطها - مع ما تتطابق جزئياً معه- بسياقات ورودها إلا أن الحدثية "**deixis**" أكثر وضوحاً وأكثر تحديداً من العلاقة بين الكلمة ومقصودها "**referencs**" فالدلالة قد تكون حدثية "**deictic**" أو غير حدثية "**non deictic**" والحدثية لا تتضمن بالضرورة العلاقة بين الكلمة ومقصودها، والصفة الأساسية للحدثية "والمصطلح جاء من كلمة إغريقية معناها "التحديد" أو "البيان" أنها تحدد بنية الأقوال وتفسرها فيما يتصل بزمان حدوثها ومكانه، وهوية المتكلم والمخاطب، والأشياء، والأحداث في السياق الفعلي للقول، فعلى سبيل المثال المقصود بالتعبير "ذلك الرجل في هذه الناحية" لا يمكن تحديده إلا فيما يتعلق باستخدام شخص ما لهذا التعبير في مكان معين وفي مناسبة معينة، وكذلك الأمر بخصوص "أمس"، وتعبيرات حدثية كثيرة أخرى، والحدثية مقننة نحويًا في لغات كثيرة في فصليتي الشخص² والزمن³ ففي اللغة الإنجليزية على سبيل المثال يكون تحديد اختيار الضمير "**I**" أنا أو "**you**" أنت "وتفسيره" في هذه الحالة التي تتصل بالعلاقة بين الكلمة ومقصودها" وفق الدور الذي يتخذه المتكلم، وما يخصه من دور للمخاطب، واستخدام زمن معين يحدده "ولنفترض أنه أكثر صعوبة من ذلك" ما يتصل بلحظة النطق، وأسماء الإشارة: "هذا"، و"ذاك"، وأداة التعريف: "ال" في بعض استخداماتها حدثية أيضاً، وكذلك الظروف المكانية والزمانية مثل "الآن"، و"حينئذ"، و"غداً"، و"هنا"، و"هناك"، وهناك أمثلة أكثر جلاء بصورة مباشرة من الفصائل والمفردات الحدثية، والحدثية -في الواقع- تميل إلى الانتشار التام في نحو اللغات الطبيعية ومفرداتها.

1 الحدثية **deixis** والوصف منها **deictic** مصطلح يستخدم في النظرية النحوية ليصنف الملامح اللغوية التي تشير مباشرة إلى الخصائص الزمنية والمكانية للسياق الذي يحدث فيه القول، ومن ثم يرتبط معناها بهذا السياق وذلك مثل **here, then, I, you, this, that, now, there**، وكذلك الكلمات التي تشير إلى الخلف أو الأمام.... إلخ.

2 في الضمائر مثل المتكلم والمخاطب.

3 مثل الماضي، والحاضر، والمستقبل.

سادسا: علم الدلالة الشكلي

مع أن مصطلح "علم الدلالة الشكلي" يمكن أن يستخدم -بمعنى عام إلى حد بعيد- ليشير إلى مجموعة كاملة من المداخل المتنوعة لدراسة المعنى فهو يستخدم بصفة عامة - في هذه الأيام- بدلالة خاصة لرؤية معينة لعلم الدلالة المشروط الحقيقة التي ترجع أصولها إلى بحث لغات شكلية بناها المناطق على نحو خاص، وطبقت حديثا في بحث لغات طبيعية، وهو ما يعيننا هنا، علم الدلالة الشكلي -وفق هذا المعنى- يعد بصفة عامة متمما للبراكماتية "دارسة الأقوال الفعلية" أي: دراسة الاستخدام أكثر من المعنى، دراسة جانب المعنى غير المتصف بشروط الصدق بصورة بحتة، دراسة الأداء أكثر من القدرة ... إلخ.

ولنبداً بتمييز قيم الصدق الخاصة بالخبر من شروط الصدق الخاصة بالجملة، وكل ما نحتاج إلى قوله عن الأخبار أنه من الممكن تأييدها أو إنكارها، وأنه من الممكن معرفتها على نحو مشكوك فيه أو معتقد به، وأنه من الممكن أن تظل ثابتة مع إعادة الصياغة والترجمة، وأن كل خبر إما أن يكون حقيقيا أو زائفا، وحقيقة الخبر أو زيفه هي قيم الصدق فيه وهي لا تتغير، وقد نغير رأينا في صدق خبر ما فعلى سبيل المثال كان الاعتقاد في وقت ما أن الأرض منبسطة ثم أصبح

(236/1)

الاعتقاد -سواء أكان ذلك صوابا أم خطأ- أن الأرض ليست كذلك، لكن هذا لا يعني ضمنا أن خبرا حقيقيا ذات مرة قد يصبح زائفا، ومن الأهمية أن ندرك هذه المسألة 1.

ومعظم الجمل -في حد ذاتها- ليست ذات قيم صدق، وكما رأينا في القسم السابق فإن الخبر الذي تحمله سيعتمد بصفة عامة على دلالة التعبيرات الإشارية الحدوثية وغير الحدوثية التي تحتوي عليها فعلى سبيل المثال الجملة:

2- My friend has Just arrived.

يمكن أن تستخدم لتوكيد أخبار كثيرة بلا حدود حقيقية أو زائفة بفضل الدلالة المتغيرة لـ "my friend" التي تحتوي على التعبير الحدوثي "my"، وصفة الحدوثية في "just" وفي "الزمن الماضي" لكن الجمل قد تكون ذات شروط صدق أي: تفسير يمكن تحديده بوضوح للشروط التي تحدد قيم صدق الأخبار التي تحملها الجمل عندما

تستخدم في صياغة التصريحات، ولنستخدم مثالا كلاسيكيا نموذجيا "يرجع إلى عالم المنطق البولوني الأصل تارسكي "Tarsky":

white "is true if and only if snow is "Snow is white –2

ففي 2 لدينا تصريح صيغ باللغة الإنجليزية عن اللغة الإنجليزية لكننا نستطيع من حيث المبدأ أن نستخدم أي لغة "ما وراء اللغة" للحديث عن هذه اللغة ذاتها أو أي لغة أخرى "اللغة المدروسة" بشرط أن يشتمل ما وراء اللغة على

- 1 ما قيل هنا عن الأخبار يعتمد -في جانب منه- على وجهة نظر معينة والتعريفات البديلة للخبر لا تؤثر على كل حال في جوهر النقاط المطروحة في هذا القسم "المؤلف".
- 2 صديقي وصل لتوه.

(237/1)

المفردات النظرية الضرورية التي تضم مصطلحات مثل "حقيقي"، و"معنى" ... إلخ، وما وضعناه في علامات تنصيص في 2 جملة خبرية في اللغة الإنجليزية، وتخبرنا 2 وفق الشروط التي قد تستخدمها الجملة "في اللغة المدروسة" لصياغة خبر حقيقي عن العالم عن الشروط التي يجب أن يتلائم معها العالم -إن جاز التعبير- فيما يتعلق بالخبر الذي تحمله "Snow is white" ليكون صحيحا، وما تقوم به 2 أو أي مثال مشابه هو تحديد العلاقة الواضحة وضوحا بدهيا بين الصدق "truth" والواقع "reality" ويسلم علم الدلالة الشكلي بوجود هذه العلاقة، ويسلم كذلك بمبدأ آخر يذهب إلى أنه لكي نعرف معنى جملة ما علينا أن نعرف شروط صدقها.

بيد أن ذلك لن يأخذنا بعيدا، فنحن لا نتعلم شروط صدق الجمل بمزاوجة كل جملة بحالة ما في العالم، وبعيدا عن أي شيء آخر فإن كل من الجمل في اللغات الطبيعية وأحوال العالم يكونان مجموعات ضخمة إلى حد كبير وقد تكون غير محدودة، ووظيفة علم الدلالة الشكلي تحديد معنى المفردات من خلال ما تسهم به في صياغة شروط صدق الجمل وتقديم نهج واضح الصياغة لتقدير شروط صدق أي جملة اعتباطية على أساس معنى مفرداتها المكونة لها، وبنيتها النحوية، وسيتضح أن علم الدلالة الشكلي أكثر ارتباطا من حيث طبيعته بصورة أو بأخرى من صور النحو التوليدي "انظر 7 - 4".

وثمة علاقة جوهرية -لا ريب فيها- بين المعنى الوصفي والصدق، ويمكن أن يسلم أيضا بأنه إذا كان الجملة ما شروط صدق فيجب أن نعرف الحالة الموجودة في العالم التي تهدف الجملة إلى وصفها حتى نعرف معنى هذه الجملة "على فرض أن الجملة تستخدم لصياغة خبر"، بيد أن ذلك ناتج بأية حال عن كون الجمل كلها ذات شروط صدق وأن كل معانيها متصفة بشروط الصدق.

(238/1)

ويجب أن نفرق -كما رأينا في القسم الأخير- بين معنى الجملة، ومعنى القول، فالأول يحدده -تحيّدا نهائيا- الثاني من جهة مفهوم الاستخدام المميز، ويبدو -من النظرة الأولى على الأقل- أن الجمل الخبرية وحدها ذات شروط صدق "وذلك بفضل استخدامها المميز في صياغة الأحكام الوصفية"، والجمل غير الخبرية بمختلف أنواعها -وبصفة خاصة الجمل الطلبية، والاستفهامية- لا تستخدم في صياغة الأخبار حسب استخدامها المميز، وفوق ذلك فإننا ما لم نكن مهئين لتقبل مفهوم للمعنى محصور على نحو مناف للعقل فيجب أن نقول إنها لا تقل دلالة عن الجمل الخبرية، وأكثر من ذلك فإن الاختلاف في المعنى بين الجمل المتناظرة الخبرية وغير الخبرية -حيث يوجد تناظر كهذا- "على سبيل المثال بين "My friend has arrived" و "Has my friend just arrived" نظامي ومطرد، وقد اقترحت حلول متنوعة لهذه المشكلة في إطار علم الدلالة الشكلي.

ومن هذه الحلول ما يتضمن معالجة اللاخبرية كمكافئ منطقي للخبرية من النوع الخاص إلى حد ما الذي أطلق عليه الفيلسوف أوستن "J. L. Austin" اسم التعبيرات الأدائية "performative" الواضحة فعلى سبيل المثال الجملتان:

3- I promise to pay you 5 pounds

4- I name this ship the mary jane

ليست وظيفتهما الأساسية وصف حدث ظاهر ومستقل بل إن يكونا مكونين مؤثرين ومؤلفين للحدث الذي يتضمنهما، ومفهوم أوستن عن التعبيرات الأدائية نقطة بدء لنظرية الأحداث الكلامية "وقد ذكرت وإن لم تشرح في 5 - 5" ويتبنى الافتراض الذي يذهب إلى أن الجمل غير الخبرية تأخذ الوضع المنطقي نفسه باعتبارها عبارات أدائية واضحة يمكن أن نقول إن "is the door open?".

مكافئ منطقي "أي: له شروط الصدق ذاتها" ل 5

1. I ask whether the door is open –5

وإن "Open the door" مكافئ منطقي ل 6

1. I order you to open the door –6

وهلم جرا، غير أن أوستن ذكر أن جملا مثل 3، و 4 ليس لها شروط صدق عندما تستخدم كمبارات أدائية "ويمكن كذلك بشكل واضح أن تستخدم في صياغة أحكام وصفية مباشرة" ووجهة نظر أوستن عارضها عدد من علماء الدلالة الشكليين، وعلى كل حال سواء أذهبنا إلى أنهما ذوا شروط صدق أم لا فإن وضعهما يظل مميزا لهما عما يمكن أن نشير إليه –بشكل فضفاض – باعتباره جملا خبرية عادية، وقد حاول كثير من اللغويين والفلاسفة إثبات فساد محاولة التعامل مع 5، و 6 باعتبارهما أكثر أساسية من "Open the door" و "Is the door open".

وتطرح التعبيرات الحدوثية قضايا أخرى "تعرف عادة بالمؤشرات indexicals"؛ 1 وكل الجمل الخبرية في اللغة الإنجليزية "بالإضافة إلى جمل كثيرة غير خبرية" ذات زمن، ومعظمها يحتوي على تعبيرات معتمدة على السياق مختلفة أنواعها تحدد الحدوثية دلالتها وحتى مثال تارسكي 2 بسيط بصورة مخلة في هذه الناحية بالإضافة إلى أنه لا يمثل الجمل الخبرية في اللغة الإنجليزية بدرجة كبيرة، ويستثمر افتراضاتنا عن التفسير المقصود لكل من جملة اللغة المدروسة "Snow is white"، وعبارة ما وراء اللغة "if and only if snow is white" لكن كل منهما يمكن أن يكون ذا تفسير

1 المؤشرات "indexicals" مصطلح استخدمه بعض اللغويين ليشير إلى ملامح الكلام أو الكتابة التي تكشف من الخصائص الشخصية "البيولوجية أو الاجتماعية" لمستخدم اللغة.

حدوثي "الثلج" بشكل عارض "أبيض في زمان القول ومكانه" بالإضافة إلى التفسير اللاحداثي أو العام "الثلج" "حسب طبيعته" أبيض دائما وفي كل مكان "الذي يفترض

أن يكون ما قصد تارسكي إليه، ووجود الحدوثية -وتفشيها في اللغة الطبيعية- لا يبطل تطبيق نظرية شروط الصدق لعلم الدلالة في علم اللغة، لكنها تدخل بالتأكيد مكملات فنية جديدة بالاعتبار إلى حد بعيد.

وثمة حقيقة أخرى تتمخض عن ذلك فالكثير من مفردات اللغات الطبيعية يكون معناها -بدرجة تزيد أو تنقص- غامض أو غير محدد، فعلى سبيل المثال يمكن أن نتمسك في سياق قولي محدد بأن "I" تحمل خبرا حقيقيا أو زائفا لكن ما المعيار الزمني الذي يمكننا الحكم على أساسه بصدق ما نشير إليه بـ "just" حين نقول "My friend has just arrived" وليست كلمة "just" غير نموذجية.

وهناك بعض المشكلات تعقد -إن لم تعطل تماما- تطبيق نظرية الدلالة الشكلية في تحليل المعنى في اللغات الطبيعية، ونحن نميل إلى تفضيل المفهوم الأكثر شمولاً عن المعنى، والمفهوم الذي لا يجعل المعنى الوصفي أكثر أساسية من الناحية النظرية من المعنى غير الوصفي معروف الآن "انظر 5 - 1"، ويجب أنؤكد على أن محاولة حقيقية لبسط مفاهيم علم الدلالة الشكلي على معطيات اللغة الطبيعية فيما يتصل بما لا يبدو متهيئا لها -سواء أنجحت هذه المحاولة أم فشلت- تشخذ فهما للمعطيات، وقد ثبت هذا مرة، ومرة في السنوات الأخيرة.

وأكثر من ذلك حتى لو أمكن أن نقرر وجود ما هو أكثر مما يقع في

(241/1)

إطار علم الدلالة المشروطة الحقيقة ويخص المعنى فإن ذلك لا يغير بطبيعة الحال حقيقة أن المعنى والدلالة الذاتية للتعبيرات المفرد ذاتية، والتعبيرات غير المفرد ذاتية يمكن أن تصاغ من خلال شروط الصدق، ويجب أن يسلم بإيهام مفردات كثيرة "انظر 5 - 3"، وإذا كان لجمتين شروط صدق واحدة "في العالم بكل احتمالاته" فإن لهما معنى وصفي واحد انظر:

"The door was opened by John" و "John opened the door"

وإذا أمكن استبدال تعبيرين استبدالاً داخلياً في الجمل التي لها شروط صدق واحدة فإن هذين التعبيرين مترادفان من الناحية الوصفية أي أنهم ذوا معنى واحد، وعلم الدلالة الشكلي جعل ما لم يكن متصفاً بالدقة دقيقاً أو ببساطة أصبح مسلماً به في أكثر

المناهج تقليدية في دراسة المعنى، وهو - بما لا يقل أهمية - يقوم بمحاولة جادة لتفسير ما عرض في مستهل القسم الأسبق "5 - 4" عرضاً تصويرياً إلى حد ما: معنى جملة ما محصلة معنيها المعجمي والنحوي، وهو يقوم بهذه المهمة بمحاولة صياغة الطريقة التي يتفاعل بها هذان المعنيان بشكل واضح.

(242/1)

الفهارس

قائمة المصطلحات

...

الفهارس:

قائمة مصطلحات:

المجاورة ...

adjacency

الاعتباطية/ العشوائية/ العرفية ...

arbitrariness

الأولوية البيولوجية ...

biologically priority

لغة الجسد ...

body language

علامات تحديد ...

boundary signals

التقويس ...

bracketing

قناة الاتصال ...

channel

الاستخدام المميز ...

characteristic use

الصيغة الاستشهادية ...

citation – form

علم الفونيمات الأمريكي الكلاسيكي ...

classical American phonemics

النقطة التي تختتم الجملة ...

closing full – stop

إمكانية الرمز اللغوي ...

codable

علاقات التضام والتضاد ...

combinatorial and contrastive relation

الجملة المؤلفة "المعقدة والمركبة" ...

composite

علاقات الاحتواء ...

constituency relation

عملية التوليد "للغة ما" ...

creolization

فك الشفرة ...

decode

التبعية ...

dependency

العلامات الصوتية المميزة ...

diacritics

الانفصالية ...

discontinuity

التمييز ...

discreteness

العلامات الفارقة ...

distinctions

النظام الرمزي الموسع ...

elaborated code

موجز / مختصر ...

elliptical

يرمز / يحول إلى رمز ...

emcode

كينونة ...

entity

لطف التعبير عن الشيء ...

euphemism

معنى موسع / مجازي ...

exended sense

ممدودية ...

extensibility

المعنى المجازي ...

figurative meaning

الصور البيانية ...

figures of speech

المرونة وتعدد الاستعمالات ...

flexibility and versatility

مجتمع جامع الغذاء ...

food – gathering society

علم الدلالة الشكلية "الصورية" ...

formal semantics

متحررة من تحكم المثير ...

free frem stimulus – control

البدائل الحرة ...

free variants

الأولوية الوظيفية ...

functional priority

الرسم المنظوري الوظيفي للجملة ...

functional sentence perspective

الوظيفية ...

functionalism

الارتباط التطوري ...

genetically related

الإشارات الإيمائية ...

gestural signals

المتحكم ...

governor

في إطار نحوي ...

grammaticalized

بنية متسلسلة ...

hiearchial structure

(244/1)

الأولوية التاريخية ...

historical prierity

الملكة اللغوية عند الإنسان ...

hnmam language – faculty

لهجة شخصية ...

idielect

قوانين داخلية/ فعلية ...

immanent rules

الفهم المتبادل ...

intercomoprehensibility

التشاكل أو التماثل في الشكل ...

isomorphic

اللغة "عموما" ...

language

اللغة من اللغات ...

a language

النقص اللغوي ...

language – deficit

الإعالة اللغوية ...

language – maintenane

وسيلة لغوية ...

language – medium

الرمز الحرف ...

letter – symbol

عدم التماثل المعجمي ...

lexical non – isomorphism

في إطار مفرداتي ...

lexicalized

التحديدية اللغوية ...

linguistic determinism

العالميات اللغوية "ما تشترك فيه جميع اللغات" ...

linguistic universals

علم اللغة الموسع ...

macrolinguistics

قابلية التحول في الوسيلة ...

medium – transferability

علم اللغة البحث ...

microlinguistics

القدرة على التحويل ...

modifiability

محايد/ غير مميز ...

"unmarked" neutral

الاعتباطية ...

non – arbitrariness

اللاتمايز ...

non – discreteness

(245/1)

لا لغة ...

non – language

غير مفرداتي ...

non – lexemic

ملاحح إيمائية مصاحبة للغة ...

paralinguistic features

عبارات أدائية ...

performatives

المشاركة الانتباهية ...

phatic communion

مشروطا صوتيا ...

phonetically

اللغات الهجينة ...

pidgins

عملية التهجين "اللغة ما" ...

pidginization

البراكماتية/ علم دراسة الأقوال الفعلية ...

pragmatics

الاطراد التناسبي ...

preportional regularity

النظام الرمزي المحدود ...

restricted code

قطع من الكلام ...

segments of speech

العملية الاجتماعية ...

socialization

نوعي "خاص بالبشر" ...

species – specific

الوسيلة المنطوقة ...

spoken medium

الأولوية البنيوية ...

structural priority

تبعية البنية ...

structure – dependency

التنوع الأسلوبي ...

stylistic incongruity

مميزة أسلوبيا ...

stylistically marked

تابعة ...

subordinate

التبعية ...

subordination

دون الفونيمي ...

subphonemic

(246/1)

العلاقات الإحالية أو الاستبدالية "الرأسية" ...

substitutional relations

مجاز مرسل ...	
synecdoche	
منظومة "مصوغة في صورة نظام" ...	
systematic	
الظروف الزمانية والمكانية ...	
temporal locative adverbs	
المعنى الجذري ...	
thematic meaning	
قوانين خارجية "دخيلة" / صورية ...	
transcendent rules	
علم الدلالة المتصفة بشروط الصدق ...	
truth – conditions semantics	
الاستخدام المميز ...	
uncharacteristic	
الاسم الفعلي / المصدر ...	
verbal noun	
مبدأ التحقيق والإثبات ...	
verification principle	
الاتصال المسموع المنطوق ...	
vocal – auditory communication	

(247/1)

المحتوى:

صفحة الموضوع

1-43 الفصل الأول: اللغة

1-1 ما اللغة؟

4-2 بعض تعريفات اللغة

11-3 السلوك اللغوي والنظم اللغوية

- 15 4- اللغة والكلام
23 5- وجهة نظر سيميولوجية
34 6- تصور التجانس
38 7- لا توجد لغات بدائية
44-87 الفصل الثاني: علم اللغة
44 1- فروع علم اللغة
49 2- هل "علم اللغة" علم
62 3- المصطلحات والرموز
65 4- علم اللغة وصفي وليس معياريا
74 5- أولوية الوصف التزامني
80 6- البنية والنظام

(249/1)

صفحة الموضوع

- 88-138 الفصل الثالث: أصوات اللغة
88 1 - الوسيلة الصوتية
93 2- التمثيل الصوتي والهجائي
98 3- علم الأصوات النطقي
118 4- الوحدات الصوتية والصور الصوتية
124 5- الملامح المميزة والفونولوجية التطورية
134 6- البنية الفونولوجية
139-183 الفصل الرابع: النحو
139 1- النحو والتصريف والصرف
146 2- الصواب النحوي والإنتاجية والاعتباطية
154 3- أجزاء الكلام وأصناف الصيغ والفصائل النحوية
160 4- بعض التصورات النحوية الإضافية
166 5- مكونات البنية
176 6- النحو التوليدي

184- 242 الفصل الخامس: الدلالة

184 1- اختلاف المعنى

196 2- المعنى المعجمي: التجانس وتعدد المعنى والترادف

(250/1)

صفحة الموضوع

207 3- المعنى المعجمي: المعنى والدلالة الذاتية

214 4- الدلالة والنحو

225 5- معنى الجملة ومعنى القول

236 6- علم الدلالة الشكلي

243 قائمة المصطلحات

249 المحتوى

(251/1)
